بُـــرْجٌ وجَـــسَـــدٌ

(الجزء الأول)

المطران بولس يازجي

بُــرْجٌ وجَــســَدٌ

عظات في رسائل الآحاد والأعياد

(الجزء الأوّل)

– آحاد ما بعد العنصرة –

مـــنـــشـــورات ديـــر البـــشـــارة

حـــلـــب – ٢٠٠٦

برج وجسد

عظات في رسائل الآحاد والأعياد

(الجزء الأول)

– آحاد ما بعد العنصرة –

لصاحب السيادة المطران بولس يازجي

© جميع الحقوق محفوظة – الطبعة الأولى ٢٠٠٦

طباعة

دار الضاد للطباعة والنشر

منشورات

دير البشارة التابع لمطرانية الروم الأرثوذكس – حلب

ص.ب. ٦٩٧٦ حلب– سوريا

تلفاكس: ٢٢٨٦٩٤٤ (٢١ ٩٦٣ +)

أيقونة الغلاف: برج بابل، فسيفساء من القرن الثاني عشر، كنيسة Palatina، باليرم، صقلّية (إيطاليا).

مـــقـــدّمـــة

للمطران جاورجيوس راعي أبرشية جبيل والبترون

عظات–تأمّلات مركّزة على بولس الرسول، سلسة، شفّافة وبولس صعب فكره في مواضيع كثيرة ويحتاج إلى انسياب ليدخل القلب والعقل معاً. والعظة تستند إلى تفسير. ولكن الوعظ ليس تفسيراً محضاً. إنّه ذلك النوع الذي ينتقل إلى الرعيّة كما يرى حاجتها المتكلِّم أو الكاتب. وبعد أن كتب سيادة المطران بولس، ملاك حلب، في الأناجيل رأى أن يخاطبنا بالرسائل وذلك بمضمون دسم وساعدنا في ذلك على التقاط ما تيسّر من فكر رسول الأمم الذي إذا قرأته تحسّ بإنسكابات الله عليه. بولس ينقضّ المخلّص عليه في طريقه إلى دمشق ليضطهد كنيسة الله فيصير منها وينتصب بناء شاهقاً على الأساس الوحيد الموضوع الذي هو ربّنا يسوع المسيح. وجه السيّد من خلال قراءة بولس له يكشف لك هذا الوجه مذهلاً وساعدنا المطران بولس بروحه واجتهاده أن نحبّ هذا الوجه الإلهيّ الجذّاب.

مَن عرف بولس يصل إلى أعماق المسيح. فضل سميّه صاحب هذا الكتاب أنّه يساعدنا أن نصل إلى هذا العمق لنتقدّس فيه. لقد التقط الرسول جمالات سيّده بصورة مذهلة وساعدنا أخونا المطران بولس على هذه الرؤية. كلّ شيء في المسيحيّة رؤية وإذا حصلت الرؤية يتمّ التبليغ. فضل حامل

كنيسة حلب وجوراها أن يهيّئ قارئه على التبلّغ والتبليغ فنرى أنّ كلّ شيء ينـــزل علينا من الكلمة التي تخلّص كلّ إنسان آتٍ إلى العالم.

ما يؤلم في أداء الرسائل في الكنيسة ليس أن فهم كثيرها عسير في حدّ نفسها ولكنّها تبدو لي ضائعة في السمع وكأنّ المؤمنين ينتظرون أن تنتهي تلاوتها حتّى يصغوا إلى قراءة الإنجيل ويكون ذهب خالص قد أُتلف. لعلّ هذه العظات المنشورة هنا تسعفنا على أن نعي ما أراده الله أن نعيه لتنقية نفوسنا وخلاصها. غير أن ما كتبه سيادة الأخ الجليل لا ينحصر في بسط ما قال الرسول ولكنّه في ما يمدّنا به سيادته من فكره الخاصّ في فرادته. المطواعيّة للكلمة المتجلّية في هذا المؤلَّف لا تحجب فكر أسقف رسوليّ لأنّ المبلِّغ يعطي من ذاته كما تكوّنت ذاته من الكلمة وتجلّت في الطاقات التي وضعها الله فيها. لذلك تجد في هذه الكتابة لاهوت كاتب يعاين الكلمة ويأخذها إلى رؤيتها.

اجلسْ على كرسي التعليم أيّها الأخ الحبيب وأعطِنا من هذه الكلمات الطيّبات لنحيا بمسيحك.

مــقدّمــة المــؤلِّف

"بــرج وجـــســد"

يذهب العالم بحضارته ومدنيّاته في التاريخ لتكرار خطيئة برج بابل. ويذهب المسيحيّون بإيمانهم وشهادتهم في التاريخ لمتابعة بناء جسد المسيح. يقابل بلبلة الألسنة في بابل توحّدها في العنصرة. العالم أمام مراهنة يفكّ رموزها المسيحيّون، وهي إمّا عولمة الدنيا أو مسحنتها. ينشد التاريخ البشريّ بناء أبراج "رأسها في السماء"[1]، لكن المسيحيّة أنزلت الله إلى الأرض! هناك خلاف عميق في كلّ من مفهومَي الحياة البشريّة والسعادة بين "العالم" و"الكنيسة".

في وسط هذا الخلاف وفي قمّة أزمته، مكانيّاً في العالم الوثنيّ وزمنيّاً في زهوة الإمبرطوريّة الرومانيّة دخل بولس ليبني ويؤسّس ويثبّت الكنائس. في رسائله نتعلّم المفارقة من ناحية ولكن الطريق من ناحية أخرى، في رسائله نواجه الخلاف بين البِنائَين، البرجِ والجسدِ، جسدِ المسيح أي الكنيسة، كما يسمّيها هو.

---

[1] تك ١١، ٤.

الصلف والكبرياء البشريّ يميّز حضاراتنا المعاصرة، والتجربة دائمة لنبني برجاً رأسه في السماء ونصير كالآلهة عارفين كلّ الخير والشرّ بدون الاعتماد على الله! الوثنيّة البابليّة تجربة العظَمة البشريّة الدائمة الملحدة. دلّ التاريخ البشريّ أنّ الناس يتجمّعون جماعات وينشدون العظمة وحين ينجزون فيها باعاً يعودون بسببها يتفرّقون، كما حدث بعد بناء برج بابل. وبعد كلّ عصر ذهبيّ لحضارة جاءت عصور الانحطاط. هذه العظمة البشريّة "كأسٌ تُسكر قلب الشعوب"[٢].

في واقع عالميّ كهذا يردّد قلب المسيحيّ أنغام أبناء السبي "على أنهار بابل هناك جلسنا وبكينا، هناك تذكّرنا أورشليم..."[٣]. لكن هذه الدموع هي نعمة مطهّرة وليست أبداً دموع خنوع أو استسلام، إنّها دموع رجاء بتجديد الدعوة والعودة. سرُّ الإثم سيُغلب من سرّ الكنيسة.

التاريخ في قبضة السيّد، لكنّه يمتحن صبر المسيحيّين وأمانتهم. "فطوبى لمن يحفظ ثيابه بيضاء"[٤] عندما يؤمن العالم ببناء برج صاعدة إلى السماء يفرح المؤمنون بأورشليم نازلة من السماء. مدنيّة برج بابل تصعد بالإنسان إلى الله نحو السماء، لكن يبقى الإنسان كما هو. الكنيسة أورشليم الجديدة تنـــزل الله ليتجسّد على الأرض لكن ليؤلّه الإنسان فيها وعليها. يقول القدّيس إيريناوس: "لقد صار الله ما نحن عليه لنصير نحن ما هو عليه".

---

[٢] أرميا ٢٥، ١٥-٢٩؛ ٥١، ٧.

[٣] مز ١٣٧.

[٤] رؤ ٧، ٩-١٧.

إنّ كثيرين لا يتجاوزون بتصوّرهم للكنيسة حدود التجمّع الإنسانيّ المنظّم لجماعة تتّحد بالعقائد والعبادة. لكن الكتاب المقدّس يمثّل الكنيسة بـــ"سرّ" ظلَّ مكتوماً عند الله وقد كشفه يسوع ويتحقّق جزئيّاً بالروح القدس الآن[٥]. سرّ الكنيسة هو سرّ شركة بشريّة وإلهيّة معاً. وهو هبة لأنّه نازل من السماء. محبّة الله المتواضع والنازل إلينا ترفع قلوب البشر نحو السماء من حيث جاء. فيصير الناس يحيون كحياته.

لهذا في المعموديّة، بداية الاتّحاد بجسم الكنيسة جسد المسيح، نرفع لباس المعمَّد كما من "أقمصة جلديّة" ونلبسه لباساً أبيضاً هو لباس الملكوت وحياة البرّ. هكذا بدّل يسوع للسامريّة الماء الحيّ من الماء الجاري إلى ماء الروح القدس. يصوّر الإنجيليّون الكنيسةَ بصور عديدة، كلّها تتكلّم عن وحدة عضويّة بين المؤمنين بعضهم مع بعض ومع الربّ يسوع بالوقت نفسه. ليوحنّا، الكنيسةُ كرمةٌ والمؤمنون فيها بمثابة الأغصان ولا يثمرون إلاّ إذا ثبتوا في الجذع – يسوع[٦]، قطيعٌ مع راعيه الصالح[٧]. الكنيسة هي بيت الله مع الناس[٨]، إنّها العالم الجديد[٩]. الكنيسة بالنسبة للذهبيّ الفمّ هي مشفى (ιατρείον)[١٠]، واحتفال روحي[١١]، إنّها أمّ الجميع وبيت الجميع، لقد جاء

---

[٥] أف ١، ٩-١٠ ورو ١٦، ٢٥-٢٦.

[٦] ١٥، ١-١٧.

[٧] ١٠، ١-١٦.

[٨] رؤ ٢١، ٣.

[٩] رؤ ٢١، ٥.

[١٠] PG 53, 22.

[١١] PG 53, 293.

سيّدها يجمع المتفرّقين إلى واحد[١٢]. إنّها ملكوت الله[١٣]. إنّها دلالة على التوافق والمحبّة[١٤]. إنّها بيت أبويّ يستقبلنا بالتوبة[١٥]، إنّها الحقيقة[١٦]، إنّها سفينة خلاص تقودنا إلى الميناء الهادئ[١٧] وفردوس[١٨]. إنّها بالنسبة لباسيليوس الكبير أورشليم السماويّة أيضاً[١٩].

لكن مهما تعدّدت هذا الصور فجميع الآباء الشرقيّين يتناولون صورة بولس، الكنيسة "جسد المسيح"[٢٠].

لبولس الرسول الكنيسة هي "جسد" المسيح. ردّاً على السؤال: "لماذا تأنّس الله؟"، يجيب بولسُ: لكي يحقّق آدمُ الثاني ما عجز عنه آدم الأوّل، لكي يتحد الإلهيّ بالبشريّ. وساحة هذا الاتّحاد هي الكنيسة. ليست الأخلاقيّات والاجتماعيّات هي مركز الحدث في الكنيسة، كما في سائر الأديان، حاشى! مركز الحدث هو الاتّحاد بالله- التألّه. في الكنيسة يُعاد جبْلُ الخليقةِ من جديد بعد أن توقّف عند السقوط. في الكنيسة المسيح هو الرأس وهو الألف والبداية. لكن آلة هذه المسحنة، لبولس الرسول، هو الصليب، كما كان مع المسيح عينه.

---

١٢ PG 49, 285 ; 57, 384.

١٣ PG 61, 510.

١٤ PG 61, 616.

١٥ PG 62, 87.

١٦ PG 62, 554.

١٧ PG 48, 1037.

١٨ PG 49, 336.

١٩ PG 29, 421.

٢٠ القدّيس يوحنا الذهبيّ الفمّ، [PG 61, 250]؛ القدّيس باسيليوس الكبير، [PG 32, 741].

"جسد" المسيح، يعني مع بولس، أنّنا كبشر في جسده الكنيسة نحيا من دمه (الافخارستيّا)، أي نحيا حياته. "نحن أعضاء جسده" (أف ٥، ٣٠) أي تدبّ فينا حياتُه: "لستُ أنا أحيا بعد بل المسيح يحيا فيَّ". على علبة كريمة لبقايا أحد القدّيسين الشهداء وُجدتْ الكتابةُ: "توجد في هذه الآنية أعضاء للمسيح"[٢١]، أنّنا أعضاء جسده تعني أنّنا نتّحد به اتّحاداً مستيكيّاً روحيّاً على المستوى الشخصيّ، كلٌّ عضو بعضوه.

لكن الجسد لا يقوم إذا لم تكن كلّ الأعضاء متّحدة. هكذا حياة كلّ عضو توجد في حياة الجسد كلّه، وحياة الجسد كلّه توجد في كلّ عضو؛ هكذا الألم والصحّة لكلّ عضو هي ألم وصحّة كلّ الجسم والعكس بالعكس[٢٢]. هكذا، بحسب القدّيس باسيليوس الكبير، لا يمكن لعضو أن يتخلّى عن العضو الآخر[٢٣]، فما أجمل أن يكون الإخوة معاً[٢٤].

لكن يسوع ليس عضواً عاديّاً بل هو الرأس[٢٥] منه تنساب الحياة إلى الأعضاء وكلُّ الأعضاء تتمثّل به. الكنيسة جسد حيّ يحوِّل كلّ مؤمن إلى مسيح، خدرُ العرس السرّي حيث يتّحد "الحمل" مع نفوس البشر. كلّ

---

[٢١] أنظر: Yves Congar, *Esquisses du Mystère de l'Eglise*, Paris, 1953, p. 115

[٢٢] القدّيس يوحنا الذهبيّ الفمّ، [PG 48, 1032]؛ القدّيس باسيليوس الكبير، [PG 32, 181].

[٢٣] القدّيس باسيليوس الكبير، [PG 32, 181].

[٢٤] القدّيس باسيليوس الكبير، [PG 30, 116].

[٢٥] كول ١، ١٨.

مسيحيّ هو امتداد ليسوع، عضو في جسد المسيح. "المسيح الإله-الإنسان" يصير في الكنيسة "المسيح الإله-الإنسانيّة" كلّها.

الكنيسة ليست "جماعة متّحدة"[٢٦] وحسب. الكنيسة هي جسم واحد للرأس الواحد. يشدّد كتاب أعمال الرسل على وحدة المسيحيّين وكيف كانوا نفساً واحدة (أع ٢، ١). لكن بولس بصورة الجسد يوضح ما هو أعمق، أنّ الوحدة ليست بالاجتماع ولكن بالمسيح. لا يكفي أن نتّفق لنصوّر الكنيسة، بل يجب أن نتّحد كلّنا بالمسيح حيث نتّحد مع بعضنا بواسطته، عندها نصير كنيسة. الكنيسة هي "شركة قدّيسين" ليس لأنّها تجمع مقدَّسين —حاشى! بل لأنّها حياة اتّحاد لأناس خطأة مع القدّوس الواحد يسوع المسيح. لذلك الوحدة في الكنيسة بين الناس من جهة ومع المسيح من جهة أخرى هما أمران متلازمان ومتوازيان، لكنّهما يقتضيان التوبة وتجديد الحياة. لهذا بسبب تميّز بولس بلاهوت جسد المسيح تميّز أيضاً كنبيّ للتوبة والتجديد، لخلع الإنسان العتيق ولبس الجديد: "أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم – تخلعون الإنسان العتيق – المسيح قد لبستم".

الكنيسة جسم يتألّه لأنّ رأسه إله — يسوع المسيح[٢٧]. ولا أحد يقول يسوع المسيح إلاّ بالروح، الذي "يصرخ فينا بأنّات لا توصف أبّا أيّها الآب". نعم بولس لاهوتيّ "جسد المسيح" ولكن بالوقت ذاته هو لاهوتيّ "النعمة". وحدة الجسد واتّحاد الأعضاء مع بعضها، اتّحاد المؤمن مع المسيح، هما أمران لا بل أمرٌ واحد يتمّ بالروح القدس. لهذا كلّ مواهب الروح يجب أن تخدم

[٢٦] القدّيس يوحنا الذهبيّ الفمّ، [PG 52, 397].

[٢٧] أف ١، ٢٢-٢٣.

هذه الحركة الروحيّة التي تجعل المؤمنين يتّحدون مع بعضهم وتجعل كلّ واحد يتّحد مع المسيح[٢٨]. الوحدة والترتيب والشؤون الاكليزيولوجيّة ليست شؤوناً إداريّة بل هي أمور خلاصيّة. لهذا سهر بولس، وكما سنرى في هذا الكتاب، على التعريف بالحياة الكنسيّة التي يجب أن تتحلّى بأمرَين: التقديس[٢٩] والوحدة[٣٠]، وكلّ منهما يفسّره الآخر ولا تتمّ المسيرة بأحدهما دون الآخر.

"جسداً" وليس "برجاً"، يعلّمنا بولس في الكلمات التالية أن نبني، آمـــين.

+ المـــطـــران بـــولـــس

عيد القدّيس سمعان العموديّ ٢٠٠٦

---

[٢٨] ١ كور ١٢، ١٣.

[٢٩] ١ كور ١٠، ١٧.

[٣٠] ١ كور ١، ١٢ و٣، ٤.

مــقدّمــة المــؤلِّف

"بــرج وجــســـد"

يذهب العالم بحضارته ومدنيّاته في التاريخ لتكرار خطيئة برج بابل. ويذهب المسيحيّون بإيمانهم وشهادتهم في التاريخ لمتابعة بناء جسد المسيح. يقابل بلبلة الألسنة في بابل توحّدها في العنصرة. العالم أمام مراهنة يفكّ رموزها المسيحيّون، وهي إمّا عولمة الدنيا أو مسحنتها. ينشد التاريخ البشريّ بناء أبراج "رأسها في السماء"[٣١]، لكن المسيحيّة أنزلت الله إلى الأرض! هناك خلاف عميق في كلّ من مفهومَي الحياة البشريّة والسعادة بين "العالم" و"الكنيسة".

في وسط هذا الخلاف وفي قمّة أزمته، مكانيّاً في العالم الوثنيّ وزمنيّاً في زهوة الإمبرطوريّة الرومانيّة دخل بولس ليبني ويؤسّس ويثبّت الكنائس. في رسائله نتعلّم المفارقة من ناحية ولكن الطريق من ناحية أخرى، في رسائله نواجه الخلاف بين البِنائَين، البرجِ والجسدِ، جسدِ المسيح أي الكنيسة، كما يسمّيها هو.

---

[٣١] تك ١١، ٤.

الصلف والكبرياء البشريّ يميّز حضاراتنا المعاصرة، والتجربة دائمة لنبني برجاً رأسه في السماء ونصير كالآلهة عارفين كلّ الخير والشرّ بدون الاعتماد على الله! الوثنيّة البابليّة تجربة العظَمة البشريّة الدائمة الملحدة. دلّ التاريخ البشريّ أنّ الناس يتجمّعون جماعات وينشدون العظمة وحين ينجزون فيها باعاً يعودون بسببها يتفرّقون، كما حدث بعد بناء برج بابل. وبعد كلّ عصر ذهبيّ لحضارة جاءت عصور الانحطاط. هذه العظمة البشريّة "كأسٌ تُسكر قلب الشعوب"[٣٢].

في واقع عالميّ كهذا يردّد قلب المسيحيّ أنغام أبناء السبي "على أنهار بابل هناك جلسنا وبكينا، هناك تذكّرنا أورشليم..."[٣٣]. لكن هذه الدموع هي نعمة مطهّرة وليست أبداً دموع خنوع أو استسلام، إنّها دموع رجاء بتجديد الدعوة والعودة. سرُّ الإثم سيُغلب من سرّ الكنيسة.

التاريخ في قبضة السيّد، لكنّه يمتحن صبر المسيحيّين وأمانتهم. "فطوبى لمن يحفظ ثيابه بيضاء"[٣٤] عندما يؤمن العالم ببناء برج صاعدة إلى السماء يفرح المؤمنون بأورشليم نازلة من السماء. مدنيّة برج بابل تصعد بالإنسان إلى الله نحو السماء، لكن يبقى الإنسان كما هو. الكنيسة أورشليم الجديدة تنـــزل الله ليتجسّد على الأرض لكن ليؤلّه الإنسان فيها وعليها. يقول القدّيس إيريناوس: "لقد صار الله ما نحن عليه لنصير نحن ما هو عليه".

---

[٣٢] أرميا ٢٥، ١٥-٢٩؛ ٥١، ٧.

[٣٣] مز ١٣٧.

[٣٤] رؤ ٧، ٩-١٧.

إنّ كثيرين لا يتجاوزون بتصوّرهم للكنيسة حدود التجمّع الإنسانيّ المنظّم لجماعة تتّحد بالعقائد والعبادة. لكن الكتاب المقدّس يمثّل الكنيسة بـــ"سرّ" ظلَّ مكتوماً عند الله وقد كشفه يسوع ويتحقّق جزئيّاً بالروح القدس الآن[٣٥]. سرّ الكنيسة هو سرّ شركة بشريّة وإلهيّة معاً. وهو هبة لأنّه نازل من السماء. محبّة الله المتواضع والنازل إلينا ترفع قلوب البشر نحو السماء من حيث جاء. فيصير الناس يحيون كحياته.

لهذا في المعموديّة، بداية الاتّحاد بجسم الكنيسة جسد المسيح، نرفع لباس المعمَّد كما من "أقمصة جلديّة" ونلبسه لباساً أبيضاً هو لباس الملكوت وحياة البرّ. هكذا بدّل يسوع للسامريّة الماء الحيّ من الماء الجاري إلى ماء الروح القدس. يصوّر الإنجيليّون الكنيسةَ بصور عديدة، كلّها تتكلّم عن وحدة عضويّة بين المؤمنين بعضهم مع بعض ومع الربّ يسوع بالوقت نفسه. ليوحنّا، الكنيسةُ كرمةٌ والمؤمنون فيها بمثابة الأغصان ولا يثمرون إلاّ إذا ثبتوا في الجذع – يسوع[٣٦]، قطيعٌ مع راعيه الصالح[٣٧]. الكنيسة هي بيت الله مع الناس[٣٨]، إنّها العالم الجديد[٣٩]. الكنيسة بالنسبة للذهبيّ الفمّ هي مشفى (ιατρείον)[٤٠]، واحتفال روحي[٤١]، إنّها أمّ الجميع وبيت الجميع، لقد جاء

[٣٥] أف ١، ٩-١٠ ورو ١٦، ٢٥-٢٦.
[٣٦] ١٥، ١-١٧.
[٣٧] ١٠، ١-١٦.
[٣٨] رؤ ٢١، ٣.
[٣٩] رؤ ٢١، ٥.
[٤٠] PG 53, 22.
[٤١] PG 53, 293.

سيّدها يجمع المتفرّقين إلى واحد[٤٢]. إنّها ملكوت الله[٤٣]. إنّها دلالة على التوافق والمحبّة[٤٤]. إنّها بيت أبويّ يستقبلنا بالتوبة[٤٥]، إنّها الحقيقة[٤٦]، إنّها سفينة خلاص تقودنا إلى الميناء الهادئ[٤٧] وفردوس[٤٨]. إنّها بالنسبة لباسيليوس الكبير أورشليم السماويّة أيضاً[٤٩].

لكن مهما تعدّدت هذا الصور فجميع الآباء الشرقيّين يتناولون صورة بولس، الكنيسة "جسد المسيح"[٥٠].

لبولس الرسول الكنيسة هي "جسد" المسيح. ردّاً على السؤال: "لماذا تأنّس الله؟"، يجيب بولسُ: لكي يحقّق آدمُ الثاني ما عجز عنه آدم الأوّل، لكي يتحد الإلهيّ بالبشريّ. وساحة هذا الاتّحاد هي الكنيسة. ليست الأخلاقيّات والاجتماعيّات هي مركز الحدث في الكنيسة، كما في سائر الأديان، حاشى! مركز الحدث هو الاتّحاد بالله- التألّه. في الكنيسة يُعاد جبْلُ الخليقةِ من جديد بعد أن توقّف عند السقوط. في الكنيسة المسيح هو الرأس وهو الألف والبداية. لكن آلة هذه المسحنة، لبولس الرسول، هو الصليب، كما كان مع المسيح عينه.

---

[٤٢] PG 49, 285 ; 57, 384.

[٤٣] PG 61, 510.

[٤٤] PG 61, 616.

[٤٥] PG 62, 87.

[٤٦] PG 62, 554.

[٤٧] PG 48, 1037.

[٤٨] PG 49, 336.

[٤٩] PG 29, 421.

[٥٠] القدّيس يوحنا الذهبيّ الفمّ، [PG 61, 250]؛ القدّيس باسيليوس الكبير، [PG 32, 741].

"جسد" المسيح، يعني مع بولس، أنّنا كبشر في جسده الكنيسة نحيا من دمه (الافخارستيّا)، أي نحيا حياته. "نحن أعضاء جسده" (أف ٥، ٣٠) أي تدبّ فينا حياتُه: "لستُ أنا أحيا بعد بل المسيح يحيا فيَّ". على علبة كريمة لبقايا أحد القدّيسين الشهداء وُجدتْ الكتابةُ: "توجد في هذه الآنية أعضاء للمسيح"[٥١]، أنّنا أعضاء جسده تعني أنّنا نتّحد به اتّحاداً مستيكيّاً روحيّاً على المستوى الشخصيّ، كلٌّ عضو بعضوه.

لكن الجسد لا يقوم إذا لم تكن كلّ الأعضاء متّحدة. هكذا حياة كلّ عضو توجد في حياة الجسد كلّه، وحياة الجسد كلّه توجد في كلّ عضو؛ هكذا الألم والصحّة لكلّ عضو هي ألم وصحّة كلّ الجسم والعكس بالعكس[٥٢]. هكذا، بحسب القدّيس باسيليوس الكبير، لا يمكن لعضو أن يتخلّى عن العضو الآخر[٥٣]، فما أجمل أن يكون الإخوة معاً[٥٤].

لكن يسوع ليس عضواً عاديّاً بل هو الرأس[٥٥] منه تنساب الحياة إلى الأعضاء وكلُّ الأعضاء تتمثّل به. الكنيسة جسد حيّ يحوِّل كلّ مؤمن إلى مسيح، خدرُ العرس السرّي حيث يتّحد "الحمل" مع نفوس البشر. كلّ

---

[٥١] أنظر: Yves Congar, *Esquisses du Mystère de l'Eglise*, Paris, 1953, p. 115

[٥٢] القدّيس يوحنا الذهبيّ الفمّ، [PG 48, 1032]؛ القدّيس باسيليوس الكبير، [PG 32, 181].

[٥٣] القدّيس باسيليوس الكبير، [PG 32, 181].

[٥٤] القدّيس باسيليوس الكبير، [PG 30, 116].

[٥٥] كول ١، ١٨.

مسيحيّ هو امتداد ليسوع، عضو في جسد المسيح. "المسيح الإله-الإنسان" يصير في الكنيسة "المسيح الإله-الإنسانيّة" كلّها.

الكنيسة ليست "جماعة متّحدة"[٥٦] وحسب. الكنيسة هي جسم واحد للرأس الواحد. يشدّد كتاب أعمال الرسل على وحدة المسيحيّين وكيف كانوا نفساً واحدة (أع ٢، ١). لكن بولس بصورة الجسد يوضح ما هو أعمق، أنّ الوحدة ليست بالاجتماع ولكن بالمسيح. لا يكفي أن نتّفق لنصوّر الكنيسة، بل يجب أن نتّحد كلّنا بالمسيح حيث نتّحد مع بعضنا بواسطته، عندها نصير كنيسة. الكنيسة هي "شركة قدّيسين" ليس لأنّها تجمع مقدَّسين –حاشى! بل لأنّها حياة اتّحاد لأناس خطأة مع القدّوس الواحد يسوع المسيح. لذلك الوحدة في الكنيسة بين الناس من جهة ومع المسيح من جهة أخرى هما أمران متلازمان ومتوازيان، لكنّهما يقتضيان التوبة وتجديد الحياة. لهذا بسبب تميّز بولس بلاهوت جسد المسيح تميّز أيضاً كنبيّ للتوبة والتجديد، لخلع الإنسان العتيق ولبس الجديد: "أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم – تخلعون الإنسان العتيق – المسيح قد لبستم".

الكنيسة جسم يتألّه لأنّ رأسه إله – يسوع المسيح[٥٧]. ولا أحد يقول يسوع المسيح إلاّ بالروح، الذي "يصرخ فينا بأنّات لا توصف أبّا أيّها الآب". نعم بولس لاهوتيّ "جسد المسيح" ولكن بالوقت ذاته هو لاهوتيّ "النعمة". وحدة الجسد واتّحاد الأعضاء مع بعضها، اتّحاد المؤمن مع المسيح، هما أمران لا بل أمرٌ واحد يتمّ بالروح القدس. لهذا كلّ مواهب الروح يجب أن تخدم

---

[٥٦] القدّيس يوحنا الذهبيّ الفمّ، [PG 52, 397].

[٥٧] أف ١، ٢٢-٢٣.

هذه الحركة الروحيّة التي تجعل المؤمنين يتّحدون مع بعضهم وتجعل كلّ واحد يتّحد مع المسيح[٥٨]. الوحدة والترتيب والشؤون الاكليزيولوجيّة ليست شؤوناً إداريّة بل هي أمور خلاصيّة. لهذا سهر بولس، وكما سنرى في هذا الكتاب، على التعريف بالحياة الكنسيّة التي يجب أن تتحلّى بأمرَين: التقديس[٥٩] والوحدة[٦٠]، وكلّ منهما يفسّره الآخر ولا تتمّ المسيرة بأحدهما دون الآخر.

"جسداً" وليس "برجاً"، يعلّمنا بولس في الكلمات التالية أن نبني، آمـــين.

+ المـــطـــران بـــولـــس

عيد القدّيس سمعان العموديّ ٢٠٠٦

[٥٨] ١ كور ١٢، ١٣.

[٥٩] ١ كور ١٠، ١٧.

[٦٠] ١ كور ١، ١٢ و٣، ٤.

آحـــاد

مـــا بـــعـــد العـــنـــصـــرة

عب ١١، ٣٣- ١٢، ٢

١ **الأحد الـ ١ بعد العنصرة** (أحد جميع القديسين)

شـــركةُ القدّيســـين

"ونحن إذ لنا مثل هذه السحابة من الشهود لنلقِ عنّا كلّ ثِقْلٍ والخطيئة..."

رتّبتْ كنيستُنا المقدّسة أن نعيّد، في الأحد الأوّل بعد عيد حلول الروح القدس في العنصرة، لثمار عمل الروح، أي تقديسه للمؤمنين، أي لعيد جميع القدّيسين. ما يميّز الإنسانَ عن سائر الكائنات الحيّة الأخرى (الحيوانات) هو أنّه "غير محدود الحدود". فعلى سبيل المثال حيوانٌ كالقرد، يولد قرداً صـــغيراً وينمو ويصير كبيراً، ولكن ما يختلف فيه أمرٌ واحدٌ إذ تكبر صفاته، يصـــير ربّما قرداً أقوى، أسرع، أثقل... ولكنّه يبقى في سلوكه هو هو قـــردٌ. أمّـــا الإنسان وإن كان يولد إنساناً طفلاً، فإنّه عندما يكبر لا تزداد فقط بعـــض عناصره مثل القوّة أو الوزن، ولكنّه يبدأ يأخذ شخصيّة مميّزة. للإنسان بُعـــد آخر غير طبيعته البشريّة، إنّها طبيعته الروحيّة الإنسانيّة. فمسلكيّة الإنســـان الناضج والكبير تختلف كثيراً من شخص لآخر. بينما تقود الغريـــزة العـــالم الحيوانيّ، فتبقى مسلكيّة الحيوان الصغير كالحيوان الكبير، فإنّ الحريّة الأخلاقيّة هي التي توجّه العالم البشريّ، لذلك تختلف كثيراً مسلكيّة الطفل عن الشاب،

وهذا الشاب عن ذاك. ويتراوح هذا الاختلاف من أسمى الأشكال إلى – وللأسف– أدناها. فمثال العذراء التي نسمّيها أرفع من الملائكة يقابله أمثلة وصل فيها البعض لمسلكيّات لا تقوم بها أبشع الحيوانات، وكما يقول بولس، "فإنّ أفعالهم التي يقومون بها سرّاً لا يمكن ذكرها".

لهذا نحن نعيّد للإنسان ونقيّمه في يوم وفاته (ما حصل) وليس من يوم ولادته. نقيّم الإنسان مما حصّلَه وليس مما أُعطي له! فالطفل هو جبلة بطاقات، لا تقيَّم من نشأتها وإنّما من نهايتها. الإنسان يقيَّم إذا كان شريراً أم صالحاً، محسناً أم متسلّطاً، وليس من طبيعته البشريّة. ليست قيمة الإنسان بطبيعته بمقدار ما هي في مُثلِه التي يحبّها. يقدَّر الإنسان من الأهداف التي ينشدها ويدركها. قيمة الإنسان في خياره. لذلك تشجّعنا الكنيسة دوماً أن نضع "جميع القدّيسين" نماذج لنا نقتدي بها ونسابقها!

القدّيسون هم الصفحات الشريفة من التاريخ البشريّ، إنّهم التاريخ المقدّس عبر تاريخ بشريّ طويل، لأنّهم ثمر الروح القدس في التاريخ، إنّهم "قطاف الزمان" ومحصّلته. القدّيسون هم، بحسب الطقس الكنسيّ لصلاة هذا الأحد، بواكير الخليقة، إنّهم أولاد قرانِ الروح بالعالم في العرس الإلهيّ الروحيّ (القنداق). القدّيسون هم زينة الكنيسة ووجهها إلى الله وإلى العالم، غيابُهم يفقدها هويّتَها ووجودُهم يعطيها شخصيّتها الإلهيّة في وسط العالم.

واليوم في هذا التذكار المقدّس يجدر بنا التأمّل في عدّة أسئلة تساعدنا على فهم "شركة جميع القدّيسين" لننتمي إليها:

مَن هو القدّيس؟ لا شكّ أنّه بالطبيعة ما هو إلاّ مجرّد بشر! لا يختلف بذلك عن أيّ إنسان آخر شرّير! ما يختلف في القدّيس ليس طبيعته ولكن طبعه، ليس خِلقته ولكن خلقه، ليس معيشته بل حياته، إنّه إنسانٌ يحيا حياةَ الله في جسده البشريّ. القدّيس هو مَن يحيا بالروح القدس الذي يحرّكه ويقوّيه ويقوده إلى الحقّ، "فالبارّ بالإيمان يحيا"، وهذا يُدرَك ليس بشكل أوتوماتيكيّ، ولا بمجرّد خيار نظريّ، بل بجهاد ومحاولة لا تنقطع. إنّ تكوين القدّيس من طين، أي إعادة تكوين الجبلة البشريّة التي هي مجرّد اللّحم والدمّ إلى خليقة ملائكيّة، يحتاج لمسيرة طويلة ويتطلّب جهداً ليس بقليل. لذلك إنّ تنشئة الكائن البشريّ إلى قدّيس تحتاج إلى معرفة روحيّة عميقة نسمّيها "الإيمان"، وإلى محاولة لا تهدأ نسمّيها "الجهاد" الروحيّ. هذا هو القدّيس، مَّن يتمسّك بالإيمان ويعمل حسبه دون ملل.

ما هي أشكال حياة القداسة؟ إنّها طرق عديدة ولا تحصى! ولكن التقليد الكنسيّ صنّفها في مراتب. فالمثل البشريّ الأعلى والأوّل للقدّيسين هو "العذراء مريم"، ويليها شخصيّات أوّلها يوحنّا المعمدان، ثم تتوالى مراتب كالرسل والأنبياء والمعلّمين، وبعدهم رؤساء الكهنة، وبعدهم الشهداء ثمّ الأبرار والمعترِفين. هؤلاء كلّهم عاشوا حياة الله في ظروفهم وطبيعتهم وأعمالهم وبلادهم وثقافاتهم وخدماتهم وأعمالهم المختلفة. القداسة غاية ممكنة للمرأة كما للرجل، للعبد كما للحرّ، لإثنيّة كما لأخرى، في وسط العالم وخارجه، في شهادة دم وفي شهادة الضمير، وكما يلّخصها بولس الرسول "إنّنا نماتُ من أجلك اليوم كلّه". هذه هي حركة ومسيرة القداسة، فهي في

ظروف اضطهاد تنتهي بسكب دم، وفي زمن السلام تنتهي بحياة البرّ، وفي خدمة رسوليّة تنتهي برؤساء كهنة ومعلّمين وخدّام رسل ومبدعين ورجال فكر... الدعوة للقداسة ليستْ حصراً على فئة أو طريقة حياة محدّدة بين الناس. "كونوا قدّيسين كما أنّ أباكم السماوي قدّوس" (كاملين)، إنّها دعوة لا تستثني أحداً، إنّها غاية الحياة البشريّة لكلّ إنسان ولكلّ طرق الحياة.

كيف نُكرم القدّيسين؟ لا شكّ أنّنا نكرم مَن نحبّ "ونضع السراج عالياً ليضيء لجميع مَن في البيت". لهذا ترانا نرسم أيقونات للقدّيسين ونزيّن بها منازلنا وكنائسنا، ونُحيي تذكاراتهم بالصلوات والطقوس... ونبني الكنائس والأديار على أسمائهم، ونتسمّى بأسمائهم، ونطلب شفاعتهم ونتّكل عليهم... وبكلمة مختصرة نشاركهم حياتنا وهمومنا وحاجاتنا. هذا أوّلاً.

الذهبيّ الفمّ يقول "إكرام القدّيس هو الاقتداء بالقدّيس". هكذا ثانياً إذن، لا نشارك القدّيس همومنا وحسب، بل نشاركه قداسته، ونشهد معه ونحيا مثله. إذن إكرام القدّيسين هو قبول دعوة مَن دعاهم ودعانا، فندخل في "شركة القدّيسين" ولا نُكرم جميع القدّيسين بالطلب أو الإكرامات وحسب.

لذلك يقول بولس الرسول في ختام المقطع من الرسائل اليوم، بعد أن عدّد ألقاب "جميع القدّيسين" وإنجازات إيمانهم: "فنحن إذ يحدق بنا مثل هذه السّحابة من الشهود (الأمثلة الحيّة) فلنلقِ عنّا كلَّ ثِقَلٍ والخطيئة المحيطة بنا بسهولة". نعم، وحدها الخطيئة تخرجنا من "شركة القدّيسين"! حياة القداسة

لنا نحن حيث وكما نحن في أعمالنا وخدماتنا لكن بشرطَين، اللذَين يذكرهما هنا بولس: أوّلاً أن نلقِ عنا الخطيئة وثانياً أن نتسابق مع القدّيسين بالصبر والجهاد الذي أمامنا، "مقتدِين مثلهم وناظرِين، إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع"، آمين.

عب ١١، ٣٣- ١٢، ٢

٢ الأحد الـ ١ بعد العنصرة (أحد جميع القديسين)

قدر العنصرة بين العبث والتقديس

"إن القدّيسين أجمعين بالإيمان عملوا البرّ..."

رتّبت الكنيسة المقدّسة أن نحتفل، في الأحد الأوّل بعد العنصرة وحلول الروح القدس، بعيد جميع القدّيسين، وذلك إشارة إلى عمل الروح القدس وأولى ثماره، وهي تقديس المؤمنين، وخاصّة في الأزمنة المسيانيّة-المسيحيّة التي بدأت مع موت وقيامة المسيح (أع ٢، ١٦-٣٨). الروح يسكن فينا ويقدّسنا "ويطهّرنا من كلّ دنس". إنّ مفهوم القداسة في العهد الجديد مرتبط مباشرة بيوم العنصرة، يوم حلول الروح القدس.

لكن عمل الروح وتقديس الناس ليس قوّة سحريّة تنسكب على المؤمنين من الخارج، بل هو عمل يتطلّب أمرَين معاً، نعمةً من الله وطهارةً من البشر. إنّ القداسة أمرٌ متّصلٌ بسرّ الله من جهة، فهو القدّوس والمقدِّس، وبنا نحن المقدَّسين من جهة ثانية، من خلال العبادة والسلوك. لقد خرج الزارع ليزرع، وبذر على كلّ ناحية وكلّ أرض، لكن لم ينبتْ كلّ الزرع، فهناك أرض صخريّة وهناك أخرى ملآنة بالأشواك، كما هناك الأرض الصالحة.

فكما هناك روح الله هناك حريّة الإنسان. "لا تطفئوا الروح" لأنّ الـــروح لا ينسكب بالإكراه وإنّما يحلُّ علينا بالخيار.

كان اسمُ قدّيس في العهد القديم مقصـــوراً علـــى الأنبيـــاء وبعـــض المختارين. ولكن العهد الجديد يعمّم هذا الاسم على جميـــع المســـيحيّين، لا للتخفيف بمعناه ولكن للإشارة بدقّة إلى معنى مسيحيّ: أي قـــدّيس. هكـــذا يطلق سفرُ أعمال الرسل هذا الاسمَ على الجماعة الأولى في أورشليم وتلـــك التي كانت مجتمعة يوم العنصرة (٩، ١٣)، ويعمّمه بولس على كلّ المـــؤمنين (رو ١٦، ٢٢؛ ٢ كور ١، ١).

لكن هذه التسمية (قدّيسين) تتطلّب من المسيحيّين قطع الصلة بالخطيئة والتصرّفات الدنيوية (١ تسا ٤، ٣). لهذا يتابع هنا بولس الرســـول قـــائلاً: "فلنلقِ عنّا كلَّ ثقلٍ والخطيئة المحيطة بنا بسهولة"، من جهة أولى. مَن اعتمـــد بالروح والماء ابتعد عن محيط الخطيئة. لا يمكننا أن نعبد ربَّين. القداسة ليست تسمية بل مسلكيّة.

إيمان القدّيسين ظهر من أعمالهم. فهنا يعدّد بولس إنجازات وتقدمات بعض القدّيسين من العهد القديم. لقد واجهوا الملوك وقهروا الممالك، سدُّوا أفواه الأسود كدانيال وتعرّضوا للسّيف وعُذّبوا بقطـــع وتـــوتير الأعضـــاء والضرب، و لم يقبلوا بالنجاة ليحصلوا على قيامة أفضل. ذاقوا الهزء والجلـــد والقيود والسجن، رُجموا، نُشروا، طُردوا... و لم يتخلّوا عن إيمانهم. لقد دفعوا ثمن هذا الإيمان كلّ حياتهم.

يُعرف الإيمان من أعماله (غل ٥، ٦)، وهذا هو اختبار الإيمان الحقيقيّ عن الإيمان السطحيّ. في إيمان سطحيّ لا يعمل الروح القدس. الروح القدس

شريكنا وليس مسيِّرنا! الروح القدس يسكب نعمته على حجم أتعابنا. فمَن يُلقى للأسود شهادةً يسدّ بالروح أفواهها. إنّ زمن الراحة (الكسل) هو زمن مسروق من الروح. لهذا من ناحية ثانية، بعد أن يطلب بولس منّا أن نبتعد عن محيط الخطيئة أوّلاً، يقول: "ولنسابقْ بالصبر في الجهاد الذي أمامنا". لا يكفي أن نؤمن، ولا أن نرفض الخطيئة بل يجب أيضاً أن نسابق بالجهاد مقتدين وناظرين إلى رئيس الإيمان (الجهاد) ومكمّله يسوع.

"ما المنفعة يا إخوتي إنْ قال أحدٌ إنّ له إيماناً ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان (السطحيّ) أن يخلّصه؟ هكذا الإيمان دون أعمال ميت بذاته. أَرِني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني"!

"القدّيسون يدينون العالم" (١ كور ٦، ٢) لأنّهم يشرحون إيمانهم من أعمالهم. أمّا العالم –سائر الناس بالإيمان السطحيّ– فيدينهم إيمانُهم هذا بدون الأعمال! لا تكفي العبادة لله إن لم تقترنْ بالطاعة له!

الإيمان يفرزنا. كلمة قدّيس تعني مخصّص أو مميّز، بمعنى القطع والفصل عن كلّ شيء عاديّ. مَن يتقدّس هو مَن يبتعد عن "الخطيئة المحيطة بنا بسهولة". ولكن مَن يتقدّس يجتهد أيضاً بالصبر والأعمال والأتعاب لكي يصير هيكلاً للروح وإناء قابلاً لسكب نعمته. بقدر ما نطهّر أنفسنا بقدر ما نستدعي الروح القدس ونعمته؛ ويتحقّق فينا من قداسة الله قداسة.

كلُّنا مؤمنون بشكل أو بآخر. لكن خيار القدّيسين كان حياة التقديس بالأتعاب، أمّا خياراتنا مرّات عديدة فتعتمد على إيمان دون طهارة في المحيط ودون جهاد وهكذا خيار لا يقدِّس. إنّ الروح يسكب نعمته علينا جميعاً فيستدعينا إلى "الفرز" وإلى "الجهاد". فمَن ابتعد عن الخطيئة كرامة للروح

ومَن سار شوطاً في الأتعاب بالصبر أكرم سكب الروح عليه. أمّا مَن خلط بين الروح والدنيا أهانه، أو نال الروح وسكن للكسل أيضاً طرده!

قدرُ العنصرة وسكبُ الروح في خيارنا، الروحُ شريكنا يستنهضنا إلى العفّة والأتعاب، يشاركنا حين نسعى لكنّه لا يجبرنا ولا بالسّحر يبدّلنا! بين العبث وبين التقديس يقع حدث العنصرة. بعض يختاره للتقديس، وآخرون يتهاونون فيه ويرمون نعمته للعبث.

لهذا سيَدِين القدّيسون العالم. لا يحقّ لإنسان أن يتعلّل ما دام بشر من بشرته فتحوا صدورهم شراعاً لهبوب الروح القدس، وهو مال عن مهبّ الروح إلى اللذّات أو الكسل أو أيّ وثن.

لقد انسكبت البارحة في الأحد الماضي نعمة الروح القدس وهي تنسكب كلّ حين في أسرار الكنيسة علينا. وهذا الأحد تضع الكنيسة أمامنا كلّ هذه السحابة من الشهود (على قدرة الروح في ضعف البشر) الذين قهروا الممالك وسدوا أفواه الأسود ونالت نساء منهم أمواتهنّ القيامة... وذلك كما يفعل بولس في ختام الرسالة اليوم ناصحاً أن نكون "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع" في جهادنا فلا نتهاون بل نكرم الروح المنسكب علينا فيصير لا لدينونة بل لتقديسنا كالقدّيسين، آمين.

رو ٢، ١٠-١٦

الأحد الـ ٢ بعد العنصرة

شباك الله وصيادي الناس

– المسيحيّة والأديان –

"يا إخوة، المجد والكرامة والسلام
لكلِّ من يفعل الخير من اليهود أوّلاً ثمّ من اليونانيّين"

يكلّمنا النصّ الإنجيليّ لهذا الأحد عن شباك وعن صيد للناس. وهنا في رسالة بولس الرسول يعرّف الدين بالأعمال، لأن "ليس عند الله محاباة للوجوه".

ما هي الأديان وما هي المسيحيّة بالمقابل؟ الأديان عموماً هي تلك الشباك التي تصطاد الناس إلى الله. الأديان كلّها خيوط يشدّ الله بواسطتها الناسَ إليه. الميل البشريّ إلى الإيمان فطريٌّ، والاتجاه إلى الله هو في العقلانيّة. لذلك كان من الطبيعيّ أن يخلق الناسُ أدياناً لهم، وأن يكوّنوا صوراً عن خالقهم وعن علاقتهم به. فجاءت الأديان وليدة حضارات تحمل مزاياها وتعبر عنها أيضاً.

يعُلن بولس الرسول، بجرأة منقطعة النظير، أن العبادة الحقّة والدين الحقّ هو الأعمال، "فالمجد والكرامة والسلام (من الله) يُعطى لكلّ مَنْ يفعل الخير، لليهود أوّلاً ثمّ للوثنيّين أيضاً. لأنّ الأمم الذين ليس عندهم الناموس فهم ناموس لأنفسهم"، ولديهم ناموس الضمير الذي به يعملون ما يطلبه الناموس المكتوب. ويبدو أن بولس يرى أنه "يوم يدين الله سرائر الناس بحسب الإنجيل" سيدينهم بحسب ضميرهم، أي بحسب الناموس الذي لديهم.

إنّ نظرة القدّيس بولس تتقبّل الأديان الصالحة كلّها وترى بها طرقاً "لفعل الخير". فمن لم يصلْه الإنجيل سيدينه الله على كتابه أو على ضميره... "لأنّه ليس السامعون للناموس هم أبراراً عند الله وإنّما العاملون بالناموس هم يبرّرون".

إذن ما هي المسيحيّة بين كلّ هذه الأديان؟ هل هي إحدى هذه الشباك وخيط بين كلّ تلك الخيوط بيد الله؟

المسيحيّة تمتاز أوّلاً بأنّها ليست من صياغة بشريّة. فهي ليست ديناً بمعنى أنّها فلسفة بشريّة حول معرفة الله. المسيحيّة هي كشف إلهيّ وليس اكتشافاً بشريّاً. فلقد كلّم الله الناس قديماً بالضمير وبالناموس والأنبياء. ولكن لما تمّ ملء الزمان كلّمنا بابنه الوحيد.

الأديان تحمل حقائق من الحقيقة، تتكلّم عن الله كما تتصوّره حضاراتها. لكن المسيحيّة تكلّمت عن الله الذي "صار جسداً لأجلنا" و"الذي لمسناه ورأيناه". المسيحيّة تصف الله الذي جاء إلينا ورأيناه ولا تتفلسف عن إله ما لدينا ميلٌ إلى عبادته. المسيحيّة إذن لا تكشف لنا عن الله بل اقتبلتْ الله

فملكتْ كامل الكشف الإلهيّ. المسيحيّة هي كمال الحقيقة. فهي بالتالي الدرب الأسلم والأقصر والأسهل إلى الله.

إذا كان الله في بعض الأديان يحمل صفات تجعله في سماه بحيث لا تلمس نعمتُه قلبَنا، أو إذا كان الله في طرائق الأديان ما هو إلاّ كالقاضي أو المنتقم أو البطاش أو إله خمرة أو إله حرب أو إلخ... إلهٌ كهذا لنا الحقّ بأن نقتله لنحيا أحراراً كما نادت شيوعيّة السنوات المنقضية، وكانت على حقّ (بذلك)؛ إلاّ أنّ خطأها كان في أنّها جهلت الإله الحقيقيّ؛ إله آبائنا المتجسّد الفادي الخادم والعبد المتألّم حتّى من أجل صالبيه ومبغضيه، حتّى لهؤلاء الشيوعيين كان هو فاديهم، وألمه كان أنّهم استلموا عنه ما ليس فيه ووصلهم عنه صفات هو يتبرّى منها، وطعنوه حين تنكّروا عليه حبّه، واتهموه بقاتل الإنسان وهو الذي يموت لأجلهم. "أيّ إله عظيم مثل إلهنا" يصرخ المسيحيّون في أعيادهم الكبرى. إنّها صرخة نابعة من خبرة تلمّس الحبّ الإلهيّ المتأجّج في داخلهم ردّاً على الحبّ الإلهيّ اللامتناهي.

ما موقف المسيحيّ إذن من الأديان الأخرى؟ تتراوح المواقف بين عدائيّة متعالية إلى متسامحة ومتقبّلة لدرجة أنّها تساوي المسيحيّة بغيرها من الأديان أحياناً.

والموقفان خاطئان. فالمسيحيّ ورث مسيحيّته بالصدفة عموماً، ولم يخترع هو هذا الدين، ولم يكتشفْ هو حقيقة الله، إنّما مجاناً استلم الكشف الإلهيّ الكامل، وبحسب إنجيله الذي استلمه عليه إذن مجاناً أن يعطيه.

عندما نسمع كلمات بولس الرسول عن الضمير وعمّن ليس لـــديهم ناموس مكتوب، وبكلمة أخرى عندما نتذكّر من كلّما ته جميع الأديان غير المسيحيّة نتذكّر على الفور كلمته "الويل لي إن لم أبشّر" و"فإن لم يســـمعوا كيف يؤمنوا وكيف يسمعوا إن لم نُرسلْ"؟

الآخر ليس عدوًّا، ومسيحيّتي ليست مشابهة لسواها! الآخـــر قريـــب ومسيحيّتي حقّه. المسيح كلمتي إلى كلّ قريب. المسيحيّ يقبل بكلّ دين على أنّ ذلك هو بسبب نقص البشارة. وليس لي بمسيحيّتي فضل ولكن لي تجاهها واجب الكرازة. المسيحيّ هو سفير حبّ المسيح في العالم إلى أن يصير المسيح هو الكلّ في الكلّ، آميـــن.

رو ٥، ١-١٠

الأحد الـ ٣ بعد العنصرة

سـلام التـبـريـر

"قد بُرّرنا بالإيمان. فلنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح"

بولس الرسول هو رسول التبرير، والتبرير بالإيمان. إنه بوقُ الإيمان المسيحيّ والثائرُ على فريسيّة النواميس وعلى الحرفِ الذي يقتل، إنه المبشر بالروح الذي يُحي. وهنا في الرسالة اليوم يكشف لنا بولس عن سرّ التبرير ودروبه.

حياة الإنسان هي شبكة من العلاقات تصله بالناس، وأهم ما لديه هو سلامة هذه العلاقات، وهذا ما يعطيه السلام. ولكن أن تكون هذه العلاقات كلّها في سلام ودون اضطراب ليس بالأمر السهل. تتكرر الاضطرابات وتتعدّد، ومنها ما يصل للصراعات أيضاً، وهكذا يختفي السلام. فيعود الإنسان ليحاول من جديد من أجل بناء السلام. السلام هو المطلب العميق في القلب البشريّ. لذلك جاء يسوع إلهَ السلام.

في كلّ منازعة يحاول الإنسان أن يكون على حقّ، أي أن يستطيع تبرير مواقفه. ويحاول كلٌّ منّا أن يبرهن في علاقاته أنه عادل – على الأقل- أو أيضاً متفضّل ومضحّي، وذلك ليُقِيم برَّه. لكن إذا كان هذا ممكناً مع البشر، فهل هذا ممكن مع الله؟

"لا يتزكّى أمام الله أي حي" (مز ١٤٣، ٢). لأنّه في حالات النـــزاع مع البشر يمكن للواحد أن يلوم الآخر، أما في العلاقة مع الله المحب فكل خلل يعود لخطيئتنا. لذلك إن الميل البشريّ للتبرير مع الله لا يمكنه أن يتحقق إلا عندما يثق الإنسان بالرحمة الإلهيّة وليس بالبرّ الذاتي. لأنّه كما يقول داؤود النبي "إن كنت للآثام راصداً يا رب... من يثبت لأن من عندك الاغتفار" (١٣٠، ٣)

حاولت الأديان عامة، واليهوديّة في العهد القديم حلّ هذه المعضلة. فكانت المحاكمُ تقضي بين الناس وتبرر هذا وتحكم على ذاك. ومع الله، كان لا بدّ من تحديد قانون للعلاقة بينه وبين الإنسان. ولهذا ابتدع الناس الشرائع. وتفنّن الأتقياء في العهد القديم بتفسير الوصايا العشرة وبتحديدها بدقة، لذلك شرّعوا في سبيل حفظ عشرة وصايا الإلهيّة الآلافَ من الوصايا البشريّة. وكان على الإنسان اليهوديّ حفظها، ليحفظ اللهُ معه عهدَه. وحاولت الشريعة تسوية مسألة "التبرير" مع الله. لهذا وقف الفريسيّ مفتخراً بانتصاره وحصوله على تبريره، نعم ومع ضمانات قويّة، فهو يصوم مرتين في الأسبوع مع أن الشريعة كانت قد حددتْ يوماً واحداً للتبرير أمام الله! هكذا لعبت الشريعة دور إعطاء السلام للقلب البشريّ، وأقنعته أن التبرير أمام الله في متناول

الإنسان، حين يحفظ وصاياها العديدة. لهذا تقدم ذلك الشاب الغني والتقي إلى المسيح، بعد أن طبّق كلّ الشرائع، وسأله هل هناك أمر بعد يمكنني أن أعمله لأخلص؟ وبعد أن ظن أنه أكمل الشريعة، قال له يسوع إن إكمال الشريعة ليس الكمال، وتحقيق وصايا الشريعة لا يعني حكماً التبرير... "إذا أردت أن تكون كاملاً بِعْ كلَّ ما لك...". يصوّر هذا الشاب الصورة المثاليّة لأتقياء العهد القديم! لكنّه لم يكن كاملاً في نظر يسوع مع أنه أكمل كلّ الشريعة. وهذا يعني أن الله يطلب شيئاً آخر بعدُ، ما بعد كلّ الشرائع! لم يُسّر الله بهذا الشاب المثالي، مع أنه حفظ كلّ الوصايا!

يسوع المسيح كشف عن العلاقة الحقيقيّة التي تبرّر الإنسان. إنه الإنسان الوحيد الذي سمع بالمطلق أن الله سرّ به: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ"، أي أنه قدّم كلّ ما كان اللهُ ينتظره في الإنسان.

لهذا يشدّد بولس الرسول أن الإيمان بيسوع المسيح هو الذي يبرّرنا، وليس الشريعة (رو ٣، ٢٦). ولكن تفسير ذلك يختلف عند البعض. فلقد بالغت الفئات البروتستانتية، كردّة فعل على تركيز الأهميّة في الأعمال عند الكنيسة الكاثوليكية، بالغت في التشديد على الإيمان، وكأنه يعني مجرّد الاعتراف بيسوع رباً: "آمن تخلص"! لكن الإيمان بيسوع ليس هو مجرّد الاعتراف به، وإنّما الاقتداء به. الإيمان بيسوع يعني اتّخاذ طريقة يسوع في التبرير. إن يسوع المسيح يؤهّلنا لنتخّذ الموقف الصحيح في الحياة الذي ينتظره الله منا.

لقد جاء يسوع، وكما صرّح في صلاته الوداعيّة للتلاميذ، لنعرف نحن الآب، أي ليعلّمنا أن نقيم العلاقة مع الله كأب. لما سأله التلاميذ: علمنّا أن نصلي، قال: صلوا هكذا "أبانا الذي في السماوات"! ولو قدّمنا لله الفضائل ولو بذلنا من أجله كلّ ما لنا... فإننا نظلمه ونسيء للعلاقة معه؛ ولا نتبرّر إذا لم نعرفه أباً. فماذا يفيد حفظ الوصايا كلّها حين نجعل الله قاضياً أو خالقاً... فحسب، ولا نناديه "أباً أيّها الآب"، كما ناداه يسوع؟ وهذا يصح حتّى في العلاقات البشريّة. فلا يعطي الولد حق أهله مهما جازاهم خيراً عندما يكبر، إلا إذا حفظ لهم الشعور أنه ابنهم.

ليست العلاقة مع الله نواميسَ تدينُ أو تبرّر تصرفاتنا. أي ليست العلاقة هي مسألة برّ أو شرّ! ليس المعيار هو مقدار فضائلنا أو هول خطايانا. وهذا لا يعني أن نتساهل بذلك. العلاقة مع الله هي حفظ موقع الأب له في القلب. وبعد ذلك تأتي الفضائل كنتيجة أمام كرامة هذا الموقع. برّنا هو أن الله تبنّانا. وبولس الرسول هو معلم سرّ "التبنّي". لقد صرنا أبناء الله. والابن يُخطئ أحياناً ويُحسن أحياناً أخرى. لقد أخطأ الابن الضال. وكان كلّ شيء في حياته يدينه ولا يبرّره. لقد قسم المعيشة وهذا يدينه، وغادر البيت الأبوي وهذا يدينه، وصرف ماله عبثاً في الخطايا وهذا يدينه، الخ... لكنّه لم يقتل في قلبه كلمة "أب". وهو في عمق الخطايا قال "كم في بيت أبي من أجراء...". وهذا الشعور برّره. لقد عاد إلى أبيه وفي يديه فقط أحكاماً عليه وليس فضائل يفتخر بها. لكنّه لما قال "لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً" نال استحقاق التبرير. لا نعدلُ مع الله إلا إذا دعوناه "أباً". لا يُسَّر الله بمقدار فضيلتنا بقدر

ما يرضى بنا كأبناء. الخطيئة هي حدث عابر في حياة الابن –الإنسان. لكن إنكار الهوية البشريّة (البنوّة) تُبطل الحقيقة الإلهيّة (الأبوّة) وهذه هي الخطيئة الحقيقيّة.

جاء يسوع ليعلمنا أن نصلي "أبانا" الذي في السماوات. تبريرنا هو أن نحافظ على هديّة "التبنّي". أمّا خطايانا في مسيرة الحياة فتجعلنا نختبر أكثر بالتوبة أبعاد المحبّة الأبوية، وهذه المحبّة تدعونا دائماً للتوبة. لا فضيلة لنا تبررنا إلا الشكر "على محبّة الله التي أُفيضت في قلوبنا... لأنّه إذ كنا بعدُ خطأة مات المسيح عنا". لنصلِّ "أبانا..." وهذه الصلاة ستطهّر قلوبنا وتبررنا رغم عدم استحقاقنا، آمين.

رو ٦، ١٨- ٢٣

١ الأحد الـ ٤ بعد العنصرة

حريّة عبد البرّ وعبوديّة أحرار!

"يا إخوة بعد أن أُعتقتم من الخطيئة أصبحتم عبيداً للبرّ"

بولس رسول الحريّة، فكيف يقول إنّه "بعد أن نتحرّر من عبوديّة الخطيئة نصير عبيداً للبرّ"؟ لقد امتازت كتابات بولس الرسول بفنون عديدة منها "التضّاد"، أي يستخدم صوراً متعاكسة ليوضح المعنى. لذلك يتابع الرسول: "فإنّكم كما جعلتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، كذلك اجعلوا أعضاءكم عبيداً للبرّ قداسة"، وهنا يظهر المعنى أوضح.

يستخدم بولس هنا عبارة "عبد"، فهي صورة شائعة في ذلك الزمان لإنسان يُشترى وليس له بعد سلطة على ذاته. فعبد الخطيئة تقوده اللذّات، وعبد البرّ اشتُري بدم المسيح، فيتوجَّب عليه إذن أن يصيِّر ذاته "عبداً" للبرّ للقداسة: "لسنا بعد لأنفسنا".

لكن السؤال الأنثروبولوجيّ العميق مطروح فعلاً: ما الذي يحرّر الإنسان؟ أَهي الخطيئة أم البرّ؟ للبعض يحرّر الإنسانَ التهافتُ على اللذّات وإشباعُ كلّ رغبة. لآخرين لا يحرّر الإنسان شبع اللذّات، فهذه الأخيرة كالماء

المالح كلّما شربتَه كلّما ازددتَ عطشاً، بل يحرّر الإنسانَ البرُّ، أي تحرّره من الخطيئة.

أيّة حركة تحرّر تقود، إذن، إلى الحريّة الحقيقيّة للإنسان؟ الجميع يَعِدون الإنسانَ بالحريّة، ولم تصدق الوعود! يكلّمنا الكتاب المقدّس عن "حريّة أبناء الله"، وخاطب يسوع تلاميذَه قائلاً "لستُ أدعوكم بعد عبيداً بل إخوةً"! حركة التحرّر هذه بحسب الكتاب المقدّس هي حركة البرِّ، أي الالتزام بالفضائل المسيحيّة وهذا ما يعنيه بولس: "اجعلوا أعضاءكم عبيداً للبرّ للقداسة". يحرّر الإنسانَ النسكُ بالمعنى العميق له. للنسك مظهر سلبيّ ومعنى إيجابيّ. فالنسك يتطلّب أعمالاً قاسية في الفضائل، مثل الصوم والسجود والمسامحة والإحسان...الخ، وكلّها للوهلة الأولى صعبة وتحتاج "لغصبٍ" شديد: "ملكوت الله يغتصب اغتصاباً" (متى ١١، ١٢) وهذا ما يسمّيه بولس "عبوديّة البرّ" وهو الوجه السلبيّ للنسك. لكن حياة الفضيلة، وهذه العبوديّة الظاهريّة في المرحلة الأولى، هي التي تقودنا إلى التحرّر من أهوائنا وميولنا المتسلّطة والقاسية وتقودنا إلى حياة البرّ، أي الحريّة، وهنا هو الوجه الإيجابيّ للنسك، وهو الشعور بالتحرّر الحقيقيّ. عندها نصير "أبناء الله" لا يتسلّط علينا أيّ شيء وإنّما نحكم كروحانيّين على كلِّ الأشياء.

الإنسان رجلُ الرغبات تقوده شهواتُه! فإن اشتهى ما هو دنيءٌ من الدنيا صار عبداً للذّات التي لا تَشبع، فتتسلّط عليه هذه ويتشبّه عندها بالحيوانات كإنسان جسدانيّ؛ أو يشتهي السماويّات، وهذه تُغتصَب بالغصب

والجهاد، عندها يجد صورته التي يبحث عنها في عمق أعماقه، صورةَ الله التي خُلق عليها. إنّ الفضيلة هي الطبيعيّة، وإن كان تحقيقها في عالمنا صعبٌ، والرذيلة هي عكس الطبيعة وقهرٌ لها، وإن كان الزلل فيها في عالمنا سهلاً. لذلك حين نستعبد أنفسنا للبرّ (نغصب ذواتنا في الجهاد) نتحرّر، وإذا ما تركنا الخطيئة تتسلّط علينا استُعبدنا حقاً.

"اعرفوا الحقّ والحقّ يحرّركم"، "لأنّه حيث روح الله هناك الحريّة" (٢ كور ٣، ١٧). نعم نحن الأحرار عبيد يسوع المسيح، "بولس عبد يسوع المسيح" هذا هو الحرّ الأكبر، وبهذه الكلمات افتتح بولس أغلب رسائله معرِّفاً مستمعيه عنه، ليناديهم وراءه إلى الحريّة الحقيقيّة.

طاعة يسوع المسيح تعني حفظ وصاياه والجدّ وراءه في طريق الحريّة. طاعتنا ليسوع تحرِّرنا. وهذه الطاعة هي أبعد ما تكون إكراهاً وخضوعاً سلبيّاً؛ فهي انضمام اختياريّ حرٌّ إلى القصد الإلهيّ لأنّنا أحببناه، واخترنا أن نحيا به وله. نهاية "وعاقبة هذا البرّ هي الحياة الأبديّة" والحريّة. إنّ الطاعة ليسوع المسيح هي التعبير عن محبّتنا لله وكرهنا للخطيئة "والأمور التي يُستحى منها". عندما يكون الإنسان "عبداً للخطيئة لا يستطيع إظهار طاعته لله" (رو ٧، ١٤). ليست الطاعة ليسوع عبوديّةً، وإنْ كانت تجعلنا لسنا لأنفسنا، إنّها خطوة حبٍّ وثقة. لذا يتكلّم الكتاب عن: "محبيّ وحافظي وصايا الله" (خروج ٢٠، ٦).

الإنسان توّاق إلى السماويّات، لكنّه مأسور من ضعفاته وعبدٌ لبيئة تشدّه إلى أسفل، فهو يغصب ذاته وينسك ويتعبَّد بالبرّ كالعبد ليسوع المسيح، حتّى إذا ما صعد في السلم الروحيّة يبدأ يتلمَّس حريّة أبناء الله، فيعرف الحقّ

وهذا الحقّ يحرِّره. هذه الخبرات في الجهاد والتحرّر تجعل الإنسان يصرخ كلّ حين، كما هتف الرسل السجناء كالعبيد، "الأفضل أن نطيع الله لا البشر" (أع ٤، ١٩).

حوار حادّ يدور بين يسوع واليهود، هو يصفهم بالعبيد (للخطيئة) وهم يدّعون الحريّة (القوميّة): قالوا له: "إنّنا ذريّة إبراهيم و لم نُستعبد لأحد قطّ، أجابهم يسوع: الحقّ أقول لكم إنّ كلّ مَن يعمل الخطيئة هو عبدٌ للخطيئة، والعبد لا يبقى في البيت للأبد، أمّا الابن فيبقى للأبد... فإن حرّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو ٨، ٣٢-٣٦)!

هذه هي حريّة عبيد البرّ، إنّها الحريّة الحقيقيّة التي تمحو أتعاب البرّ وعبوديّتها. أمّا حريّات الناس التي لا حقّ فيها لا تحرّر. إشباع اللذّات لا يحقّق الذّات البشريّة بل يستعبدها، وأتعاب البرّ تحرّر الإنسان وتعتقه. يسوع هو محرّرنا لأنّه يجعلنا أبناء الله بالبّر. هناك حريّة وراء مظاهر النسك السلبيّة التي تبدو كالعبوديّة، وهناك عبوديّة قاسية وراء كلّ خدعات التحرّر والإباحيّات. الإنسان في حركة شفاء من عبوديّة الخطيئة إلى حريّة البرّ، وهذه الحركة تتطلّب أن "نستعبد أعضاءنا للبرّ" إلى القداسة التي تحرّرنا، آمين.

رو ٦، ١٨- ٢٣

٢ الأحد الـ ٤ بعد العنصرة

عبوديّة وعبادة

"يا أخوة بعد أن أُعتقتم من الخطيئة أصبحتم عبيداً للبرّ"

الإنسان هو "رجلُ الرغبات". لا يوجد إنسان دون قلب وعواطف، وفي هذا الجميعُ يشتركون معاً، الأبرار والأشرار! لكن ما يختلف فيه إنسانٌ عن آخر هو خياره في تحديد ما يحبّ ويعشق. لهذا يقول الأدب الرهبانيّ المسيحيّ: الراهب يستبدل عشقاً بعشقٍ، يستبدل عشق الماديّات بعشق السماويّات. لهذا وإن كان بولس الرسول يستخدم هنا كلمتَي عبد وعبوديّة نحو الخطيئة كما نحو البّر، إلاّ أنّه يعنيهما بشكل مختلف.

ما يقصده بولس هو ما تعنيه كلمة عبد، إنّه الإنسان الذي يسير وفق وصايا سيّده وليس هو عبد لذاته. وفي هذا المجال هناك مَن يسير وفق أوامر غريزيّة وهناك آخرون اختاروا أن يصلبوا الجسد مع شهوته وغريزته ليعيشوا بحسب وصايا السيّد. الأوّل تستعبده وتقوده وتسيّره رغباته وغرائزه الفطريّة. أمّا الآخرون فقد اختاروا أن يتحرّروا من أسر الغريزة لكي يحبّوا ويعبدوا عالم

الروح والسماء. نعم يزداد حبُّ هؤلاء للكلمة وللسيّد، لقد جذبهم بصـــلبه وتضحيته وحبّه الذي ليس هناك أعظم منه: أن يبذل المرء نفسه عن أحبّائه، فاختاروا أحرار أن "ينعتقوا" من الخطيئة والغريزة والرغبات الماديّة، ليعبدوا الله حبّاً وشوقاً ويسمّوا أنفسهم "عبيد البرّ". هذا الفرق يمكننا لفظيّاً أن نميّزه في استخدامَين منفصلَين لكلمة عبوديّة أي: عبد وعابد، عبوديّة وعبادة. حيـــث في الاستخدام الأوّل تقهر الغريزةُ والرغباتُ عشقَ الإنسان للسماويّات، وفي الاستخدام الثاني تحرّر فيه قوّة الكلمةِ ونعمةُ الروح الإنسانَ مـــن عبوديّـــة الخطيئة، فيعشق ما تميل إليه النفس البشريّة من سموّ ورفعة.

تتردّد كثيراً في صلواتنا الصور والتسابيح التي ترفع من "المجد الإلهـــيّ". ونؤمن ونقول إنّ الله خلقنا لنشاركه مجده. ولكن كلمة "مجد" هذه لطَّختها الأيّام والممارسات الدنيويّة، وصرنا نقرؤها مشوَّشة في إطارها الأصليّ الإلهيّ. المجد الإلهيّ ليس العظمة. وساعة مجد يسوع، "ساعتي" كما كان يكرّرها في الإنجيل، هي ساعة سكب محبّته للحدّ الأقصى. المجد الإلهيّ هو العشق البشريّ العميق والأصيل. المجد الإلهيّ هو الشهوة البشريّة الدفينة، والضائعة أحيانـــاً! المجد الإلهيّ هو المحبّة والسموّ والأناة والرفقة والحنان والبذل والفداء وكلّ برّ، وهذه أجمل شهوة!

لذلك تكثر في صلواتنا السجدات لمجد الله، "بيتُك ملآنُ مجداً". وتسيطر على الجوّ مشاعر الانكسار والخشوع والرهبة، وفي لهجة الرهبان هذه الرهبة هي "الدهشة" من الجمال الإلهيّ.

وتتفنّن الكنيسة بوصف السيّد بملك وربّ وسيّد... وتــردي عليــه (يسوع) أجمل ألبسة الملوك والتيجان والذهب في أيقوناته. ولكن حاشى لنــا أن نخلط بتأثير عالميّ دنيويّ معنى ملوكيّة السيّد مع أشكالها الفاسدة والمزيّفة غالباً في دنيانا، لا بل ليصير هذا المجدُ- الخدمة والفداء- وهذا السموّ- البرّ- مثالاً أمام كلّ ملكٍ أرضيّ أو سيادة.

الانعتاق من العبوديّة والدخول في حريّة ولهفة العبادة يتمّ يوم المعموديّة. وهذه هي اللحظة التي يشير إليها بولس: "يا إخوة إذ أُعتقتم من الخطيئــة". لكن نحن "عابدي" الله والمتحرّرين من الخطيئة، وللأسف، لا نثبت في العبادة ونعود مرّات عديدة إلى الزنى مع العبوديّة لإنساننا القديم، ولا نحفظ العهــد بالتحرّر لننال فيض النعمة.

قال راهب لأبيه في الدير، يا أبتِ سقطتُ أجابه: انهضْ. قال نهضتُ ثم عدتُ وسقطتُ. أجاب الأب عدْ وانهضْ... قال وحتّى متى يا أبتِ، أجاب حتّى يداهمك الموت فيجدك إمّا ساقطاً أو ناهضاً! "البارّ وإن ســقط ســبع مرّات في اليوم ينهض سبع مرّات"! حريّة أبناء الله ليست تحصيل حاصل فور يوم المعموديّة، يوم المعموديّة هو مفترق في الحياة لكنّه ليس نهايتها بل البداية. على الطريق الجديدة سنتعثّر ونسقط، ولكن حاشى لنا أنْ نيأس! سننهض.

يوم المعموديّة هو اليوم الذي "نرفض فيه الشيطان" ونلازم المسيح، أي نلتزم به. إنّها اللحظة القرار أنّنا سنتشبّه بصورتنا الأصليّة- الله- ونرفض أن نتصوّر على الخدعة المعروضة وغواياتها في العالم- الشيطان. وهــذا الأمــر يتحقّق بمسيرة نسمّيها "تنشئة مسيحيّة". و يكلّمنا بولس عن أطفال بــالروح

(كانوا رجالاً معتمدين حديثاً) وعن طعام اللبن لهم، الذين لن يعطى لهم اللحم ليمضغوه حتّى يصيروا رجالاً بالروح أي كاملين بممارسة الفضائل. نحن إذن ننمو "إلى ملء قامة المسيح" من أطفال. لهذا من الطبيعيّ أن نتعثّر وننهض. الخطيئة ليس الحدث الخطأ فالطفل يخطئ، لكن الخطيئة هي أن نبقى في الخطأ عندما نكتشفه ونعرف الحق. "الخطيئة هي عدم التوبة". الذي يخطئ ويتوب أفضل ممّن يعمل الصلاح ويتبجّح! لقد أحبّ الربّ يسوع الخطأة الذين تابوا أكثر من الفريسيّين الذين برّروا ذاتهم بحفظ الوصايا.

مَن يُتبْ يعرف "التشبّه بالله" أي التقدّم الروحيّ. لكن الوقوف عند حدٍّ مهما كان هذا الحدُّ "بارّاً" هو خطيئة. فالنعمة غنيّة والوقوف يعني رفضها، الله قوّة ويريد الإنسان في حركة تقدّم وتشبّه به من حيث هو، على ألاّ يقف! النعمة تشفي الإنسان من ضعفاته والروح ينشئ النفس على صورة ربّها. "جيّد ألاّ تخطئ لكن إذا أخطأتَ فجيّد ألاّ تؤخّر التوبة. وإنْ تبتَ فجيّد ألاّ تعود إلى الخطيئة. وإذا لم تعدْ إليها فجيّد أن تعرف أنّ ذلك تمّ بمعونة الله. وإذا عرفتَ ذلك فجيّد أنْ تشكره على نعمته وتصرّ في طلب نعمته ومعاضدته! (القدّيس باسيليوس الكبير). كلّ يوم لا تتوب فيه (تتحسّن وتتقدّم) لا تحسبه من أيّام حياتك، يقول القدّيس اسحق السريانيّ.

نعم التوبة هي "معموديّة ثانية" إنّها "معموديّة الدموع"، هذه الدموع التي تسقي نفسنا لتنمو إلى ملء قامة المسيح. "التوبة هي انعتاق من الخطيئة" كما يقول بولس الرسول، بمعنى أنّها كره الخطيئة والإقلاع عنها. إنّ السقوط في الخطيئة بعد المعموديّة أمرٌ منتظَر في عالم التنشئة والتربية، لكن مَن ينشأ

فعلاً مسيحيّاً يقلّ في حياته السقوط فيسلك في النـــور ولا يتعثّـــر كـــثيراً. "حفظتُ وصاياك فما زللتُ". لهذا عندما سأل أحدهم يســـوع قـــائلاً: "إن أخطأ أخي هل أسامحه سبع مرّات! أجابه يسوع: "سبعين مرّة سبع مـــرّات" لأنّ الغاية ليس الحكم على الخاطئ ولكن تنشئته أي أن يعود ويحيا.

هناك نوعان من الضعفات البشريّة نتوب عنها بطريقتَين مختلفتَين فهناك ما نسمّيه بالخطايا والضعفات النفسيّة، ومثالها الحقد والنميمة على الناس... الخ وهذه تُصلَح فوراً بمجرّد معرفتها والانتباه إليها وكرهها. فإذا ما اكتشفتَ مثلاً أن فلاناً، الذي أحقد عليه، كان صديقاً ويستحقّ المحبّة وقد أخطأتُ في حقه، على الفور تتحوّل كلّ مشاعر الاحتقار والحقد إلى مواقـــف اعتبـــار ومحبّة.

لكن هناك ضعفات نتوب عنها ونتخلّص منها بالتدرّج، وهي تلـــك المرتبطة بالطبيعة الجسديّة أكثر مما هي نفسيّة. ومنها مـــثلاً شـــهوة الطعـــام وشهوة الجسد والغضب ...الخ. نكرهُ الغضبَ لكنّنا نغضب على غضبنا ذاته. نقرّر الصوم لكنّنا سريعاً ما نكسره ونعود للطعام، نكره أفكار الزنى لكنّهـــا تعود وتراودنا، طالما نحن مبتدئون في الحياة الروحية "أطفالٌ نتدرّب". لذلك يقول السلميّ إنّ الاعتراف بهذه الخطايا لا يعني التخلّص الكليّ منـــها مـــرّة واحدة، وإنّما التخلّص المبدئيّ منها. ويشبه الاعتراف بهذه الخطايا بمن يقطع رأس الأفعى؛ نقول إنّها ماتت، لكن يبقى ذيلها يتحرّك لساعات.

هذا هو واقعنا البشريّ المشدود من جهتَين، الأرض والسماء. ومَن قرّر بحريّته وخياره وإعجابه وثقته أن يتدرّج على السلّم الروحيّة وأن ينمـــو إلى ملء قامة المسيح "يجعل أعضاءه عبيداً للبرّ"، أي يوجّه كلّ قـــواه الروحيّـــة وحواسّه والجسديّة في طريق العبادة الإلهيّة.

باطل هو السعي صعوداً عندما نسبي حواسّنا وقوانا إلى عبوديّات مـــن أطر الخطيئة. نحن أحرار في اختيار الطريق، بين الصاعدة أو الهابطة. لكن علينا حين نختار بحريّتنا التدرّج إلى فوق أن نخلص السعي. "مَن يضعْ يـــده علـــى المحراث لا ينظر إلى الخلف" كامرأة لوط!

عبوديّة البرّ هذه، التي نختارها أحراراً بفرح، هي التخصّص في خدمـــة ملك السماء عوض "سيّد هذا العالم" إبليس. لا يفيد أن يسير الإنسان للأمام وعيناه تنظران إلى الخلف، سوف يتعثّر. لا يخدم الإنسانُ سيّدَه حين يدخل في صفوف أعدائه. الضفدعة التي تقفز في كلّ الاتجاهات، أمام وراء، لا تتقدّم، يقول الأدب الرهبانيّ.

إذا كانت كلمة "عبد البرّ" هنا تعني العبادة الحرّة فهي تعني أيضـــاً ألاّ نظلم ونستغلّ حريّتنا بالمسيح، أي أنّها تعني "التخصّص" والفرز: "اخرجـــوا وتطهّروا". فلنكنْ صادقين وثابتين في العشق الذي اخترناه، لأنّه لا يمكننا أن نعبد ونحبّ الله والوثن معاً.

إذا أردنا حقّاً أن نعبد الله بالبرّ ونتخصّص له، هذا يعني على الفور أن نكون ساهرين على اختيار عالمنا في ملكوته لا بل أن نجعل نحن ببرّنا العـــالَم ملكوتَه. أبناءُ النور لا يختارون الحارات المظلمة والابن لا يسافر إلى "كـــورة بعيدة".

أعضاؤنا (قوانا ورغباتنا) لن تكون عبيداً للبرّ في الأطـــر والعلاقـــات الدنيويّة الفاقدة الروح. إنّ الأطر الكنسيّة والإنســـانيّة الســـامية والثقافيّـــة والخدميّة والأعمال الشريفة وكلّ ما هو "برُّ" وجميل هم الهيكـــل الكـــونيّ الواسع الذي تتمّ فيه عبادة الله. ونحن الذين أُعتقنا من الخطيئة – بالمعموديّة– نجعل أعضاءنا وحركاتنا تعبد الله بالبرّ عندما نختار أن نحيا في هـــذا الإطـــار الكنسيّ، والأحرى القول بهذا الأسلوب الكنسيّ، حيث المسألة هي طريقـــة مسلكيّة وليست أطراً مكانيّة. لنرسل أبناءنا إلى مدارس الأحد والكشـــاف والأخويّات والتعليم الدينيّ، ولننخرط نحن عائلات كباراً وصغاراً في حيـــاة الكنيسة وأسرارها ونشاطاتها وخدماتها في خدمتها. بهكذا حياة نتابع عبادتنا التي قرّرناها يوم أُعتقنا من الخطيئة (كرهناها) ونصير عبيداً للبرّ أبناءً للنـــور نعرف الحقّ والحقّ يحرِّرنا، آمين.

رو ١٠، ١-١٠

الأحد الـ ٥ بعد العنصرة

الغيرة التي بدون معرفة

"لأني أشهد لهم أن فيهم غيرة الله إلا أنها ليست عن معرفة"

لم يختبر أحدٌ خبرة الألم التي كانت عند بولس بسبب عدم إيمان بني جنسه بالمسيح وتعلّقِهم بالصيغ القديمة للدّين، التي كانت من أجل أن تقودهم إلى المسيح: "لأنّ غاية الناموس هي المسيح للبرّ لكلّ مَن يؤمن" (رو ١٠، ٤). يتألّم بولس على بني جنسه الذين غاروا غيرةً كبيرة لكنّها كانت دون معرفة. وهل يستطيع أحدٌ أن يتكلّم عن خبرة كهذه مثل بولس. لقد غار بولس ضدّ المسيحيّين بدون معرفة، لكنّه عاد واختبر الغيرةَ الحقيقيّة من أجل المسيح، فعرف عن تجربة عميقة وشخصيّة مقدار هول الخسارة في الغيرة التي بدون معرفة.

أجمل ما في الإنسان هي حرارتُه وكذلك حسُّه المرهف واندفاعه. إنّ كلّ ذلك صورٌ عن حيويّة صادقة في داخله. الغيرة والانّقاد تدلاّن على غليان الحياة وعنفوانها. لكن المعيار في الغيرة ليس اتقادَها إنّما طهارتَها وصحّة دوافعها. فالغيرة هي طاقة عند الإنسان ومظهر من مظاهر حبّه وفهمه للحياة.

هناك غيرة من دوافع الحبّ النـــزيه، وهناك غيرة تحرّكها دوافع الحبّ الدنيء. إنّ طاقة الحياة هذه تكون طاهرة حين تحرّكها الدوافعُ من أجل الآخر، وقد تكون فاسدة حين تحرّكها الدوافع الذاتيّة.

"الغيرة بدون معرفة" تتضمّن أمرَين لا تعرفهمـــا الغـــيرة الحقيقيّـــة. فبالإضافة إلى التعلّق بـــ "إيديولوجيّة" ما، تستخدم الغيرةُ التي بدون معرفـــة "تبرير الواسطة" لنيل الغاية أوّلاً، وتلجأ للعنف لتحقيق ما تسمّيه النصر ثانياً. ومن هذَين الأمرَين الغيرةُ الصالحة براء.

"الأفضل أن يموت واحدٌ عن الشعب"، قال رئـــيس الكهنـــة مـــبرّراً استخدام الظلم من أجل المصلحة العامّة! "الغيورون" بدون معرفة لا يهمّهم "الحقّ" وإنّما "النصر"! لذلك حين –برأيهم– لا يعرفُ اللهُ تـــدبير الأمـــور يلجؤون هم إلى حنكتهم، ولا يقبلون نهاية إلاّ النصر على "أعدائهم" باســـم نصر الحقّ الإلهيّ. "الغيورون" (بدون معرفة) لا يقبلون أن يصـــيروا ضـــحيّة لذلك يضحّون بمبادئهم أو بجزء منها لكي يحيوا بفرح غلبتهم الذاتيّة. إنّ عالمنا عالمٌ لا ينصرُ الحقيقةَ دائماً. وإنّ يسوع أثمن شهيد دفعته الحقيقة ثمناً لغلبـــة الشرّ أحياناً على الخير. لذلك يطيعُ الغيورون وصايا الله كلّها بدقّة كـــبيرة، ولكن هذه أيضاً تخضع لهم وتطيعهم، حين يختارون منها ما هو للاســـتثناء. فيبيحون القتل مثلاً من أجل الحقّ والمصلحة العامّة، أو يستبيحون الكذب من أجل القضيّة التي يدافعون عنها بل يحيون عليها... وهكـــذا "تـــبرّر الغايـــةُ الواسطة"! بالنهاية "الغيورون" هم، بأعين أنفسهم، جماعة "أدرى من الله" في تنفيذ الوصايا الإلهيّة، فيُبطلون منها القسم الذي يرونه في لحظة ما لا يحقّـــق

"نصرهم". هؤلاء الغيورون لا يعرفون أنّ الحقّ يطلب شهداءَ للحقيقة أحياناً وليس فقط مجاهدين! لقد صمَتَ يسوعُ أمام بيلاطس، و لم يتنازل عن الطاعة الكاملة للآب! لم يستثنِ يسوع أيّة وصيّة لكي ينجح في بقيّة الوصايا، لقد كانت طاعته كاملة ودائمة لله. لهذا علّم كلّ مَن يريد أن يتبعه (في خدمة الحقّ) أن يحمل صليبه وليس أغصان الظفر؛ وأوصى تلاميذه أن يضحّوا بكلّ شيء، حتّى بحياتهم ذاتها (متى ١٦، ٢٤-٢٥). إنّ الغيرة (بدون معرفة) من أجل البرّ هي إفساد لمعنى البرّ ذاته.

ولا تتوانى "الغيرة التي بدون معرفة" عن استخدام العنف، مع أنّ الحقّ والسلام لا ينفصلان: "الحقّ والسلام تلاقيا". فتستخدم هذه الغيرة ما هو عكس الحقّ لإقامة الحقّ! والحقّ أنّ هؤلاء الغيورين يُقِيمون ذواتهم وليس الحقيقة! لقد غار اليهود جدّاً بسبب العجائب التي قام بها الرسل بعد قيامة يسوع ولجؤوا إلى سجنهم (العنف) (أع ٥، ١٧-١٨). وكذلك الأمر، راح اليهود يقاومون ويجرّفون ويفترون على بشارة بولس عندما غاروا من اجتماع كلّ أهل أنطاكية بيسيدية ليسمعوا كلمة الله (أع ١٣، ٤٤-٤٥).

لقد أدان يسوع ابنَي الرعد عندما طلبا منه استخدام العنف من أجل البشارة (مر ٣، ١٧ لو ٩، ٤٥)؛ ورفض أن يقاوم أعداءه بالسلاح (متى ٢٦، ٥١-٥٣). إنّ الغيرة الطاهرة لا تفضّل "الحقيقة" على "الإنسان"! لذلك لا تسلك إلاّ بالسّلام والحوار والاحترام، لأنّ أعظم ما عندها هو الإنسان ولو كان مخطئاً. على العكس علّمنا يسوع أن "نغصب" ونعنّف ذواتنا فقط،

وليس الآخرين: "ملكوت الله يُغتصب اغتصاباً"، وملكوت الله هو في داخلنا (متى ١١، ١٢).

لقد غار بولس في البداية غيرةً بدون معرفة، فأسر المسيحيّين وساهم في رجم استفانوس، وهو يقول عن ذاته آنذاك: "من جهة الغيرة مضطهِد للكنيسة" (فل ٣، ٦). ولكنّه لما غار بالحقّ عرف الأتعاب طريقاً لتحقيق مناه، وصارت غيرته سباقاً في خدمة المسيح (فل ٣، ١٢-١٤) وصارت له: "غيرة كثيرة لأجلكم" (كول ٤، ١٣).

لهذا لا يتردّد بولس الذي اختبر نوعَي الغيرة، التي بدون معرفة والتي بالمسيح، أن يقول "غيروا للمواهب الحسنة (١ كور ١٢، ٣١؛ ١٤، ١)؛ وأن يردّد "حسنة هي الغيرة في الحسنى" (غل ٤، ١٨).

الغيرة الحسنة تلتزم بأمرَين لا تعرفهما الغيرة التي بدون معرفة. الأمر الأوّل هو الوسائط الطاهرة، ومن هذه الوسائط أوّلاً الصبر ثمّ بذل الذات، وبعده المسامحة والحوار والاحترام؛ أي أنّها تطيع كلّ الوصايا ولا تستثني أيّة وصيّة من أجل باقي الوصايا؛ إن الوصايا الإلهيّة هي سلسلة واحدة، حين نقطع حلقة واحدة منها نكون قد قطعناها كلّها. أمّا الأمر الثاني فهو أنّ الغيرة الحقيقيّة لا تحمل أحلاماً غير طاهرة ولا تغار من أجل أمجاد شخصيّة بل من أجل خدمة الرسالة التي تكرّست لأجلها. فليست غيرةً حسنة أيّة غيرةٍ مواضيعُها غير حسنة.

إنّ الدّين دعوة للتوبة وليس أداةً للتبرير. لذلك "الغيور" الحقيقيّ هو التائب، وبالتالي هو المتواضع وصاحب الصوت المنخفض "والمتكلّم بالسّلام

لجاره بالحقّ". هكذا "يُظهر الله لنفسه شعباً غيوراً" (تيطس ٢، ١٤). ولهـــذا يصرخ فينا ملاك الرؤيا: "كنْ غيوراً وتُبْ" (٣، ١٩)، آمين.

رو ١٢، ٦-١٤

١ الأحد الـ ٦ بعد العنصرة

المواهب وحرارة الروح

"غير متكاسلين في الاجتهاد وحارّين بالروح"

"لأنك فاترٌ ولستَ بارداً ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي"، هذا ما يقوله الشاهد الأمين الصادق (رؤيا ٣، ١٥). سرّ الفرح في الحياة المسيحيّة هو أن نكون "حارّين بالروح"، وإلاّ لَعشنا المسيحيّة دون أن نذوق طعمها الحقيقيّ.

يربط بولس الرسول بين المواهب وبين حرارة الروح، وبالتالي مع الفرح. هناك أمران يجعلان المواهب أداةً لحرارة الروح والعكس صحيح، فإن المواهب دون هذين الأمرين تغدو سبباً للشقاقات الكنسيّة. "التنوّع" في المواهب ومن ثمّ "الوحدة" من المواهب، هما العاملان اللذان يشعلان حرارة الروح.

يشير هنا بولس الرسول إلى "مواهب مختلفة باختلاف النعمة المعطاة لنا". تتنوّع المواهب وتزداد لسببين، الأول هو تعدد الحاجات والضرورات في الكنيسة، والثاني هو وجود أناس غير متكاسلين حارين، في هاتين الحالتين يسكب الله نعمته بغزارة ويعطي المواهب العديدة في حياة الكنيسة عبر

مؤمنيها. فحيث تكثر الخطيئة هناك تكثر النعمة، وحيث الإنسان الحار والمجتهد هناك تكمل نعمةُ الله في ضعفه.

يعدّد بولس الرسول أكثر من مرّة المواهب بتنوّعها و يؤكد على احترامها مهما بدا بعضها بسيطاً أو ضعيفاً: "لا تطفئوا الروح" (١ تسا ٥، ١٩-٢٠). إن تنوع المواهب يُكملُ خدمة جسد المسيح الكنيسة. فكما أن الجسد البشريّ لا يتألف من عضو واحد هكذا لا تكتملُ الخدمة في الكنيسة من موهبة واحدة. إن الحاجات عديدة، للوعظ والخدمة والنبوءة والتعليم، والرحمة، والعطاء، إلخ... وغيرها الكثير يعدّدها بولس في نصوص أخرى.

أما تعدّد المواهب، فيهدّده الخطر بالتمييز، حيث يتعالى عضو على عضو. وتصير المواهب سبباً لمحبّة في رياء. وهذا يحصل عندما تُقيّم المواهب كقدرات خاصّة بالمؤمن، أي ملكية له أو ميزة فيه. بينما المواهب بلغة بولس الرسول ليست الفرادات أو الميزات النوعية التي يملكها المؤمن، إنما هي الهبة الإلهيّة التي أُعطيت لنا "نعمة". فالمؤمن هو وكيل في الموهبة المعطاة له على نعمة الله التي فيها، وليس مالكاً لها. لذلك يحترم المسيحيّ موهبتَه كما أيّة موهبة عند الآخرين. وإذا كانت الموهبة بمثابة العضو في خدمة الجسد، فبحسب الرسول إن أضعف الأعضاء هي أكثرها كرامة. لذلك إذا نظرنا للمواهب على أنها "ميزات" خاصّة فإنها ستقودنا إلى الشقاق. أما إذا استعملنا المواهب كأداة للخدمة فعندها تصير للمحبّة و"نحب بعضنا بعضاً حباً أخوياً".

تساهم المواهب عامّةً في وحدة جسد المسيح (بدل تمزيقه والفوضى فيه) من سببين. أوّلاً من مصدرها الواحد، وهو الروح القدس، إن الموهبة هي

عطيّة الروح. السبب الثاني الذي يقود من اختلاف المواهب إلى وحدة المؤمنين هو غايتها الوحيدة، الحقيقيّة، وهي الخدمة. إن قيمة الموهبة لا تقدر من نوعيتها أو فرادتها أو ندرتها أو حجمها، إنما تقدّر من مقدار خدمتها ومساهمتها في بناء جسد المسيح الكنيسة (١ كور ١٢، ٣١).

لهذا يوصي بولس الرسول "لا تهمل الموهبة التي فيك" (١ تيم ٤، ١٤)، ويذكر أن لكل واحد "موهبته الخاصّة" (١ كور ٧، ٧). يجب أن نفرح بالمواهب وتنوعها. ويجب أن نزداد اتحاداً في تعدّدها لنكمل عمل الخدمة دون نقصان. ويجب أن نتّضع كلّما ازدادت الهبة حجماً. يقول الأدب الرهباني: الشجرة المثمرة منحنية.

فليبحث كلّ منا عن موهبته الخاصّة، وربما عن الكثير من المواهب التي يجهلها في ذاته، أو حتّى أنه يستهين بها. ولنعلم أن كلّ شيء مهما كان صغيراً، لأنّه عطيّة إلهيّة، فإن كرامته كبيرة. ولنعلم أن أهم ما في المواهب ليس حجمها ولا عددها، بل هو استخدامها. إذن لينظر كلّ منا إلى "كيف" يضع مواهبه في خدمة المحبّة التي بلا رياء.

بالوقت ذاته يأخذ المسيحيّ بكلمة بولس الرسول "كونوا غير متكاسلين" لأن الموهبة التي لا توضع في الخدمة تقتل الروح، والموهبة التي تُسخّر للخدمة دون تكاسل تجعلنا حارين بالروح عابدين للرب. ومن أُعطي له الكثير سيُطلب منه الكثير. لا شكّ أنه من المهم في الكنيسة، أن نكتشف المواهب

المعطاة من الروح في كلّ أبنائنا. ولكن بالوقت ذاته تخضع المواهب للتنظـــيم والترتيب بحيث تقود في تعددها إلى وحدة الحياة المسيحيّة.

إن مارسنا المواهب "بالاجتهاد دون تكاسل" وبـــ "المحبّة دون ريـــاء"، عندها تصير أتعابها حطباً لشعلة الروح، آمين.

رو ١٢، ٦-١٤

٢ الأحد الـ ٦ بعد العنصرة

المـــواهـــب والمـــواهـــبيّة

"وادّين بعضكم بعضاً بالمحبّة الأخوية
ومقدّمين بعضكم على بعضٍ في الكرامة"

تُبنى الكنيسة من المواهب الخادمة فيها. ويزداد لمعان الكنيسة بازدياد تعدّد مواهب أعضائها. لن تصل البشارة إلى الجميع إلاّ بغزارة وتلّون المواهب المعطاة للمؤمنين والخدّام. لقد خدمتْ المواهبُ المختلفة البشارةَ بالكلمة في بدايات المسيحيّة. كان بولس الرسول رجلاً حارّاً ونارياً، وحيث ذهب أشعل لهبة الإيمان بقوة. وكان الإيمان بالكلمة يمتّد أسرعَ من امتداد النار في الهشيم، تنفخ فيه كلمات بولس روحاً قويّة. إذا كانت كلمات بولس تشدّد الركب المخلعة اليوم، فلنتصّور كم كانت كلماتُه تلهبُ القلوبَ وتؤجّج مواهب الروح في زمن الكنيسة الأولى، أضف إلى حرارة كلماته "القوى" التي كانت ترافقها من مواهب الأشفية والعجائب...الخ

لكن كان من المنتظر أيضاً أن يظهر إلى جانب أصحاب المواهب بعضُ "المواهبيّين"- إذا صحّ التعبير؛ أي الذين كانت مواهبهم ليست من نفخ الروح القدس ولا من نعمه. ونتذكّر كيف اندفع سمعان الساحر ليشتري

بالمال مواهب الرسل! لقد عانت الكنيسة من ذلك في تاريخها مرّات عديدة وخاصّة في السنوات الأولى للبشارة. "فالموهبة" غير "المواهبيّة". الموهبة هي هبة الروح القدس المعطاة لخدمة بنيان الكنيسة، أما المواهبيّة فهي التفنّن في إبراز القدرات –المواهب– الشخصيّة، أي تلك المَلَكَات البشريّة، خاصّة عندما يكون دافع إبرازها هو المصلحة.

إن التمييز بين المواهب كان حاجة ماسة في حياة الكنيسة الأولى، فأيّها من الروح وأيّها من الإنسان؟ وهل من السهل تمييزها ما دامت تتشابه بالشكل الخارجيّ كثيراً؟ خاصّة عندما تلبس المواهبيّة رداءَ الخدمة والغيرة، عندها يصير هؤلاء المواهبيّون كالذئاب الآتين بشكل الحملان، كما نبّه عنهم الربّ في الإنجيل. لا شكّ أن المواهب والمواهبيات تتشابه كثيراً من وجهها البشريّ كطاقات أو قدرات مميزّة. ولقد حذّر يسوع بخاصّة من المسيح الدّجال، الذي سيتشبّه بالمسيح ذاته في الكثير من المواهب (أشفية، نبوءة،...)، لكن هناك أمر واحدٌ لا يستطيع المواهبيّون التشبّه فيه بالمسيح أو بأصحاب المواهب التي من الروح القدس. فما هو هذا الأمر؟ وكيف نميّز المواهب؟ ما دام ذلك أمرٌ ضروريّ جدّاً.

لقد كان البعض في الأيّام الأولى للكنيسة قد وصلوا إلى حدّ "الازدراء بالمواهب"، وذلك لتكرّر الحالات الخاطئة. حين كَثُرَ عددُ الذين يدّعون الإيمان ويظهرون أشكال الغيرة والاندفاع بأنواعها ويأخذهم الحماس للخدمة بمقدار يندرُ بين المؤمنين، ويسمّون أنفسهم أصحاب المواهب الخاصّة، أو على الأقل يؤمنون بذلك (أنهم غير الآخرين ولهم دعوة خاصّة)، ويتصرفون بناءً على إنهم "مواهبيّون"، وهذا كافٍ ليهدم حياة الكنيسة ويُدّب الفوضى فيها

وينـــزع السلام، وللأسف دون أن يتوقف الكلام الناري عن الخدمة ودون أن تغيب الشعارات الطنّانة عن التفاني! لكن للأسف، يُغيَّب "الروح"!

لهذا يقول بولس الرسول: " لا تخمدوا الروح، لا تزدروا النبوءات، بل تحققوا في كلّ شيء، وتمسكوا بالحسن، واجتنبوا كلّ شرٍّ" (١ تسا ٥، ١٩-٢٢). إذا كان جهاد بولس يسعى إلى "عدم إطفاء الروح" وإلى إشعال المواهب للخدمة، فإن جهاده لضبط المواهب وتمييزها عن المواهبيّات لم يكن أقلَّ. فلم يكن همّه فقط تأسيس الكنائس بل أيضاً "ترتيب" أمور الخدمة والبشارة فيها. ولطالما عاد وزار الكثير من الكنائس التي كان قد سبق وبشرّ فيها وأسسّها، ولكن الآن ليعالج الخلافات والمواهبيّات الرنانة التي ظهرت فيها. لم يختبر أحدٌ كبولس كيف تنير أو تحرق لهبةُ الموهبة حياةَ الكنيسة. فلننظرْ إلى بولس، عكس الآخرين، يدعونا لكي لا نطفئ المواهب ولكي نتحقّق منها، وذلك خوفاً من خطر تزيفها (كأمور فوق الطبيعيّة مثل العجائب والنبوءات وكحماس روحيّ خارجيّ). لم تكن المواهب المزيّفة قليلة (التي من الذات وليست من الروح). ولقد قادت هذه مرّات عديدة وتقود إلى انقسامات في حياة الكنيسة. فما هو القانون الأساسيّ - البولسيّ- لإحياء لهبة المواهب ولكن ترتيبها أيضاً ووضعها في خدمة بنيان جسم الكنيسة وخدمة وحدته؟

"الترتيب" هو القانون البولسيّ (الكنسيّ) الذي يمتحن صدق المواهب، ويفصل بين مواهب الروح المعطاة للخدمة وبين المواهبيّات المرتجلة من الدوافع

البشريّة. فإذا كان بولس يطلب ألاّ نـــزدري بالمواهب وألاّ نخاف مخاطرها وألاّ نطفئ الروح، فهو على الفور يدعو أيضاً إلى اختبارها. ومعيار ذلك هو أن تكون للخير العام وبترتيب.

كيف تترتب المواهب؟ هل المواهب كلّها على مستوى واحد من الأهميّة في حياة الكنيسة؟ هل أهميّة العجائب مثل أهميّة التعليم؟ وهل الأنبياء بأهميّة الرسل؟ أم هناك تفاوت في أهميّة وترتيب هذه الإمكانات والمواهب؟ وإذا كان هناك فارق في الأهميّة، فكيف تترتب المواهب وما هو معيار ترتيبها؟ لا شكّ أن هناك ترتيبٌ مهمّ جداً، وهناك فارق كبير بين أهميّة موهبة عن موهبة أخرى، أي بين مختلف المواهب المعطاة من الروح. يمكننا أن نتصفّح في رسائل بولس النصوص التي يعدّد فيها المواهب الروحيّة، ونحاول أن نستخلص ترتيبها والمعيار لذلك.

يعدّد بولس مرّات كثيرة المواهب المختلفة، وتأتي كلّ مرّة بتنوع آخر وترتيب مختلف، لكنّ مطالعة عميقة وهادئة، وخاصّة عندما نربط بين بعض النصوص الهامّة التي يتكلّم فيها بتخصّص عن المواهب مثل (١كور ١٣، ١-٨: نشيد المحبّة) و(١ كور ١٤، ١-١٩)، تبيّن أن أهمّ موهبة هي ممارسة المحبّة. فإن كانت لي معرفة اللغات والتكلم بألسنة جميع الناس، ولو كانت لي النبؤة وقدرة نقل الجبال، ولو أطعمتُ الفقراء وبدّدت كلّ أموالي وأسلمتُ جسدي حتّى للحرق، وليس لي المحبّة صرتُ نحاساً يطنُ أو صنجاً يرنُّ. إنّ قيمة الموهبة وكرامتها هي بمقدار المحبّة التي فيها.

يرتّب بولس الرسول في (١ كور ١٢، ٢٨) بوضوح تسلسل المواهب من حيث أهميتها. ويوّضح للمؤمنين أن الله يعطي للعديدين مواهبَ عديدة، وكلُّنا أعضاءُ للجسد الواحد ومختلفة الطاقات والوظائف، ولكن من أجلِ خدمة هذا الجسد وحياته. "أَلعلَّ الجميعَ رسلٌ؟ أَلعلّ الجميع أنبياء؟ أَلعلّ الجميع معلمون؟... أَلعّل الجميع يتكلّمون بألسنة؟". نعم إن المواهب عديدة ومتنوعة؛ لذلك نجاحها يكمن في تعاونها. والتعاون غير ممكن دون ترتيب كما في الجسد ذاته. لذلك حين يعدّد بولس الرسول المواهب الأساسيّة في الكنيسة يلفظ علانية أوّلاً وثانياً: "لقد وضع الله أناساً في الكنيسة (بأدوار مختلفة) أوّلاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمّين، ثمّ قوّات (عجائب كبيرة)، وبعد ذلك مواهب أشفية ثمّ ألسنة".

ولعلّنا، على الأغلب، نظنّ العكس تماماً، ونقلب الترتيب! فالعديدون منا يكرموّن العجائبَ أكثرَ. فالعجيبة والأشفية والتكلم بألسنة (خارزماتيك) تعطينا الانطباع عن وجود مواهب عليا. بينما يقلبُ هنا بولس الترتيب. فهو يضع الحالات الخارزماتيكيّة (التكلّم بألسنة) وصنع العجائب والخوارق وشفاء المرضى، يضعها في الدرجة الأخيرة بالأهميّة، على عكس تقديراتنا وتكريماتنا العامّة. ونجده يضع قبل كلّ ذلك ما هو طبيعيّ مثل التعليم والنبوءة وأوّلاً الرسوليّة.

ما سبب ذلك؟ وما هو معيار بولس في ترتيب سلطة المواهب المختلفة، أي أهمّيتها؟ لا شكّ أن المعيار الواضح هو الخدمة. ولكن المعنى العميق

للخدمة هنا يفترض شيئاً أساسيّاً. يكشف الذهبيّ الفمّ، في شرحه لكلام بولس هنا، أن المعيار في أهميّة المواهب المختلفة، وبالتالي بمقدار سلطتها في حياة الكنيسة، هو مقدار المحبّة، حيث يرتب أوّلاً رسلاً ثانياً أنبياء وثالثاً معلّمين ثمّ ..."، أي مقدار المجهود الذي يقدّمه الإنسان. فمقدار البذل في موهبة ما هو مقدار كرامتها.

هكذا، إن مقدار المجهود الشخصيّ في صنع العجائب هو "صفر"، لأن مجترحَ العجيبة ليس الإنسان بل الله، الذي شاء لأسباب يعرفها أن يتمم العجيبة. كذلك الأشفية، فالله هو الذي يتممها. يعلو على ذلك التعليم لأنّه يتطلّب بذلاً أكبر من حياة الإنسان. وتعلو عليه النبوءة لأنّها تتطلب نسكاً وزهداً في الحياة أكبر من مجرّد التعليم. وتعلو على الجميع الموهبة التي يبذل الإنسان فيها كلّ ذاته وليس أجزاءً منها. إنها موهبة "الرسوليّة"، حيث يصير الإنسان بكليته لله وليس ببعض منه. فالرسوليّة فيها البذل الأقصى، ولذلك تعطى السلطة الأعلى. في الرسوليّة التعبير الحقيقيّ عن المحبّة الكاملة لله. لذلك "أقام الله في الكنيسة أوّلاً رسلاً". وهذه الرسوليّة، أي التكريس الكليّ، هي أسمى المواهب حتّى إن لم تقترن بالعجائب أو الأشفية... الرسوليّة ليست مرتبطة حصراً "بالخوارق" ولكنّها مشروطة "بالبذل الكامل" والكلي. لهذا لا يتردّد بولس الرسول في مقدِّمةِ كلامه، قبل النص الذي سمعناه اليوم، أن يقول: " أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم" (١٢، ٣). فما هي هذه النعمة ومن أين أُعطيت له ولماذا؟ إنها نعمة السلطة، أُعطيت له من الله، وذلك لأنّه أحبّ بكليّته وبذل كلّ ذاته ليصير رسولاً. فبمقدار ما بذل بمقدار ما

وُهبتْ له السلطة على "كل من هو بينكم". إن أعظم موهبة هي الرسوليّة (١ تيم ١، ١٨) ولذلك لها حقّ التشريع وإقامة المعلّمين (٢ تيم ١، ٦).

إذن المواهب غير المواهبيّة. فالمواهب مهما تعدّدت ونمت تخضع للترتيب ولا تجرح المحبّة. أما المواهبيّة فيصير بها حاملها قطباً وليس عضواً، ويجذب إليه وليس إلى يسوع الناسَ (بوعظه عن يسوع وبخدمته للكنيسة). المواهب الحقيقيّة لا تترافق مع الظهور بل تحيا في التخفّي. أتحبّ الخدمة، وتحبّ الكنيسة؟ أخدمْ دون أن تعرف شمالُك ما فعلتْه يمينك.

ليس معيار الموهبة ارتفاعَ الحماس ولا حجّةَ الكلام ولا نقلَ الجبال، إنما المحبّة والحفاظ على الوحدة والطاعة للترتيب الكنسيّ. لا تفيد الكنيسة الأصوات العالية، مهما امتلكت من مواهب وطاقات، ولا يبني جسدَ يسوع الطاقاتُ الخلاّقة بقدر الجهود المتظافرة.

الكنيسة ليست جماعةً كلٌّ منها يؤمن كثيراً وكلٌّ منها يمتلك طاقات فريدة وكلٌّ منها مبدع أو غيور...، الكنيسة هي كلّ متكامل وجسم واحد. ليس في الكنيسة أقطاب. الموهبة تحترم التنظيم، فتقوّيه ويشددها في الخدمة. أما المواهبيّة فلا تستطيع أن تحترم التنظيم، لأنّها تبغي السلطة وليس الخدمة. الانشقاقات الكنيسة لم تحصل على أيدي أناس عاديين، بل بسبب من أشخاص مواهبيّين، مميزين إما بذكائهم أو بمعلوماتهم أو حتّى بتقواهم، ولكنّهم صاروا شيعةً لأنهم أحبوا ذاتهم أكثر من الوحدة. المواهب مضرّة حين تجعلنا نشعر أننا فوق الآخرين وليس معهم، أو أننا على الكنيسة بدل أن نكون فيها، أو أننا أوصياء ومشرفون على باقي "السذّج من المؤمنين" بدل أن

نكون مِلحاً. أيّة موهبة تتعالى على المحبّة تصير مزيّفة. أيّة موهبة ليست في ترتيبها تغدو مواهبيّة للفوضى. المواهبيّون مُدهِشون بطاقاتهم وحماسهم وربما بتقواهم أو بالإحسان... لكن يقلبون الموهبة من خادمة للمحبّة إلى خادمة للذات.

الموهبة العظمى هي المحبّة، ولا موهبة ضد الوحدة، ولا موهبة فوق الخدمة. تُحفظُ عظمةُ الموهبة حين يتخفّى صاحبها لينقص هو ويزداد المسيح. لذلك يقول بولس الرسول في الرسالة اليوم: "وادّين بعضكم بعضاً بالمحبّة الأخوية" مشيراً إلى معيار المواهب، ثمّ يقول: "مقدِّمين بعضكم على بعضٍ في الكرامة"، مشيراً إلى التواضع والتخفي وعدم تجاوز الترتيب الروحيّ للمواهب، آمين.

رو ١٥، ١-٧

١ الأحد الــ ٧ بعد العنصرة

الشريعة الجديدة

"علينا نحن الأقوياء أن نحتمل وهن الضعفاء"

التنوّع كان مع بدء الخليقة. لقد خلق اللهُ الإنسان ذكراً وأنثى، وكانت لكلّ منهما ميزاتُه الخاصّة به وفراداتُه، وكان التكامل صيغةَ التعايش. فتنوّعت المواهب والطاقات الجسديّة والنفسيّة، أي اختلفت بين آدم وحواء، حتى تصير حياتهما مجمل حياة الاثنين معاً.

أمّا الخلاف، فقد أدخلته الخطيئة وليس التنوّعُ. فعرفت الحياةُ البشريّةُ التمييزَ بين القويّ والضعيف، على الأصعدة المختلفة، مثل الصعيد الجسديّ والماديّ والعقلانــيّ. فهناك أقوياء البنية وهناك العليلون. هناك من أخصبتْ أرضُه فغنــيّ ومَن شاحت فعاز. إذن هناك "تفاوت" حقيقيّ. ولا يتساوى إنسان مع آخر في كلّ شيء مهما شابهه.

لهذا في كلّ مجتمع لا بدّ أن تتفاوت الظروف والطاقات، وهذا طبيعيّ ولكن هل التفاوت يلغي التعايش؟ أم أنّه حُكم على الضعيف ألاّ يوجد بشريعة الغاب؟

الجواب الطبيعيّ هو: أن القويَّ يأكل الضعيفَ، وسبيلنا إلى الوجود وحيد وهو القوّة! فيغدو الصراعُ الوجوديّ هو التسابقَ مع باقي الناس على امتلاك مواهب أو إمكانيّات ماديّة ومعنويّة تؤهّلنا للثبات أمام صراع الحياة، تماماً كالعالم الحيوانـــيّ والطبيعيّ، حيث السمكة الكبيرة تحيا على أكل السمكة الصغيرة، والأقوياء يعيشون على حساب الضعفاء.

إذن، في هكذا نظام، القويّ يتسلّط على الآخرين ويعمل على إقصائهم. ولا حياة جماعيّة إلاّ في النظام الديكتاتوريّ القائم على سحق الضعيف لضمانات القويّ، دون تردّد حتى لو قدِرَ على إخراجه بالكليّة من حلبة الوجود المشترك. فلا شيء مشترك سوى تقاسم وتخصيص الأعمال. فالقويّ يأخذ الربح والرفاهيّة ويخصّص للضعيف الأتعاب والذلّ! وتبقى المراهنة هي الحفاظ على هذا التفاوت بالحجم الأكبر الممكن. ويبقى حلم الضعيف هو الثورة على هذا الواقع والفرح بأي ضرر يلحق بالمتسلّط عليه! شعار مجتمعات الاستهلاك هو "الضعيف في خدمة القويّ"! فيتعلّم القويّ التسلّط والأنانيّة ويتعلّم الفقير الرياء والتزلّف ليكسبَ من غفوة الغنـــيّ طرفة عين يرتزق هو بها. لهذا في منطق (دين) كهذا، تلعب المواهب دور التفريق وتزيد من التفاوت. وكلّما ازدادت المواهب تفاقمت معها الاضطرابات أكثر!

أما بولس الرسول فيقلب هذا النظام، ليبني الحياة الاجتماعيّة والمجتمعات على الأسس المسيحيّة الجديدة وليس على أساس شريعة الغاب. إن أساس بولس هو: "المجتمع العائلة" وليس المجتمع – تجمّع! فالحياة الاجتماعيّة لا تقوم على التصارع ولا يثبت الوجود بتهديد وجود الآخر، حاشى! لا بل العكس، المجتمع هو جسد واحد رأسه المسيح. ولقد أعطى فيه بولس الرسول كرامة أكبر للأعضاء الضعيفة، وأنّ "القويّ هو في خدمة الضعيف"، "علينا نحن الأقوياء أن نحتمل وهن الضعفاء". إنّ التفاوت الطبقيّ أو الخلقيّ أو... هو تفاوت يجب أن يزيد من قوّة يشدّد حوار المحبّة ويفتح باب الخدمة واسعاً. إن الحقّ في الحياة واحد، كما للقويّ كذلك للضعيف، وعلى القويّ تقع المسؤوليّة الأكبر في خدمة هذا الحقّ عند الضعفاء كما عند الأقوياء. إنها شريعة الجسد الواحد بدل شريعة الغاب. هذا نظام المحبّة بدل قانون القوّة! إذن القوّة تُقاس من خدمتها وعنايتها بالآخر، وهذا هو القويّ. إن التعايش لا يأتي من حتميّة التطابق الاجتماعيّ في المستويات، ولكن من تنافس الجميع في المحبّة!

هكذا هنا، كلما ازدادت المواهب تقلّص التفاوت، لأن الموهبة توضع للخدمة وليس للتمايز. هنا الموهبة تُقرأ مسؤوليّةً وليس ميزةً. هنا الموهبة هي "هبة" وليست ملكيّة. هنا الآخر الضعيف هو "الأخ الصغير" وليس الآخر الغريب. هنا كلّ عضو يتألّم ويشعر مع الآخر. فالقويُّ هو الخادم والضعيفُ هو المخدوم بالمحبّة.

في المحبّة لا نعيش لنرضيَ ذواتنا وإنّما لنسعِدَ الآخرين في الخير. في المحبّة. مَن يعجز لا يُهان بل يُسند. فإن المسيح –مثالنا– "لم يُرضِ نفسه"، ولكن كما كُتب، "تعييرات معيّريك وقعت عليّ".

في مجتمع شريعته المحبّة يكمل الإنسان بالخدمة وليس بالتسلّط؛ في هكذا مجتمع تتكامل المواهب، فتلفي النواقصَ لخدمة بنيان الجسد الواحد.

إذن للقوّة "خدمة" كبيرة وهي رعاية وجه الضعف حيثما ظهر في العالم، وليس لها الحقّ بالترفّع، حاشى! إنّ وهن الضعفاء ليس قدَرهم ولكنّه رسالة الأقوياء. إنّ قوّة الأقوياء ليست ملكهم وإنما وزنة وأمانة، إنّها "خدمتهم" (διακονία).

فليتّحدْ بعضنا بعضاً، إذن، كما اتّخذنا المسيح، بالمحبّة والمسؤوليّة ذاتها، لمجد الله الآبِ والأبِ الواحد، آمين.

رو ١٥، ١-٧

٢ الأحد الـــ ٧ بعد العنصرة

قوّة المحبّة وحريّتها!

"علينا نحن الأقوياء أن نحتمل وهن الضعفاء"

المحبّة فنّ، لا بل إنّها سرّ، ومفتاحُ السعادة! ولهذا علينا أن نتعلّم كيف نحبُّ فعلاً. الإنسان كائن ديناميكيّ يحيا على المحبّة. إنّه طاقة لا بل جاذبيّة، لذلك يتّجه بالطبيعة نحو الآخر. ولهذا نسمّي توقّف هذه الحركة، أي العزلة: "موتاً". هذا هو ما يميّز الإنسان عن سائر الكائنات الحيوانيّة الأخرى. إنه كائن يريد أن "يبني علاقات"، ودون ذلك يموت. حياة الإنسان ليست طعامه أو مهنته أو ماله... وإنّما حياته هي علاقاته، وطبيعة هذه العلاقات تحدّد حُسنَ حياته أو سوءها. فلا نقول هذا عنـــيّ أو قويّ، بل تقول هذا سعيد أو أمين أو محبوب أو...

بالمحبّة يشبه الإنسانُ اللهَ خالقَه. كما أنّ الثالوث متّحد بالمحبّة في ربوبيّة واحدة؛ كذلك الإنسان على صورته ومثاله، هو كائن قادر على بناء علاقات طبيعتها المحبّة، أي التقارب مع الآخرين. وللمحبّة شرطان أساسيّان دونهما تفسدُ أو تموت. إنهما قوّة المحبّة وحريّتها.

بداية، لا بدّ أن نميّز بين المحبّة المسيحيّة الروحيّة والمحبّة الطبيعيّة الغرائزيّة. المحبّة المقصودة ليست العواطف الجيّاشية، ولا إشباع الميول البشريّة الطبيعيّة. فقد تحبّ أمّ أولادها محبّة قويّة وتتعلّق بهم، ولكنّها تريدهم لها، ومن هكذا محبّة هو مظهر دموع آلام في زفاف ابنتها. محبّة كهذه هي محبّة طبيعيّة فيها مقايضة بالمشاعر. فنحن هنا نُحِبّ بشرط باطنـــيّ أن نُحَبَّ أيضاً، نعطي لنأخذ، وتتفاوت المعادلة بين العطاء والأخذ.

المحبّة التي نعنيها هي تلك التي يصفها بولس الرسول هنا واعظاً إيّانا: "ولا نرضي أنفسنا، بل فليرضِ كلٌّ واحدٍ قريبه للخير لأجل البنيان". المحبّة لا تبرهن من المشاعر وإنّما تُقاس بالعطاء! المحبّة ليست أن نشبع مشاعرنا وإنما أن نُسعِدَ الآخر. المحبّة ترى الآخر وتنسى الذات. بالمحبّة يشغلنا الآخر، بالمحبّة نفكّر ليس بما نحتاجه نحن لنرضي ذواتنا وإنما نفكر بالآخر ونحاول أن نرضيه؛ طبعاً، وكما يقول الرسول "في الخير للبنيان". فعندما يريد الآخر أمراً شريراً نحن لا نحابي الوجود، بل نعظُ وننبِّه، أو على الأقلّ نصلّي. نحبّ يعني: أن نفكر بالآخر قبل أن نفكر بأنفسنا، أن نشبع الآخر قبل إشباع ذواتنا، وهكذا دواليك على كل الأصعدة الماديّة والروحيّة.

الشرطان الأساسيّان، إذن، لهذه المحبّة هما قوّتها وحريّتها؛ إنها على مثال المحبّة التي في الثالوث الأقدس. وهذان الشرطان يُدعيان —في الثالوث، αδιαιρέτως، ασυγχύτως، أي المحبّة لا تُنفصل ولا تَختلط. إنها محبّة تتحد الكيانات باتّحاد لا يمكن أن تنفصل فيه ولا يلغي صفات كلّ منها. فهذا

الاتّحاد قويّ جدّاً، بقوّة المحبّة ولا يمكن لأيّ شيء أن يعلو عليه. وفي هذا الاتّحاد حريّة للشخص لا يسلبه إيّاها حتّى حبّه هذا.

قوّة المحبّة الحقيقيّة والكاملة تغلب كلّ أمرٍ. المحبّة تغلب الكسل، والمحبّة تغلب الخوف. أُحبُّ، يعني أن أعطي. وعندما يحاول الإنسان أن يُحبّ هكذا يقاومه الكسل وربّما التعب. يفكّر الإنسان طبيعيّاً كيف يرتاح وكيف يُسْعد وكيف يفرح وكيف يغنى... هكذا، عندما يريد أن يحبّ ويبدأ يفكّر كيف سيربح آخر أو يسعده أو يفرحه أو يساعده، عندها عليه أن يتغلّب على الكسل والأنانيّة. وهذا يحتاج لمجهود ليس بقليل. لكن المحبّة الحقيقيّة قويّة جدّاً وتغلب الكسل. وإذا تغلب مَن يحبّ على كسله يبقى عليه أن يتغلّب بعد ذلك على خوفه. مَن يعطي ويضحي يخاف في البداية أن تكون تجارته خاسرة بمردود قليل أو دون مردود على الإطلاق. فمن الواضح له أنّه يعطي الآن ولكن متّى وكيف سيسترد، ومع ربى أيضاً؟ الأسهل أن يحبّ الإنسان ذاته مباشرة دون هذه المقايضة الخطرة، وربّما الخاسرة. على خوف كهذا يجب أن نتغلّب إذا أردنا أن نحبّ.

رهيبةٌ هي قوّة المحبّة، التي تجعلنا نغلب كسلنا لنصير في خدمة الأخ، ونغلب خوفنا الأنانـــيّ لنبدأ دون وجل في العطاء. قوّة المحبّة تخدم حاجات الآخر دون تردّد، قوّة المحبّة تتجاوز حتى خطيئة الآخر وليس فقط تخدم أوهانه. لا شيء يقوى على المحبّة وعلى رباط الوحدة الذي تخلقه بين المُحبّ والآخرين.

من أين لنا بقوّة محبّة كهذه؟ المحبّة المسيحيّة ليست كالغرائزيّة التي تقوم على مقايضة العواطف، وتتبدّل وتنقلب إذا أساء الطرف الآخر المقايضة! المحبّة

المسيحيّة قرار بأن نعطي حبّاً وخدمة وتضحيات دون أن ننتظر. "فإن كنتم تحبّون مَن يحبّونكم أيّ أجر لكم؟" المحبّة المسيحيّة تأتي عن وعي كبير وقرار مسؤول.

أحبّوا ليس مَن يحبّكم، ولا أيضاً مَن ينساكم، بل "أحبّوا أعداءكم"، أوصانا يسوع: محبّة كهذه تحتاج لقوّة لا نأخذها من البشر! قوّة كهذه لا يمكننا أن نستمدّها إلا من الله الذي يعطيها والنعمة التي تحفظها. لذلك مَن لا يصلّي ويطالع ويتمسّك بالمصدر الإلهيّ كلّ لحظة، لا يمكنه أن يحبّ لأنه لن يقوى! مَن له مثل هذه القوّة على محبّة الأعداء أيضاً، إذا لم يكن الحبّ الإلهيّ قد غمره وملأه نعمة وثباتاً؟ لا يتنـــزّه عن المقايضة المشاعريّة إلاّ مَن ذاق حبَّ الله الفائق الطبيعة له؛ فلا يعود، بعد أن نَعِمَ بهذا الحبّ يشترط في حبّه للناس مبادلتهم بحبّ بشريّ، بل يكتفي أن يحبّ كمعلّمه. لا يحبّ حقّاً إلاّ الإنسان الروحيّ الذي ملأت قلبه تعزيات الروح وسلام الله، فلا يعود يطمع بتعزيات البشر. لذلك لكي نحبّ علينا قبلها أن نصلّي ونجاهد ونسجد لنحافظ على نعمة الله التي تقوينا في كلّ شيء.

حريّة المحبّة، هي شرطها الثاني لتكون محبّة حقيقيّة طاهرة. وهذه الحريّة هي ما يميّزها عن الحبّ الغرائزيّ. المحبّة الغرائزيّة لا تعطي للمحبّ حريّته! إنها محبّة إجباريّة، لأنّها بالأصل حبّ للذات عن طريق الآخر. في محبّة كهذه طبيعيّة يسود التعلّق ويصير المحبّ عبداً لحبّه وليس سيّداً. إنها محبّة تختلف عن تلك الروحيّة أنها ليست بالمطلق حرّة وواعية، لأنّها من الإنسان وليست كلّها من الله. إنها محبّة تقيّد ولا تحرّر، لأنّها محبّة تقايض وتشترط. ويغلب عندها

الشعور والقول "أنا أحبّ كثيراً أمّا الآخر فلا يحبّني"! هذه لغة المحبّة الطبيعيّة وهي مختلفة عن المحبّة الحقيقيّة الصافية. إن المحبّة الطبيعيّة هي علاقة بشريّة بين الإنسان والإنسان ومهما طهرتْ تبقى متاجرة وتطلب المبادلة، ولا تعطي سعادة دائمة، بل سعادتها لذّة أنانيّة في لحظات. لذلك أعلن يسوع جهاراً أن محبّة الأعداء هي التي تكشف حقيقةً صفاء محبّتنا وطهارتها!

ومن أين لنا هذه الحريّة الخفيّة؟ إن ممارسة أعمال المحبّة مع الناس هي ممارسة سهلة العطب. لأن الناس جميعهم وأنا ميّالون إلى المقايضات والمشارطة ونستسهل الحبَّ الطبيعيّ. لكن ممارسة المحبّة أوّلاً مع الله هي الممارسة الطاهرة الأكيدة. لهذا لا يمكن لمن لم يتدرّب على الحبّ مع الله أن ينجح في الحبّ مع البشر. الله هو المحبّ في حريّة الحبّ المطلقة، ومحبّتنا له هي مدرّبتنا إلى تطهير حبّنا فينا. لهذا كنيستنا الأرثوذكسيّة تشترط قبل الخدمة الاجتماعيّة ومحبّة الفقراء والخدمة والبشارة وكلّ أعمال وفضائل المحبّة، وعلى أهميّتها، تشترط أوّلاً حبّنا لله.

إنّنا نتأرجح في الحبّ بين الروح والغريزة! نحبّ حيناً في عطاء وحيناً في تجارة! إن محبّتنا كالزرع الذي دخل فيه زؤان بين القمح. ونعترف بتواضع أن هذا أمر منتظر، ما دمنا بعدُ لم نقدّس كلّ شيء فينا! ولكن هذا الواقع لا يدفعنا إلى القنوط أو القبول برياء المحبّة أحياناً، بل يدفعنا إلى بذل جهد آخر خاصّ لتنقية الزؤان من قمح المحبّة الصافي.

هناك، في الصلاة تتنقّى المحبّة، عندما نحبّ الله تتعفّف أعيننا في حبّ الناس. محبّتنا لله تحرّرنا وتقوّينا في ممارسة المحبّة.

الصلاة هي المخدع الذي يناولنا فيها الله قوّة للحبّ وطهارة فيه وحريّة، فإذا أردنا أن يكون لنا قوّة محبّة لا يغلبها شيء علينا أن نصلّي صلاةً دائمة لا يعكرها أي شيء. المصلّي بلا انقطاع محبّ بلا انقطاع. حينها، كلّ مسؤوليّته نابعة عن المحبّة، أي همومنا الشخصيّة وهمومنا من أجل الأخوة وأوهان الآخرين وحاجاتهم، كلّها تصير حطباً لنار الصلاة وليس عثرة لها. هكذا المحبُّ للصلاة يحبّ الجميع إلى النهاية وكلّ حين، ويقدر على ذلك وهو حرٌّ. لذلك لنصلِّ أوّلاً، ولنصلِّ لمن ولما نحبّه، حينها نطهّر حبّنا له.

قوّة المحبّة وحريّتها تأتيان من حبّنا لله، وعمليّاً من ممارسة الصلاة والتوبة والسجدات. نحن نكمل في المحبّة. نولد طفلاً يحبّ بالغريزة وننمو في تعلّم الحبّ بمقدار ما نتمرّن عليه أوّلاً مع الله في الجهاد الروحيّ.

محبّة قويّة وحرّة هي محبّة جريئة جدّاً! محبّة كهذه لا تدين الآخر من أوهانه لأنها تشعر لا بالتعالي وإنّما بالمسؤولية. مَن يحب لا يحاسب بل يسند. لهذا من هو في ضعف أو هوان هو أكثر من يستقطب حبّنا. إن محبّتنا للأقوياء ليست محبّة قويّة، وربما ليست حرّة. لكن محبّة الضعفاء والفقراء وأصحاب الحاجات الخاصّة هي محبّة كاملة وحرّة فعلاً. هكذا نمتحن وننقّي محبّتنا، عندما نتذكّر كلمات بولس الرسول: "يا إخوة علينا نحن الأقوياء أن نحتمل وهن الضعفاء"، آمين.

١كور ١، ١٠- ١٧

الأحد الـــ ٨ بعد العنصرة

الـــوحـــدة
مـــراهنة الحـــريّة فـــي المـــعرفة والمـــحبّة

"أطلب إليكم... أن تقولوا قولاً واحداً وألاّ يكون بينكم شقاقات"

"بعد التماسنا الاتّحاد في الإيمان وشركة الروح القدس"، هكذا نصلّي قبيل لحظة المناولة المقدّسة. ما كان يميّز حياة الكنيسة في سنواتها الأولى في أورشليم أنّ "الجمهور الذين آمنوا كانوا قلباً واحداً ونفساً واحدة" (أع ٤، ٣٢). لهذا يستحلف بولس الرسول هنا أهل كورنثوس وإيّانا "باسم يسوع المسيح" أن نكون واحداً، فكراً وقلباً.

الوحدة والانشقاق هما أهمّ أمرٍ في مستقبل المسيرة التاريخيّة للكنيسة. لقد صلّى يسوع في تنهدّاته الوداعيّة (يوحنّا ١٧) خمس مرّات من أجل وحدة تلاميذه بعد مغادرته لهم: ليكونوا هم كما نحن، ليكونوا واحداً"!

لكن، ويا للأسف، ظهرت الألفيّة الأولى والثانية زمناً للشقاقات فحصل الانشقاق الأوّل في الشرق بين الخلقدونيّين وغير الخلقدونيّين في القرن الرابع! وحصل بعدها الانشقاق الكبير بين الشرق الغرب بين أرثوذكس وكاثوليك

في القرن الحادي عشر، ثمّ لحق الانشقاق الثالث في الغرب بين كاثوليك وبروتستانت،... واليوم ترتفع الأصوات، وهي محقّة، نريد الألفيّة الثالثة ألفيّة إتّحاد بدل الشقاق.

لكن كيف تتمّ الوحدة، لا بل ما الذي يمنعها، لكي نرفعه ونتّحد؟ قد يظنّ البعض أنّ السبب الوحيد للشقاقات كان اختلافَ "العقائد"، ولكن الحقيقة تقول إنّ هناك سبباً ثانياً لا يقلّ أهميّة وهو الأصعب في التصحيح، وهو نقصُ المحبّة"! إنّ تصحيح الأفكار يتمّ بالحوار. لكن كيف يتمّ التعويض عن نقص المحبّة، إلاّ بالاحترام واللّقاء والصلاة معاً، وحقّاً؟!

الإنسان كائن حرّ في معتقداته وفي صداقاته، حرٌّ في اختيار وتشكيل معرفته، كما هو حرّ في إدخال الآخرين إلى قلبه أو إخراجهم منه. إذن، إنّ الوحدة المسيحيّة هي رهينة هذه الحريّة في المعرفة وفي المحبّة، في العقل وفي القلب على السواء.

المعرفة، مسألة أساسيّة في الحياة، وتكوّنها عوامل عديدة. والفرق بين "الأصوليّ" وبين "المؤمن الحرّ" هو غياب أو حضور الحريّة في تطوير معارفه أيّة لحظة. هل أنت حرّ أن تبدل معتقداتك حين تراها خاطئة أم أنت أسير أفكارك، تطلق عليها صفة المطلق، هذا ما يحدّد تصنيفك بين "أصوليّ" أو "مؤمن" حرّ حقيقيّ! أنؤمن بمعتقداتنا أم بيسوع؟ المعتقد يأخذنا إلى يسوع، فإذا ما رأيناه شائباً عندما نقترب من المسيح، علينا أن نكون أحراراً في تعديله. وحريّة المعرفة لا تعني أبداً الإباحيّة في اختيار مصادرها! فنحن لا نخترع إيماننا بل نكتشفه أكثر. ما يجب أن يزيد في إيماننا هو أن نفهمه "أكثر"

وليس أن نجعله "آخر"؛ يسوع هو هو إلى الأبد". لذلك عندما نكون أحراراً مبدِعين لا يعني أن نصير "متحرّرين من التقليد وأصحاب بدع".

حريّة المعرفة، بين الصالح والخاطئ، تمتدّ على الزمن في ماضيه ومستقبله. نحن أحرار أن نكون أمينين للتقليد أو أصحاب بدع. ونحن أحرار في تطوير التقليد ذاته أو تصنيمه. إنّ هذَين الطرفَين هما السبب في الشقاقات الكنسيّة. فاختلاف الأمانة للتقليد خلق الشقاق بين الأرثوذكس والكاثوليك، والاختلاف على تطوير التقليد ذاته خلق بعدها الشقاق بين الكاثوليك والبروتستانت.

حريّة عالم المعرفة، في عصرنا وعولمته ووسائل اتّصاله، نرجوها أن تصير سبباً للقاء والحوار. المعرفة لا تأتي من مطالعة الذات فقط بل من قراءة الآخر أيضاً على حدٍّ السّواء. تحديد الحقيقة لا يتمّ بتعريفها كما نفهمها ولكن أيضاً بتمييزها عمّا ليست هي، أي في تحديد ما هو عكسها.

حريّة المعرفة مقدّسة، لكنّها دون الحوار الدائم تقودنا إلى الشقاقات فتصير خطيئة! هذا هو سيف الحريّة القاطع ذو الحدّين. الحريّة تقدّس والحريّة تنجّس. الحريّة في الأصوليّة والخضوع للذات تقودنا إلى الشقاق وهو أعظم خطيئة. والحريّة في الانفتاح والخضوع لله تقودنا إلى الوحدة، وهي أقدس فضيلة. الوحدة مراهنة في حريّة المعرفة!

والسبب الثاني للشقاق، الذي لا يقلّ أهميّة عن سابقه، هو نقص المحبّة، المحبّة هي أصعب فضيلة في الممارسة وأسهلها للوقوع في الرّياء حين نقلبها إلى مجرد شعارات للتبرير دون أن تحمل واقع الممارسة. والإنسان حرٌّ بالمطلق في

تحديد حركات قلبه! يستطيع أن يحبّ الآخر أو أن يحبّ ذاته. يستطيع أن يعبد (يحبّ) الآخرَ كما وأصنام ذاته. إنّها مسألة في الخيار!

نقص المحبّة، أي محبّة الذات فوق محبّة الآخر، تولّد سوء التفاهم. نقص المحبّة عين مريضة ترى كلّ شيء بألوان خاطئة، تنظر إلى كلام أبيض فتفهمه كأنّه أسود. نقص المحبّة لا يحترم رأي الآخر ولا يريد أن يفهمه، فبمجرّد يراه مختلفاً يسمّيه خاطئاً وخطأً. نقص المحبّة لا يبادل الاحترام بالاحترام بل يفهم الاحترام ذلاً ويشرب منه شراب الإعجاب والترفّع. نقص المحبّة، حين يكون صاحبه على خطأ يجعله، يتصلّب (أصوليّاً)؛ وعندما يكون على حقّ يجعله، يترفّع (يُبعد الآخر). نقص المحبّة هو الخطيئة الكبرى، إنّه أكبر أكذوبة، لذلك هو أبعد الأمور عن الحقيقة! الرذيلة لا تجلب الوحدة. الحقيقة لا توجد إلاّ في المحبّة. فالمحبّة أمُّ الوحدة! الفضيلة والمحبّة عكس الرذيلة والكذب. هذه الأخيرة تسير بنا إلى الشقاق وتلك الأولى وحدها تحقّق بيننا الوحدة.

المحبّة تتمّ بالروح القدس- المحبّة هي ثمرة الحياة الروحيّة. لذلك نرى أن أكثر الفئات المسيحيّة تقارباً ليسوا العلمانيّين ولا اللاهوتيّين، ولا المسؤولين، لكن أوّلاً الرهبنات، ومثلهم كلّ مَن هو روحانيّ بين السابقين. لأنّه هناك في الحياة الروحيّة تتشابه الخبرات المسيحيّة، فهناك الحقيقة. أمّا في ميادين السلطة والانتماءات والمدارس... فهناك بعضٌ من كذب، لأنّه هناك يبشّر، مرّات عديدة، ليس باسم يسوع وإنّما باسم آخرين! في الحياة الروحيّة التي بالروح القدس تنمو المحبّة وتتلاشى الخصومات والشقاقات. نعم، الوحدة هي مراهنة في حريّة المحبّة!

حريّة المعرفة تحتاج للحوار الحرّ الذي يقودنا إلى وحدة الإيمان، وإلى معرفة أكمل بيسوع المسيح. وحريّة المحبّة تحتاج لحياة روحيّة عميقة تصل بنا جميعاً إلى الخبرات الروحيّة ذاتها، فلنا روح واحد ورأس واحد هو يسوع المسيح.

الحوار المنفتح والحياة الروحيّة العميقة يرفعان الجهل والخطيئة. إنّهما يوجّهان الحريّة البشريّة في المعرفة وفي المحبّة. الحوار والحياة بالروح عمودَي الحقّ وطريقنا إلى الوحدة، لأنّهما يبنيان المعرفة والمحبّة وينجحان في مراهنة الحريّة، "فنقول قولاً واحداً ولا يكون بيننا شقاقات بعد"، آمين.

١ كو ٣، ٩-١٧

الأحد الـــ ٩ بعد العنصرة

هيكل الله

"إنّكم هيكل الله"

يمسُّ بولسُ الرسول في الرسالة اليوم عمق الحياة المسيحيّة؛ ويتكلّم عن غايتها وطريقة الوصول إليها. يشرح الرسول هنا "كبنّاء حكيم" طريقة وشروط بناء الحياة المسيحيّة. فحين يقول بولس: "أنتم هيكل الله" يعالج أمرين. الأمر الأول هو مَنْ يشكّل هيكل الله، والأمر الثاني كيف يُبنى هذا الهيكل.

"أنتم" لبولس الرسول تعني ثلاثة مستويات. المستوى الأول هو الشأن الفردي الشخصي لكل منّا، والمستوى الثاني هو الشأن الاجتماعي أو الكنسيّ، للمجتمع والمؤمنين والإنسانيّة كلّها أيضاً. والمستوى الثالث هو الشأن الكوني، أي كلّ الخليقة وتاجها الإنسان.

فكيف نبني من كلّ فرد ومؤمن هيكلاً لله! وكيف تكون تجمعّاتنا في مجتمعات أو في الكنيسة أو...الخ هي أيضاً هيكلاً لله؟ وأخيراً كيف يصير هيكلُ الله هو الكونَ كلّه؟

لذلك يضع بولس الرسول شرطين. الشرط الأول هو الأساس السليم، و"لا يستطيع أحدُ أن يضع أساساً آخر غير الموضوع الذي هو يسوع المسيح" (١كور ٣، ١١). والشرط الثاني هو أن تكون حجارة البناء (أتعاب البناء) من الذهب أو الفضّة والحجارة الكريمة وليس من الخشب أو العشب أو القشّ.

على المستوى الشخصيّ، الفرديّ، يُولد الإنسان فعلاً طفلاً وهو أشبه بالحيوان الصغير؛ يبكي من الجوع ويفرح بالطعام، يتألّم من القساوة ويضحك للحنان؛ فكيف ينمو هذا الكائن، الشبيه بأطفال كلّ الحيوانات، إلى صورة تماثل صورة يسوع المسيح وشكل القدّيسين، أي يصير هيكلاً لله؟

إن بناء الكائن الفرد من كائن حيوانـــيّ إلى إنسان وشخص روحانـــيّ يختبر القداسة ويسكن الله فيه، لهو أمرٌ دقيق. لا شكّ أن الإنسان منذ طفولته يدخل العالم وهو ميّال إلى هذه الصورة، ويحمل في داخله الدوافع والطاقات لتحقيق ذلك. لكن كلّ ما سبق ليس كافياً ولا يُحتّم هذه الصيرورة.

تلعب التربية المسيحيّة الواعية الدور الأساس في بناء ونمو هذا الكائن، وخلقِ هيكلٍ منه. ويتحقّق هنا الشرطان. أوّلاً أن يكون الأساس يسوع المسيح. كلّ طفل هو كائن مقدّر له أن يصير يسوعاً، إذا لم تفسده التنشئة اللامسيحيّة، وإذا نال القسط الكافي من التربية المسيحيّة. يجب أن نجعل يسوع مثلاً لأطفالنا، في طفولتهم قبل وعيهم، وفي شبابهم حين ينضج خيارُهم. ويجب أن يكون اسم يسوع عذباً لديهم. وهذا يحصل بشكل

أساسي من مطالعة الكتاب المقدّس خاصّة في عهده الجديد، فيتعرّف الطفل على يسوع، وهذا كافٍ ليأخذه مثلاً له ويتعلّم منه. ويجب أيضاً أن نعلّم أولادنا، بالإضافة لذلك، أن يحاوروا يسوع ويلجأوا إليه ويحبّوه، وهذا يحصل بتدريبهم على الصلاة. وأجمل صلاة هي "صلاة يسوع". يجب أن يلتقي شخص كلّ طفل بشخص يسوع. وبعدها سوف تتزايد اللقاءات. هذا هو دور الأهل، أن يجعلوا هذا اللقاء الحي مبّكراً قدر المستطاع.

وبعد هذا اللقاء، يحتاج الطفل والشاب لمساعدة فماذا ينفع اللقاء الأول إن لم يتكرّر؟ ولا يتكرّر اللقاء دون مثابرة وجهد. وهنا يجب أن نعلم أولادنا "حبّ التعب" والجهاد الروحيّ، وأن نجعلهم يذوقون تعبه وتعزياته أيضاً.

فالإبداع هو ذهب والنجاح هو فضة والإخلاص هو حجارة كريمة. "إننا أخذنا روح نجاح وليس روح فشل". فلا يكفي أن نضع الأساس، بل علينا أن نساعد أولادنا على تحضير الحجارة الذهبية والفضية... لبناء هيكل الله فيهم. إن النجاح المدرسي لأولادنا والنضوج الاجتماعي وأتعاب الفضيلة المسيحيّة والتعليم الديني، كلّها ليست أموراً إضافية أو استثنائية، إنها كلّها أمور أوليّة وضروريّة إلى النهاية؛ وإلا لكان البناء من خشب أو قشّ وسوف تحرقه نار شدائد الحياة وغواية الدنيا.

لطالما، نلاحظ بعضاً من الشباب الذين نشأوا على الإيمان لكنّهم، وللأسف، عندما دخلوا معترك الحياة أو واجهوا صعوباتها، حادوا عن حماس الإيمان وسقطوا في خضّم الهموم مهملين هيكل الله فيهم. فلنسأل عندها، أين الخطأ، أَفي الأساس إذ لم يكن يسوع دافعَهم ومثالَهم وقوتَهم وقائدَهم، أم في

حجارة البنيان، إذ لم تكن الأتعاب في التعليم والدراسة كافية، فتسلط الكسل والإهمال فبُني على الأساس المسيحيّ بناءٌ هشّ حرقته الأيّام؟ "يسوع" الاسم العذب الذي يجب أن يتعلّق به كلّ طفل ويقتدي به ويخطو معه كلّ شاب. إن مطالعة الكتاب وممارسة الصلاة، وصلاة يسوع خاصّة، يضعان هذا الإحساس ويؤمنان هذه الحجارة الكريمة.

وعلى المستوى الجماعيّ، إن كان اجتماعياً أو كنسيّاً، فإننا نلاحظ بسهولة المراهنة بين علمنة الكنيسة ومسحنة العالم. وهذا أمر يتعلق بالأساس المذكور ونوع الحجارة.

مرّات عديدة يكون أساس مجتمعاتنا، والمسيحيّة منها، ربّما علم الاجتماع، وفي حالات أفضل "الطائفية"! فنلاحظ هناك كثرة وحريّة الكلام عن الكنيسة وعن دورها الاجتماعي ومؤسساتها الإنسانيّة والخيرية، وآدابها الاجتماعيّة. وترانا لا نسمع كلمة "يسوع"! وكأننا مجرّد نظام يمكننا تغييره في New age أو أيّة ديانة جديدة. بينما الأساس الذي لا يستبدل لدينا ليس هو الشرائع بل "يسوع المسيح". الوجه الاجتماعي للكنيسة هو الشهادة ليسوع، أو مع يسوع. حين يدخل أحدٌ مؤسساتنا أو في إحدى تجمّعاتنا ولا يتعلم أن يحب يسوع أكثر، فهذا دليل فاضح على أن الأساس مزّيف أو مشوّه!

لا نستغرب حدوث ذلك في مدارسنا أو حتّى في التعليم الديني ذاته أحياناً، على كلّ مستوياته. ليس صعباً أن ينحرف العمل الرعوي إلى بشارة بطائفة بدل أن يكون رعايةً تقودنا إلى يسوع. هل ترسم ألوان حضارتنا وجه يسوع على وجه مجتمعاتنا؟ هل "يتصوّر المسيح فينا" في بنية مجتمعاتنا؟

أسئلة كثيرة يمكن طرحها هنا، ولربّما الإجابة الأفضل عليها هي الصمت ووقفة المسؤوليّة. أيضاً هنا علينا ألا ننسى يسوع، في مثل هذه الوقفات. فلنصرخ إليه "بدونك لا نستطيع أن نعمل شيئاً"، "سنترك كلّ شيء ونتبعك". لا شكّ ان مجتمعاتنا، حتّى في حال وضعنا لها أساس هو يسوع، ستبني عليه بناء من خشب الإنسانيات أو عشب الطائفيات أو قش الإيديولوجيات أو "العصرنة"...الخ وهذه مسؤوليّة المؤمنين أن يتعبوا ليرفعوا على الأساس المسيحيّ لمجتمعاتنا (المسيحيّة) بناءً من أحجار الشهادة الحقيقيّة والتعليم الواضح الرعويّ والسليم.

أما على المستوى الكوني، فإن مسؤوليّة المسيحيّ لا تنحصر في تخليص ذاته أو تلوين حضارته! إن مسؤوليّتنا التي أعُطيت لنا هي مسؤوليّة كونيّة. فمسائل البيئة والألم والمرض والزلازل من جهة، ومسائل الإبداع والتطوير وحسن استخدام خيرات العالم من جهة ثانية، هي مسائل في صلب المسؤوليّة المسيحيّة. المسيحيّة ليست ديناً ينحصر في فرد أو يتقوقع في مجتمع دون سواه، أو بشارة تقصد خُلق الإنسان وحسب. المسيحيّة مسؤوليّة كونيّة تسعى لجعل كلّ حركة في الكون، بيئيّة أو إنسانيّة أو علميّة...، طقساً ليتورجيّاً، يلعب فيه الإنسان (وخاصّة المؤمن) دور الكاهن فيجعل من الكون ساحة حضور الله، أي هيكلاً له.

كلّ مظاهر الشرّ الطبيعيّ هي إعلان فاضح وصارخ أن المسيحيّين لم يجعلوا بَعدُ الكونَ هيكلاً لله، وما زال "الغريب" يحكمُ فيه (الشيطان). نعم يسوع أساس لكل مسألة كونيّة. إن قيامته من بين الأموات أجابت على

أكبر إصلاح كوني، وجلبت في خبرة مسبقة صورة الكون الآتي. يسوع صورة للكون الذي يحيا ولا يموت، بدءاً من الإنسان الذي سيتحرر من عالم الفناء. الإبداع العلمي واحترام البيئة ومعالجة أوجاع الناس والرأفة بالحيوان وحسن استخدام كلّ شيء هي أمور في جوهر العبادة المسيحيّة وحجارة تليق بالأساس الموضوع "يسوع المسيح".

يحقّ فعلاً لبولس الرسول أن يسمّي ذاته "بنّاءً حكيماً"، وهذا ليس من باب الادّعاء أو الانتفاخ بل تماماً "بحسب النعمة المعطاة له"، كما قال. إن هيكل الله رسالة ومسؤوليّة فرديّة لبناء الشخص المسيحيّ الذي يسكن اللهُ فيه، ولبناء المجتمعات والحضارات المسيحيّة التي تشهد مع يسوع وله، ولبناء العالم ملكوتاً لله يُسرّ هو به.

بناء الله وغرسه، نحن رسله وبُناتُه، مع نعمة الربّ، آمين.

١كور ٤، ٩-١٦

١ الأحد الـــ ١٠ بعد العنصرة

الــراعي والــرعيّة – رعـــايـــة مـــتبادلـــة

"فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتدين بي"

أَسّس بولسُ الرسول الكنيسةَ في كورنثوس على أُسسِ المحبّة الأخوية والبشارة بيسوع المسيح. ثمّ آلمه كثيراً أن يسمع بينهم افتخارات وادعاءات وانقسامات بسبب التحزُّبات. وفي هذا المقطع من رسالته نسمع كلمات إلهيّة تشير إلى عمق حقيقة العلاقة بين الرعيّة والراعي، وبالاتجاهين.

تطرح هذه الكلمات سؤالين باتجاه الراعي ومثلهما باتجاه الرعيّة. السؤالان هما، ماذا تنتظر الرعيّة من الراعي؟ وماذا تقدم الرعيّة للراعي؟ ومثلهما على الراعي: ماذا يقدّم الراعي للرعية؟ ماذا ينتظر الراعي من الرعيّة؟

تنتظر الرعيّة من الراعي أن يكون صورة مشابهة، إن لم يكن تماماً فكثيراً، ليسوع المسيح الراعي الصالح. لا نستغرب عندما يدخل الكاهن إلى بيت، فتنادي آلام ابنها الطفل لتعرّفه على الكاهن قائلة: قبّل يده هذا "يسوع"!

قد يبدو هذا الأمر مستحيلاً، بالمطلق نعم، لكنّه مطلوب نسبياً. هكذا كان بولس، وعديدون جدّاً جداً هم القدّيسون الرعاة على صورة "الراعي الصالح". هكذا يستطيع الراعي أن يسير في مقدمة رعيته "نحو مراعٍ خضرٍ وماء الراحة"، وذلك بالمعرفة والنسك والصلاة والتعليم وتبنّي آلام الناس وحاجاتها.

وتقدم الرعيّة أيضاً الرعاية للراعي! قد يظن البعض أن الرعاية واجب من طرفٍ واحد من جهة الراعي. والحقيقة، أنه بمقدار ما ترعى الرعيّة راعيها يستطيع هذا الأخير تقديم الرعاية الصالحة. فكيف ترعى الرعيّة راعيها؟ لا شكّ أنّ هناك أموراً عديدة روحيّة وماديّة، نفسيّة وجسديّة. وأهمّ الأمور هي المحافظة على الوحدة والمشاركة في الحياة الكنسيّة. ولكن حسن أن تتساءل الرعيّة السؤال الآخر: ماذا ينتظر الراعي منها؟ وحين تقدّمه له تكون قد قامت برعايته. ماذا ينتظر الراعي من الرعيّة؟ لا ينتظر الراعي لا كرامات ولا حاجات. ينتظر الراعي أن يشعر بأن تكريسه وعمله وسهره وتفرّغه ووعظه لا يذهب سدىً. أي، ينتظر الراعي تجاوب الرعيّة مع الكلمة الإلهيّة وإثمار الروح في حياتهم. بكلمة أخرى، ينتظر الراعي من الرعيّة الطاعةَ للكلمة الإلهيّة، التي يبشرّهم بها. ما أصعب الوحدة على الكاهن والخادم! ولكن متى يشعر الكاهن بالفشل والعزلة والوحدة؟ حين يشعر نفسه ينادي في برية ولا يسمع صدى لصراخه! "أعدوا طريق الربّ، اجعلوا سبله مستقيمة، قد اقترب ملكوت السماوات".

وماذا يقدّم الراعي للرعية؟ يعرف الراعي أنّه يقدّم لرعيّته أصعب وأحوج الأمور إليهم. إنّه يقدم الدعوة للملكوت في عالم يتسابق من أجل تثبيت بَنِيه في هذا الدهر؛ إنّه يقدّم الكلمة التي يَصُمّ العديدون آذانهم عن سماعها، وينساها كثيرون بعد قليل إذا سمعوها، ويعمل بها الأقلّ والنادرون حين يسمعونها! إنّ الدهريّةَ تسرقُ صوتَ الملكوت من آذان الناس المصروعة بضجيج طلبات ورغبات الدنيا. "إنّ النحت في الصخر أسهل من النحت في البشر"، يقول المثل. أقسى مرض يعاني منه إيمان شعبنا هو النسيان، وقبله الإهمال، وقبلهما الانهماك بالدنيا حتّى سقف الرأس. ولكن الراعي يعرف تماماً، رغم الآذان الصماء ورغم نسيان السامعين، وإهمال العاملين، أنّه يقدّم للناس أحلى وأهمّ وأحوج الأمور إليهم. تأمّلوا! كلّنا نتعشّق العديد من أمور الدنيا، ولكن لاحظوا أنّنا في العمق قد نحتقر أو لا نحترم كثيراً منها. بينما لننظرْ كيف مجرّد كلمة من الكتاب المقدّس واحدة لها سلطة علينا ما بعدها من سلطة، تفوق كلّ غوايةِ الرغباتِ وضغطَ الحاجات. وأمثلة الرهبان والمكرَّسين والخدام، الذين "تركوا كلّ شيء وتبعوه" هي براهين قاطعة على ذلك.

لذلك في العمق، إنّ البشارة تحمل وجهَين: وجه الصعوبة، ولكن وجه الحقيقة والسهولة أيضاً. لذلك الكاهن يقدّس ذاته ويقدّمها ذبيحةً كسيّده، فيصير بنسكه وصلاته وخدمته نبع حياة ومتّكلاً لرعيّته. الكلام هنا يطول ونكتفي منه بصورة البجع الذي يجرح نفسه ليطعم أولاده، إنّها صورة ترمز أيضاً للمصلوب المطعون يخرج من جنبه دم وماء، نأكله نحن لحياة أبديّة.

هذه في الحالات المثاليّة، ولكن ما القانون عندما لا تُقدّم، وللأسف، الرعاية الحقيقيّة من أحد الطرفَين، أي عندما يقصّر الراعي أو تهمل الرعيّة؟

في حال إهمال الرعيّة دورَها في رعاية راعيها، كما حدث بين بولس ورعيّة كورنثوس، فإنّ كلمات الرسول هنا تعطينا القانون المسيحيّ لموقف الراعي. لقد "عاتب" بولس بقوّة ولطف. لقد قال "إنّنا مجعولون للموت"، لا يمكننا ولا نريد أن نطلب مردوداً لا من كرامة ولا من حاجات. فلنكنْ نحن كالجهلاء وأنتم كالحكماء، ليحسبنا العالم ضعفاء ويحسبكم أنتم أقوياء. لنكنْ نحن مهانون وأنتم مكرّمون، سنجوع ونعطش ونعرى ونُلطم، إن شُتمنا من الناس أو حتّى منكم سنبارك وإن شُنِّع علينا سنتضرّع. إنها، نعم، لهجة الأب الحنون الذي لا يترك ولده المخطئ خارج أحضان رعايته وحبّه وعطائه. نعم، هذا صليب يفرضه الحبّ الأبويّ، أن يداوي الراعي لاطمه وشاتمه، إنّ المحبّة عند الراعي هي محبّة الأب التي يدميها لطم أولاده وخطيئتهم معاً، ولا قرار لهذا الراعي الأب، لا في توقّف اللطم ولا بتخفيف الشتائم، لا قرار له إلاّ برفع الخطيئة! هذا هو القانون الذي يجب أن يلتزم به الراعي حين تهمله الرعيّة.

وماذا لو قصّر الراعي؟ تجيب على ذلك قصّة نوح وأولاده. لقد عصر نوح العنب وشرب، لأوّل مرّة، من خمرها دون أن يعرف تأثيرها فسكر، وتعرّى. فدخل أحد أولاده ورأى والده عارياً فهزأ به أمام إخوته. وجاء أخواه ورأوا والدهما نائماً عارياً، "فستروه". ولما استيقظ نوح، وعرف بما حدث، قال لابنه ستكون عبداً لإخوتك!

كل شيء في إنسانيتنا محتمل ولو كان غيرَ مرغوب به. تقصير الرعيّة ممكن كما تقصير الراعي أيضاً. لا يرعى كلّ من الراعي والرعيّة بعضهما البعض في الحالات النظامية والمثاليّة فقط! وإذا ما اختّل الوضع المثالي يتراشقون التهم والكلمات الجارحة. هذه الأخيرة قوانين الدهر والشارع، وليست أبداً قانون الرسول أو الرعيّة –الكنيسة.

سنسعى معاً، وفي تاريخنا ستمرّ لحظات وهن ولحظات قوّة. وسبيلنا أن نجعل فترات القوّة كثيرة وقادرة أن تمحو من الذاكرة لحظات الضعف. صلاتنا أن نصل إلى الوضع المثاليّ للرعيّة والراعي. وهاكم قانونها المدهش، إنّه كلمة بولس الرسول الرنّانة "يا إخوة أطلب إليكم أن تكونوا مقتدين بي". هكذا تصير الرعيّة فرداً فرداً راعياً. هذه كلمات راعٍ أعطاه الله نعمة في نسكه المقدار من السلطة أن يقول "اقتدوا بي". وهي كلمات لرعيّة أحبّت راعيها لا لتلاطفه ولا لتجادله ولا لتؤمّنه... وما شابهها من واجبات تافهة أمام مسؤوليّتها الحقيقيّة، رعيّة تقتدي براعيها الذي يقتدي بالمسيح. رعيّة تقدِّس ذاتها مع راعيها الذي يقدِّس ذاته لأجلها. فيصير معنى "ملكوت الله في داخلكم" أنّ "ملكوت الله فيما بينكم"، آمين.

١كور ٤، ٩-١٦

٢ الأحد الـ ١٠ بعد العنصرة

رسالة إلى الرسول

"صرنا مشهداً للعالم وللملائكة وللناس"

إنّه مشهدٌ عجيبٌ فعلاً! يعدِّد بولس الرسول هنا صعوبات الرسل وخدّام الكلمة في علاقتهم مع العالم والبشارة؛ ويصف حالتهم الدقيقة التي تبدو في نظر العالم محتقرة. كما يذكر بولس الفضائلَ التي يجب أنْ يتحلّى بها الرسول لكي يتمّم الخدمة المعطاة له. عدا الفضائل العديدة التي ينصح بولس كلّ رسول للمسيح بالتحلّي بها، ومنها محبّة الأعداءِ والشاتمين، والصلاة من أجل مَن يفتري عليه؛ فإنّه يتطرّق إلى ثلاثة فضائل خاصّة مهمة وخفية:

أوّلاً: يجب أن يعرف الرسول طبيعة كرامتِهِ، وأن يقبل هوان البشارة مقابل الكرامة الرسوليّة. لقد عرف العهد القديم مهمة الرسول، أي المُرسل من ملك أو سيّد... الخ. وكان على الناس أن يقدّموا لهذا المرسل الإكرام والاحترام اللائقين بمرسِله نفسه (٢ صم ١٠). فكلام الرسول هو كلام سيده وكرامته تعبير عن كرامة مرسله.

وهذا حقيقي حتّى في العهد الجديد، رغم أنّ الواقع انعكس. لقد أعلن يسوع جهاراً لتلاميذه: "ليس من رسول أعظم من مرسله" (يو ١٣، ١٦)، فكما أكرموا يسوع سيكرمون رسله؛ وإن كانوا اضطهدوه هكذا سيضطهدون رسله! وهذه الكرامة هي التي ينتظرها رسول المسيح. وإذا كانت هذه الكلمات رسالةً للرسل، خاصّة الخدّام والكهنة والمكرّسين، فهي تخصّ أيضاً كلّ تلاميذ يسوع، والمسيحيّين عامة. لأن الرسوليّة هي للجميع، والرتب الرسوليّة هي ترتيب داخلي.

نعم، هناك حالات خاصّة، مرّات تكون نادرة ومرّات غير قليلة، حين يُكرَّم الرسول والخادم من سامعي الكلمة إكراماً مهيباً: "ما أسمعناكم... لَم تتقبّلوه على أنه كلام بشر، بل على أنه كلام الله" (١ تس ٢، ١٣). وكان بولس يشعر مرّات أنه يتمّم خدمةَ المجدِ الخالد (٢ كور ٣، ٧-١٠). ولقد قَبله أهل غلاطية "كأنّه ملاك الله، بل المسيح يسوع" (غل ٤، ١٤).

هذا التناقض الرهيب في الحالات، بين الاحتقار والإهانة وبين الإكرام المهيب، يضع الرسول في اليقظة الدائمة: ألاّ يخدم حيث الإكرام ويتجنّب البشارة المهدّدة بالإهانات. إن هذه الإهانات، وهي الحالة الأعَمّ ربّما، تروِّض الرسول لكي لا يستخدم سلطان الرسالة وثقة الناس بها وإكرامهم له بشكلٍ أنانـــيّ. فلا يحوِّل الرسول سلطان الكلمة إلى مجدٍ شخصيّ. وبغض العالم مرّات يمتحن وينقّي هذه الفضيلة.

ثانياً، يقول: "كأنّنا محكوم علينا بالموت". نعم الحكم بالموت هو حكم قبله الرسول عندما قَبِلَ إرساليّته مباشرة. "ضع الموت أمامك"، يقول

القدّيس إسحَق السريانـــيّ قبل إتمام أيّة فضيلة. مَن يقبل أنْ يقول للسيّد "مستعدّ قلبي يا ربّ مستعدّ" أو "تكلّمْ يا ربّ إنّ عبدك يسمع"، يجب أن يحكم هو على ذاته بالموت. إنّ ذكر الموت فضيلة مسيحيّة هامّة، وخاصّة للرسل. وذكر الموت لا يعني اليأس، أو تذكُّر هوان الطبيعة البشريّة وما إلى ذلك، أو افتداء الوقت المعطى لحياتنا الهشّة وحسب، بل ذكر الموت هو موت كلّ يوم- يقول السلّمي. ذكر الموت يعني ما قاله بولس الرسول "مِن أجلكَ نُمات اليوم كلَّه" وكل يوم. وأنّه "أنا صُلبت للعالم والعالم صُلب لي". ذكر الموت يعني أن يَعي الرسول أن لا مصلحة له في وجه هذا العالم، ولا جمال فيه؛ والمسؤوليّة العذبة الوحيدة هي الكرازة بالكلمة. العالم يضايق الرسول لأنّه لا يقبل البشارة بسهولة ولا غواية فيه إلاّ إمكانيّة إعطاء الكلمة وزرعها.

وثالثاً: يَعي الرسول أنّ الحكمة الإلهيّة التي ينادي بها تُحسب لدى بَني هذا الدهر جهالةً. فالتواضع جهالة أمام تعظّم هذا الدهر، والبذل بلاهة أمام التّسابق على الفرص والقنية والغنى لدى "العالم". وهكذا كلّ التطويبات المسيحيّة التي سيكرز بها الرسول (الوداعة- الفقر- التوبة... الخ) هي فضائل يجب أن يحملها ويمثّلها هو نفسه، فيبدو "قذارة" للعظماء والمتسلّطين. إنها فضائل يعتبرها حكماء هذا الدهر "جهالة". لهذا سمّى الفلاسفةُ بولسَ مهذاراً (أع ١٧، ١٨). ولكن لا ينسى الرسول أنّ "الله اختار جهلاء هذا العالم لكي يخزي الحكماء". لأن قوّة هذه الحكمة هي كقوة حياة حبة الحنطة التي تبدو دُفنت وإذّ بها تصير شجرة كبيرة. إنه سر قوّة الحكمة الإلهيّة التي لا يراها إلاّ المؤمن والرسول، وذلك وسط كلّ وجه الضعف الملحق بها خارجياً. وهذه

حكمة يجب أنْ يتحلّى بها الرسول، وإلاّ لاستحال عليه المضيّ إلى العالم مبشّراً.

نعم هذه الفضائل الرسوليّة ستجعل الرسول مشهداً (عجيباً) للملائكة والبشر، آمين.

١ كور ٩، ٢- ١٢

الأحد الــ ١١ عشر بعد العنصرة

فكر الــراعي وتفــكير الــرعيّة

"بل نحتمل كلّ شيء لئلاّ نسبِّب تعويقاً ما لبشارة المسيح"

لم يكن بولس رسولاً عاديّاً بل استثنائيّاً. لقد جال الرسلُ جميعُهم مبشِّرين بيسوع المسيح، وكانت ترافقهم زوجاتهم لخدمتهم، وكان الرسل يتقبّلون تقدمات المؤمنين بسبب من تفرّغهم للخدمة. أمّا بولس فشاء في ظرف رسالته، الاستثنائيّة حجماً وميزاتٍ، أن ينبري هو للرسالة بأسلوب استثنائيّ ومثاليّ جدّاً أيضاً. لذلك خدمتْهُ يداه. لذا اقتاتَ من عرق جبينه وزاد على همومه وأتعابه وأسفاره عبء قوته وقوت الذين معه، وجال مع تلاميذه دون زوجات يساعدنَهم، لكي يبقوا أكثر حريّة في التنقلات ودخول أقسى الظروف من أجل البشارة.

هذا الظرف الاستثنائيّ هو المثل الأعلى لخدمة الرسل وخدام الكنيسة. وإن تبدّلت الظروف بين تلك التي كانت أمام بولس وبين هذه التي أمامنا اليوم، فإنّه في كلّ الأحوال علينا أن نحافظ على روح هذه المواجهة البولُسيّة أمام حاجات البشارة.

فما هو النظام أو الشكل العام الذي ترغبه الرعيّة لطريقة خدمة رعاتها لها، من حيث أوّلاً غيرتهم الروحيّة من أجلها، وثانياً تأمين معيشتهم لضمان تلك البشارة والخدمة الرعويّة؟

يعطي بولس الرسول صفات الوضع النظاميّ الذي كان سائداً قبل المسيحيّة وبعدها مع أغلبيّة الرسل. فيستخدم بولس صوراً للكنيسة كالكرم والرعيّة والجنديّة، ويقول "مَن يتجنَّد قطُّ والنفقة على نفسه؟ مَن يغرس كرماً ولا يأكل من ثمره؟ مَن يرعى قطيعاً ولا يأكل من لبن القطيع؟

إنّ صورة الكنيسة الأولى تقول أكثر من ذلك. لقد كان الجميع يعملون ويأتون بما يحصلون عليه ويضعونه أمام أقدام الرسل، ثمّ يأخذ الجميع (الرسل والمؤمنون) منه حاجاتهم. أمّا بولس فيصف هنا حالةً أقلّ، وهي أن تقدَّم للراعي حاجاتُ معيشته.

عرفت الكنيسةُ أسلوبَي حياة عند المبشِّرين. الأوّل يقوم به كهنة وخدّام يحيون في العالم بأعمالهم ويحيون منها، لكنّهم بما تبقى لديهم من وقت يحاولون بناء ذاتهم روحيّاً وعلميّاً ويعملون جهدهم للبشارة والتعليم. وهذه الجهود ليست قليلةً وثمارُها ليست بسيطةً. على الرغم من أن الوقت المتبقّي لدى هؤلاء "الشهود" هو قليل بسبب التزامهم بأعمال عديدة لتأمين معيشتهم، فإنّ كثرة عدد المؤمنين والعائلات الخادمة تعوض عن ضيق الوقت المصروف للبشارة، لذلك نجد أنّ "شهادة" الكهنة المتزوّجين، الذين يعولون أنفسهم من أعمالهم المدنيّة، مع مجموعة كبيرة من العائلات– الخدّام– الذين

يصرفون الكثير من وقتهم للبشارة والتعليم، هي شهادة مهمّة جدّاً وغنيّة في الكنيسة.

لكن هناك حاجات أخرى تتطلّب تخصّصاً. وصار زمننا ورعايانا يتطلّبون كهنة يتحلّون بدراسات وعلوم تقضي منهم الانصراف الكليّ للدراسات الطويلة والتخصّصات العديدة. ثمّ عند عودتهم من دراساتهم واستعداداتهم لخدمة الرعيّة، يجد المؤمنون أنّ الفائدة المأخوذة للرعيّة من زمن هؤلاء الرعاة ثمينة لدرجة لا ترغب الرعيّةُ أن يخسر الراعي أو الكاهن أو الخادم وقتاً طويلاً في أعمال مدنيّة ليؤمّن معيشته اليوم وضرورات الجسد، لذلك تقدّم له الضروريّ للمعيشة في سبيل أن يتفرّغ لها في خدمته الروحيّة والتعليميّة والإداريّة في شؤون الكنيسة. لا شكّ أنّ المؤمنين صاروا الآن يتطلّبون- ككلّ الأمور في زمنهم- من الرعاة معارف وتخصّصات عميقة. وبسبب من توسّع الرعايا وتشتّتها وازدياد العطش إلى الماء الحيّ الروحيّ في "أرض جدباء لا ماء فيها" في وسط العالم صارت الرعيّة تتطلّب وقتاً طويلاً من الراعي لزيارة كلّ أبنائها وجميع أخويّاتها وإدارة شؤونها الروحيّة وتعليم أولادها...

لهذا بدأ يسود الجوّ العام في الكنيسة حيث يتفرّغ الكهنة للدراسة والتخصّص، من ثمّ لمتابعة أنفسهم وتجديد معارفهم وعلومهم، وأيضاً إعطاء الوقت الوافي والكبير لزيارة الرعيّة وتأمين حياتها حول الكنيسة بأسرارها ونشاطاتها.

عندها يحقّ شعور أبناء الرعية الذي يتطابق مع كلام بولس "إن كنّا نحن زرعنا لكم الروحيّات أفيكون عظيماً أن نحصد منكم الجسديّات؟" إذ تجد الرعيّة أنّ الأمثل هو تفريغ خدّامها (كهنة ومعلّمين وإداريّين...) لإنتاج وتنظيم ورعاية أوسع، وهذا ثمنه أكبر بكثير من بعض "الجسديّات: الأرضيّات الضروريّة لحياة الجسد وحاجاته".

التفكير والتصوّر الذي يجب أن نضعه أمام أعيننا كرعيّة لحياة ومعيشة الكاهن هو ألاّ يحيا "المعلّم" في الرفاهيّة، التي علينا نحن جميعنا أن نعفّ عنها ونلتفت بالأحرى للمحتاجين، حتّى ولو كانت لدينا خيرات كثيرة. بالمقابل لا شكّ أنّنا جميعاً نرفض أن يعيش الكاهن في العوز. فالرفاهيّة تعطّل البشارة إذ تفسدها والعوز يعطّل البشارة إذ يمنعها! ما نجده مناسباً وعامّاً في ذهنيّة أبنائنا هو أن تؤمَّن للكاهن المتفرّغ للبشارة معيشة "وسط" مما هو في محيط الرعيّة. طبعاً هذا أمر نسبيّ بين بيئة وأخرى وبلدٍ وآخر. لكن نرتئي ونرى أنّ قناعة المؤمنين جميعاً أن يحيا الكاهن "كطبقة وسط" لنجعله ينصرف للخدمة باطمئنان ونشاط وبعفّة أيضاً. إذا كان هذا هو تفكير الرعيّة الصحيح المطلوب، فما هو فكرُ الكاهن والخادم تجاه الرعيّة؟

فكر الكاهن الذي يجب أن يتحلّى به لا يمكن أن يكون إلاّ كلمات بولس التي سمعناها "بل سنحتملُ كلّ شيء" إذا كان أيّ شيء يسبّب تعويقاً ما لبشارة المسيح، بسبب من ضعفٍ ماديّ أحياناً ومرّات عديدة من ضعفٍ روحيّ. الضعف الماديّ في الرعيّة أحياناً لا يسمح بتأمين الكافي، هذا لن يجعل

الراعي بأيّة حالة أن يشترط أيّ شرطٍ قبل الخدمة. كلّ الخدّام (كهنة ومعلّمين...) انطلقوا إلى الخدمة لأنّ الروح أسرهم! ولن تمنع الخدمةَ "شحاحةٌ"! لكن قد يكون مرّات عديدة الضعف الروحيّ هو السبب، حين لا تعي الرعيّةُ ثمنَ خدمة الراعي الروحيّ، وبالتالي لا تحمل مسؤوليّة الحدّ الأدنى من معيشته الماديّة! عندها يقول الراعي "سنحتمل كلّ عوزٍ" لئلاّ تبطل بشارة المسيح. إنّ أيّ ضعف ماديّ أو روحيّ من جهة الرعيّة لن يؤثّر على قرار الرعاة بالتفاني والتقدّم للخدمة.

لا يخفى علينا أنّ تأمين الحاجات الروحيّة وسبل البشارة اليوم لا يتحقّق دون مسؤوليّة منّا جميعاً، وهذه المسؤوليّة كما هي إيمانيّة ومعنويّة هي بالوقت ذاته ماديّة وإداريّة؛ والأمران لا ينفصلان فلا يوجد الواحد دون الآخر، وبالاتجاهَين!

مهما كان الوضع، المغزى، من صرخة بولس وتوجيهاته الروحيّة هنا، ومن كلّ ما تأمّلنا فيه قبل قليل، هو تفوّق العطاء الروحيّ من الراعي على بساطة الحاجات التي تقدّمها الرعيّة.

اقترحتُ مرّة في رعيّةٍ قرويّة على "وكيل الكنيسة" أن تنظَّم اشتراكات حرّة، تقدِّم كلُّ عائلة أقلّ ما تقدر عليه، لتأمين بعض الصيانات والخدمات في الكنيسة؛ فأجاب: وماذا سأقول للناس مقابل هذه الاشتراكات (الزهيدة والسخيفة)، ماذا تقدّم لنا الكنيسة؟ أليست هذه هي "المهزلة" الكبرى التي يجب أن نعالجها قبل معالجة طرق تأمين الموارد لصيانة كنائسنا أو تقديم واجباتنا الدنيا أمام خدامها وكهنتها؟ لكن هذه المهزلة ليست موجودة دائماً وفي كلّ مكان، والحمد لله. أمّا حيث توجد فلنقرأ هناك معاً كهنة وشعباً

رعاةً ومؤمنين كلمات بولس الرسول في الرسالة اليوم، ولتتأمّل الرعيّة قوله لها: "لا يتجنَّد قطّ والنفقة على ذاته، ولا يغرس أحد في كرم ولا يأكل من ثمره...". وليتأمّل الكهنة والخدّام تتمّة قول بولس الرسول عن نفسه وعنّا نحن الرعاة، إذا ما اختلَّ المعيار وشحت الأقدار: "سنحتمل كلّ عوز لئلاّ نسبّب تعويقاً ما لبشارة المسيح"، هذا فكرُ الراعي وذاك تفكير الرعيّة، لمجد الربّ وخدمة البشارة، آمين.

١ كور ١٥، ١-١١

الأحد الـ ١٢ عشر بعد العنصرة

سَكْبُ النفس وانسكابُ النعمة

"لكن لا أنا بل نعمة الله التي معي"

ما هي نهاية الإنجازات الكبيرة، أهو التواضع أم الترفّع؟ صام الفريسيّ يومَين بدل وصيّة اليوم الواحد في الأسبوع وترّفع. وعمل بولس و "تعب أكثر من جميع الرسل" لكنّه سكب نفسه أمام نعمة الله بالتواضع.

بولس نبيّ النعمة والخلاص بالإيمان ومعلّم الشكر للهبة الإلهيّة المجانيّة. وبالوقت ذاته، هو مثال العمل حتّى الحدّ الأقصى. في بولس تتفسّر المعضلة حول دور النعمة ودور الأعمال، فيه تتّضح صورة تعامل النفس مع الروح ونفهم قيمة الأعمال وثمن النعمة.

يعترف بولس بنعمة الله وخلاصه المجانيّ من خبرته الشخصيّة. لقد كان ذاهباً إلى دمشق ليقبض على المسيحيّين "فقبض عليه المسيح". دون أيّ سبب إلاّ محبّة يسوع له هكذا مجاناً صار المضطهدُ رسولاً. "لستُ أهلاً لأدعى رسولاً لأنّي اضطهدتُ كنيسةَ المسيح"، ومع ذلك لقد ظهر له الربّ على أبواب دمشق ودعاه ليصير له إناءً مصطفى يحمل اسمه إلى كلّ الأمم.

"ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل تعبتُ أكثر من جميعهم". إنّ بولس نبيُّ النعمة ورجلُ الأعمال. لقد احترم نعمةَ الله المخلِّصة. نعم لقد أعطيتْ له مجاناً أي دون أعمال مسبقة تشتريها، لكنّه كان "يُمات من أجل المسيح كلّ يوم" ليقدِّم للنعمة شكرَه، هذا الشكر ليس ثمناً لكنّه التعبير عن أقصى التقدير ببذل وسكب النفس بالتواضع للحدّ الأقصى!

لقد تعب بولس "أكثر من الرسل جميعهم" ويرى ذاته "آخر الكلّ" لقد بشَّر العالَم ويدعو نفسه: "لست أهلاً لأن أسمّى رسولاً"، لقد تاب توبةً صادقة وما زال في كلّ رسائله يكرّر: "لأنّي اضطهدتُ كنيسةَ المسيح"، وأخيراً يلقّب ذاته بالـــ"سقط" الذي له الشكل فقط لكنّه لا ينفع! هذا هو التواضع!

ما هو التواضع؟ هل هو تحقير الذات؟ هل هو إنكار الواقع والإنجازات؟ هل هو انفصام شخصيّة؟

هل كان بولس فعلاً آخر الرسل؟ وهل كان يقيَّم على أنّه أصغرهم، مع أنّ الكنيسة اليوم تسمّيه مع بطرس: "هامتَي الرسل"! ما نستطيع أن نجيب عليه بثقة، أنّ بولس كان يؤمن حقّاً أنّه أقلّ من كلّ الرسل. ولكن هذا لا يعني أن يعمل أقلّ منهم.

مفتاح السرّ هو مفهوم بولس لعمل النعمة! إنّه هو كالـــ "سقط" ولكنّه لم يعملْ هو بل عملتْ فيه نعمةُ الله. كان دوره ألاّ يجعل نعمةَ الله التي وُهبتْ له باطلة. لذلك تعب كلّ لحظة لكي يترك النعمة تعمل فيه ولا يعيقها.

"أنا مضطهِد كنيسة المسيح... لكنّي بنعمة الله أنا ما أنا". يعرّف البعضُ التواضعَ: "نسيان دائم لما أنجزناه"، وآخرون: "أن نحسب أنفسنا آخر الناس" أو "معرفة الإنسان لنعمة الله عليه"، كما يورد السلميّ. وهذه كلّها تفسّر كلمات بولس الرسول. لكن بولس تعلّم هذه الفضيلة من المسيح ذاته، الذي انحنى إلى المضطهِد وقَبِلَه كرسول عند أبواب دمشق. لولا هذا "الوديع والمتواضع القلب يسوع" (متى ١١، ٢٩) لما صار بولس.

هذه هي آداب التعامل مع النعمة: نسكب النفسَ بالتواضع، بتذكّر خطايانا والاعتراف بهبة المحبّة الإلهيّة مجّاناً، وأخيراً أن نضع نفسنا مقابل الهبة في خدمة البشارة. هذا الأدب الروحيّ يجعل سكب النعمة غزيراً دون حدود وبلا نهاية. "مَن اتضع ارتفع" ومَن أخلى ذاته يملؤه الله.

التواضع إذن ليس ذمَّ النفس أو كرهَها أو إنكارَ الإنجازات! التواضع هو الاعتراف بأنّ كلّ هذه الإنجازات هي من عمل الروح في هزالتنا وضعفنا: "لكن لا أنا بل نعمة الله التي معي". نحن نعمل حتّى الموت كلّ لحظة لكي نُثبت للروح أمانتنا الكليّة، ويسكب الروح نعمته بمقدار تواضعنا: "لتكنْ يا ربّ رحمتك علينا كمثل اتّكالنا عليك"! "بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً". يشرحها بولس الرسول بكلماته: "أستطيع كلّ شيء بالمسيح الذي يقوّيني".

سكبُ النفسِ بالتواضع يسمح بانسكاب النعمة بغزارة. كرامة النعمة هو تواضعنا، وأعمالنا تبرهن إكرامنا للنعمة: "نعمته لي لم تكن باطلة بل تعبتُ أكثر من جميعهم". إنّ إنجازات النعمة بواسطة ضعفنا تخشعُنا لأنّا لسنا مستحقّين، آمين.

١ كو ١٦، ١٣-٢٤

الأحد الـ ١٣ عشر بعد العنصرة

الـوصـيّـة الأخـيـرة

"ماران أثا"

النصّ الذي سمعناه هو خاتمة رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس. لذلك هنا، وبكلمات موجزة، يخطُّ الرسول آخر وصاياه الضروريّة ليتحقّق مضمون وضمانة كلّ ما جاء في الرسالة.

عاش بولس حوالي السنتَين في كورنثوس، والآن من مدينة أفسس يسمع بمشاكل خطرة في حياة الكنيسة التي أحبّها وأسّسها على الإيمان الحقيقيّ بيسوع المسيح. فهناك شقاقات باسم بولس و أبولُّس وتحزّبات. وهناك ممارسات لا أخلاقيّة و أسئلة حول الزواج و البتوليّة تنمّ عن فهم خاطئ. والأهمّ، إنّه يُشيّع عندهم مفاهيم أبيقوريّة عن عدم وجود قيامة وعن إباحات خلقية، بالإضافة إلى الفوضى في توزيع وخدمة المواهب! "فمَن يشكّ ولا احترق أنا ؟".

كلّ هذه المشاكل دفعت بولس الرسول إلى إرسال كلمات حارّة ونارّية، وهنا في ختام الرسالة يضع الأختام من الوصايا الضروريّة. ولقد وجّه

بولسُ وصاياه ونصائحه إلى حياة المؤمن الفرديّة أوّلاً، ثم إلى حياة الجماعة، وها هي وصيّته لكلّ مؤمن: أن"يسهر "و "يثبت" ويكون "رجلاً"!

وهذه الوصايا تذكّرنا بمثل الزارع. فالسهر ضروريّ لكي لا تأتي الطيور وتأكل الزرع قبل أن يتجذّر. لا تفيد النعمة ولا البشارة إذا كان قلبنا كالطريق تسلكه كلّ الرغبات فتأتي الطيور وتخطف الزرع قبل أن تتقبّله الأرض. "ليذهب العالم وشهوته ولتأتِ النعمة "! هذه كانت صلاة الكنيسة في أيّامها الأولى.

"والثبات "على الإيمان الحقيقيّ ضروريّ لأنّ زرع الإيمان والكلمة محاط بأشواك كثيرة تريد أن تخنق الزرع عندما ينمو. إيماننا فينا، ولكن ثباته فينا وفي دنيانا التي لا تشجّعه بل وتقاومه، يحتاج إلى جهاد روحيّ. إنّ معركتنا ليست مع سلاطين هذا الدهر بل مع أرواح الشرّ التي في الجوّ... ما نفع الرسالة والكلمات التي خُطَّت بحبرٍ من دموع بولس إذا اختطفت طيورُ الإيديولوجيّات الغريبة أهمّ ما في بذار الإيمان وأسسه كالإيمان بقيامة يسوع وقيامة الأجساد.

لا يتجاهل المسيحيّ الأفكار والعقائد الغريبة بل يواجهها بمعرفة ونقد، فيزيد ذلك ثباته. ولكن هذا يقتضي أن يقارن المؤمن كلّ هذه الإيديولوجيّات تحت ضوء الإيمان الحقيقيّ الذي تسلّمه. ولا ينقد المؤمنُ معتقدات غريبة إذا كان لا يعرف إيمانه حقّ المعرفة. لذلك يعظ بولس سامعيه "اثبتوا على الإيمان".

وأخيراً: كونوا رجالاً! إنّ صوم القلب وصوم المعرفة والسهر على الرغبات وعلى الإيمان في وسطٍ وزمنٍ لا حدود فيه و لا احترام بل تسوده

شريعة الغاب بين الشهوات والإيديولوجيّات، كلّ ذلك يتطلّب رجولة روحية. الرجل لا يخاف، والرجل يصبر، والرجل يواجه ويحارب ولا يهاب ما يظهر من عدم توازن في الجبهات لأنّه يؤمن بما هو أهمّ وأثبت: أنّه على حقّ. الرجل لا يفرُّ ليترك الحقيقة بل يشهد لها حتّى الاستشهاد.

لقد سُميَّ الرسل "حواريّين "، أي أنّهم كانوا يحاورون الناس بالحقّ ولا يحيدوا عنه حتّى لو سكبوا دماءهم شهادة على إيمانهم بهذا الحقّ. هذه هي الأرض الصالحة، الرجولة الروحيّة، التي تتحدّى كلّ طير غريب أو شوك... إنّها تتمسّك بالحبّة التي دُفنت بالأرض إلى أن تعطي مئة ضعفٍ.

أمّا وصيّة بولس للجماعة فهي أوّلاً لمحبّة الأخويّة: "ولتكنْ أموركم كلّها بالمحبّة ". إنّ العمل الجماعيّ والشهادة المسيحيّة لا تقوم إلاّ بتعاون الجميع، وهذا يحتاج أوّلاً للمحبّة. المحبّة ستعطي ختماً على شهود يسوع أنّهم تلاميذه وهي التي توزّع النعمة والفرح على المجاهدين.

وثانياً، بعد المحبّة، الطاعة. نعم، يوصي بولس مسيحيّي كورنثوس بطاعة استفانوس وكلّ الرسل والخدام والمعلّمين: "لمثل هؤلاء ولكلّ مَن يعاون ويتعب" في البشارة. الطاعة هي المدلول العميق على المحبّة للجماعة والشهادة. المحبّة حتّى تفضيل وحدة الجماعة فوق الإرادة أو المصلحة الشخصيّة هي الطاعة.

المحبّة والطاعة هما رباطا الوحدة. الطاعة والمحبّة تضمنان تأسيس الكنيسة ومسيرتها في التاريخ بحسب قلب مؤسّسها الذي أوصى وصيّة واحدة جديدة:

"أحبّوا بعضكم بعضاً"، وصلّى بالوداع صلاة واحدة "ليكونوا واحداً". فالشقاق أصلاً هو دليل قاطع على شرخ ونقص في المحبّة.

"إنْ كان أحدٌ لا يحبّ يسوع المسيح" فليكنْ مفروزاً "أناثيما"! هذه هي أساس إيماننا "محبّة يسوع المسيح"، وهذه هي غايته! الألف و الياء، الأوّل والآخر، المبدأ والنهاية! محبّة يسوع تحتاج فعلاً للسهر والثبات والرجولة، كما أنّها لا تقوم دون محبّة الأخوة وطاعة الآباء والمعلّمين!

"ماران أثا": الرب آتٍ، تعال أيها الرب يسوع! "توبوا قد اقترب ملكوت السموات"، كانت هذه العبارة في خاتمة القدّاس والحياة اللتورجيّة للجماعة المسيحيّة الأولى!

تشدّدوا، يقول بولس الرسول، لا يستحقّ الزمن تراخياً، فالمعركة تبلغ منتهاها، "الربّ قريب"، الجهاد قاسٍ لكنّه في النهاية. الحنين إلى المنشود والملكوت الآتي يعزّي القلب ويقوّي الركب المخلّعة! أوصى بولس أهل كورنثوس ويوصينا بكلّ ما جاء في رسالته. لكنّه يقف هنا في الختام ليقول اصبروا وتقوّوا، نحن على أبواب الغلبة.

"نعمةُ ربّنا يسوع المسيح معكم"، محبّتي مع جميعكم؛ هذه هي صلاة المعلّم القلبيّة الحارّة لمن يتمثّلون به كما هو بالمسيح، إنّها الصلاة التي يرفعها في كلّ ليتورجيا القدّاس مَن يرفع القرابين في زمن يمتد من القريب إلى الأخير، زمن الكنيسة وسهر المؤمنين بالمحبّة والطاعة والحنين، آمين.

كور ١، ٢١ – ٢، ٤

١ الأحد الــ ١٤ عشر بعد العنصرة

تــوبــة اللهِ والــراعي والــرعيّة!

"وقد جزمتُ في نفسي ألاّ آتيكم في غمٍّ"

آلم بولسَ في كنيسة كورنثوس العديدُ من الأخطاء، بعضها أخلاقيّ وأخرى خصومات... الخ، فأرسل لهم رسالةً يؤنّبهم بها بقساوة، وعدَلَ عن زيارتهم حينها، "وإنّي استشهد على نفسي أنّي لإشفاقي عليكم لم آتِ أيضاً إلى كورنثوس"، لأنّه لو أتى كان سيكون قاسيّاً جدّاً بتأديبه لهم! فاكتفى بالرسالة وعدل عن الزيارة.

بلغَ بولسَ أنّ أهل كورنثوس تأثّروا كثيراً بكلماته "وتابوا"، فعاد في الرسالة الثانية هنا يفسّر لهم سبب قساوته وبحنان أبويّ يعِدُهم بزيارة قادمة.

قد يكون غريباً جدّاً للبعض أن يقرؤوا عبارة "تاب اللهُ"! وهنا نجد أنّ "بولس قد تاب" أيضاً وغيّر مخطّطه! إنّ علاقة الله والراعي مع الرعيّة هي علاقة ديناميكيّة من اتجاهَين. من جهة الله والراعي هي ثابتة المحبّة والحركة. ولكن ما يحدّدها أيضاً هو حركة الجهة الثانية في الرعيّة!

علينا أن نتوقّع في حياة الرعيّة ضعفاتٍ مرّات عديدة، إمّا بشكل فرديّ بين أبنائها (غالباً) أو بشكل حتّى جماعيّ. لا يمكننا أن ننكر واقع واحتمال الخطيئة الذي يحيط بنا. وكثيرون منّا مرّات غير قليلة يكونون "مبيعين لسلطان الخطيئة" (روم ٧، ١٤). مهمّة الراعي هي أن يقف أمام الله وتجاه خطيئة ما في الرعيّة فيدفعه الروح ليس إلى التعليم فقط بل إلى التأديب، فإذا ما كانت الخطيئة فادحة جاء التأديب قاسياً. ليس الراعي معلّماً للدِّين وحسب! الراعي أبٌ حنون تؤلمه خطيئتُنا أكثر مما تؤلمنا، فلا يرضاها فينا حين نحن نرضى! لا توجد أقسى من عبارة بولس: "إنّي لإشفاقي عليكم لم آتِ..."! ولكن لا يوجد أكثر منها تعبيراً عن ألمه للضعفات التي يشير إليها في كنيسة كورنثوس. كانت اللهجةُ قاسيةً بمقدار ما فيها من محبّة، ولهذا جاءت مقبولة!

ما هذا التبدّل في موقف بولس؟ انقلاب جذريّ تماماً! نعم لأنّ العلاقة تحرّكت من الجهة الثانية فتبدّل لونها من الجهة الأولى!

التوبة هي "تغيير الطريق"، العودة والتراجع عن أعمال لا نرضاها (حين نرضى بالله ربّاً وأباً). التوبة هي مشاعر ندامة على مخالفات في حياتنا لمن عاهدناه أن نحيا حياته. التوبة هي عودة إلى الأحضان الأبويّة. فكما أنّ رباط العلاقة بين الرعيّة وبين الله والراعي مهدّد من الخطيئة فهو مشدّد من البرّ. قد "يُغضبُ" واحدٌ من الرعية الله ويؤلم الراعي، ولكن يمكن أيضاً أن يُسِرّ أحدُهم اللهَ ويُفرِح الراعي: "فإنّي واثق بجميعكم أنّ فرحي هو فرحُ جميعكم".

ليس غريباً أن "يتوب الله" عن قرار له تجاه الرعيّة إذا ما "تابت" هذه الأخيرة عن خطيئة فيها. حركة الله نحو البشر حركة مخلِّصة بالحنان حيناً وبالقساوة حيناً آخر، من دافع المحبّة ذاتها.

إنّ الرجوع إلى الله يبدّل عنده التأديبَ بالرأفة يقول النبيّ عاموس (٥، ١٥)، ويعيد عند الله رضاه فيصرف غضبه (هوشع ١٤، ٢-٩)

إنّ اللهَ "يريد أن جميع الناس يخلصون" (١تيم ٢، ٤). ولكن خطيئة الإنسان تحوِّل محبّة الله من الحنان إلى "المعاقبة". لكن القصد الإلهيّ هو "التطبيب" فحين يستعصي المرض – الخطيئة يقسو العلاج. إلاّ أنّ الله لا يرغب بالمعاقبة بل بالخلاص، لذلك إذ ما عدل الإنسانُ عن خطيئته وتاب، يعدل الله عن قساوته إلى الحنان، "ويتوب"! توبتنا عن خطايانا تجعله يتوب عن قساوته. لا يتوب الله عن خطيئته – حاشى! بل يبدِّل الكيَّ بالحنان! "مَن لا يؤدِّب ذاته يؤدِّبه الله". هذا ما يقوله الربّ على لسان أرميا النبيّ: "تارّةً أتكلّم على أمّةٍ وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك. فترجع تلك الأمّة عن شرّها "فأندم" عما قصدتُ أن أصنعه بها. وتارّة أتكلّم على أمّةٍ ومملكةٍ بالبناء والغرس. فتفعل الشرّ في عينَي فلا تسمع لصوتي "فأندم" على الخير (الحنان) الذي قلتُ أنّي أحسن إليها به" (أرميا ١٨، ٧-١٠). وهكذا "ندم" الربُّ على الشرّ (القساوة) الذي قال إنّه سيفعله بالشعب، الذي عبد العجل الذهبيّ عوض الله الحيّ، بعد تضرّع موسى راعيهم وصلاته الحارّة: "ارجعْ يا ربّ عن حموّ غضبك واندمْ على الشرّ بشعبك" (خروج ٣٢، ١٢-١٤). هكذا "لما رأى اللهُ أعمال أهل نينوى أنّهم رجعوا عن طريقهم الرديئة "ندم" الله على الشرّ الذي تكلّم أن يصنعه بهم فلم يصنعْه" (يونان ٣، ٩-١٠).

نعم، إنّ مَن يستقطب حنان الله أو يستجر غضبه (بما في هذه الكلمات من تشابيه بشريّة للتعبير فقط) هو برّنا أو خطيئتنا! "الله محبّة" والمحبّة تؤدّب والمحبّة تنسكب حناناً كلّ مرّة حسب خير الإنسان!

بمحبّة الله يقتدي الراعي. وهنا بولس، كربّه، عندما بالغ أبناء الرعية بالخطيئة و"قساوة القلب" أدَّبهم بأقسى الكلمات وأعرض عن زيارتهم، ولما انكسر قلب الخطأة وعادوا بالتوبة، تاب بولس عن قساوة محبّته وانسكب بحنانه الأبويّ يعزّيهم ويمدح إيمانهم.

الرعيّة تحدّد رعاية الراعي. ما يعرفه الراعي هو ثباته في المسيح، أي ثباته على كلمة الحقّ وثباته في المحبّة. فيعمّ الفرح حين يكون الجميع في الحقّ إلى جانب الراعي ويصير كما يقول بولس "فرحي هو فرح جميعكم". أمّا إذا عمّت الخطيئة والقساوة والخصومات والشقاقات فهذا يخلق في قلب الراعي المحِبّ "شدّةَ كآبةٍ وكَرَبَ قلبٍ... ودموع".

يكلّم الراعي رعيّته "بلغتها"، فهو مضطرّ للكلام مع ثقافتها. إذا ما ارتفع مستوى المعرفة رفع الراعي مستوى الوعظ والتفكير، وإذا، لا سمح الله، ما انخفض يبسِّط الكلمات. إذا غار أبناء الرعيّة في الخدمة حوّل الراعي الكلام للشكر، وإذ ما تكاسلوا دعا بقساوة كلماته للتوبة والنهوض. تصرّفات أبناء الرعيّة تستخرج من قلب الراعي المحِبّ الكلمات والمواقف! الشفاء يستدعي الفرح والمرض يستدعي الدواء.

لا يطلبنَّ أبناءُ الرعية من الراعي تصرّفاً محدّداً، بل ليقدِّموا ما يستدعي التصرّف المنشود من راعيهم. العلاقة بين الله والرعيّة ومع الراعي ليست

مثاليّات نظريّة، إنّها علاقة ديناميكيّة مرّات قاسية وأخرى راضية، وتحدّد وجهَها توبةُ الرعيّة وحياة الصلاة والخدمة فيها!

"وأنتم تقولون ليست طريق الربّ ثابتة مستوية، فاسمعوا الآن: أَطريقي هي غير مستوية؟ أليستْ طريقكم غير مستوية؟" يقول الربّ على فم حزقيال النبيّ (١٨، ٢٥) للشعب المتأرجح بين البرّ والشرّ.

"يا إخوة، إنّ الذي يثبِّتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله". لقد ثَبَتَ بولسُ بالمسيح لكن لم يثبت شكل علاقته بالرعيّة بل تبدّل. لقد صمّم ألاّ يزورهم ثم تاب وعاد يعدهم بالزيارة... الخطأ الذي نقع فيه مرّات عديدة هو أن نتصوّر شكل الراعي وعلاقته بالرعيّة مستمدّينه من رسوم نظريّة إنجيليّة ولكن بقطع النظر عن واقع الرعيّة. كما يليق بالراعي أن يتصوّر علاقته بالرعيّة من الله، على الرعيّة أن تصوّر علاقة الراعي بها من ثباتها بالله والفضائل الإنجيليّة، وغياب هذا الأمر الأخير سيقتضي تبديلاً في "عاقبة المحبّة"، للمحبّة عاقبتان أوّلهما لحالات البرّ وهي الحنان، وثانيهما لحالات السوء وهي القساوة.

لا يتأرجح بولس مع الرعيّة، إنّه ثابتُ بالله وبالمسيح يؤدِّب حيناً ويعطف حيناً آخر، فالبتأديب وبالحنان يثبِّتُ الرعيّةَ بالمسيح، آمين.

كور ١، ٢١ – ٢، ٤

٢ الأحد الـ ١٤ عشر بعد العنصرة

ســوط الــدمــوع

"كتبتُ إليكم بدموع كثيرة"

ما يتميّز به بولس الرسول هو أبوّته: "فإنّي أتمخّض بكم حتّى يتصوّر المسيح فيكم"، "وإن كان لكم ربواتٌ من المعلّمين فلكم والدٌ واحدٌ" يقول عن نفسه للكنائس التي أسّسها. والأب هو غير المعلّم، لأنّ المعلّم أجير ينتهي واجبه بتفريغ كيس معلوماته، بغضّ النظر عن فاعليّة وثمار هذه الكلمات في الرعيّة. أمّا الأب فهو راعٍ يهمّه أن تثمر كلمة الله في أبناء الرعيّة – وإلى مئة ضعفٍ!

لذلك عندما أخطأ البعض في رعيّة كورنثوس أصاب بولسَ كآبةٌ وكَرَبُ قلبٍ شديد، وكتب إليهم بدموع! هذه الدموع هي ثمار المحبّة والمسؤوليّة ووحدة المصير القائمة بين الراعي والرعيّة، "مَن يشكّ ولا أحترق أنا؟".

هناك سلطتان قويّتان تتصارعان على حياة أبناء الرعيّة. أوّلها سلطة الخطيئة، وهي سلطة قاهرة مغتصبة تمارسها الأهواء والكبرياء والعجرفة

ونقص المحبّة... فتسحق الإلِفة وتكسّر روابط المحبّة وتخلط المواهب للفوضى...، وهناك سلطة الراعي!

لا أوضح من كلمات بولس عن سلطة الراعي، لكن السؤال هو من أين يستمدّها؟ لقد غلبتْ سلطةُ بولس سلطانَ أكبر الخطايا في حياة أهل كورنثوس. تفشّت الشقاقات والخلافات والزنى والاضطرابات... ولا أقسى من هذه السلطنات! لكن بولس تدخّل بسلطانه فأعاد الرعيّة إلى المحبّة والعفّة والوحدة!

وأيّ سلطان يمكن أن يملكه راعٍ! الراعي هو أضعف الناس من حيث السلطان الدنيويّ. أبناء الرعيّة أحرار نسبيّاً في علاقاتهم وأعمالهم... فهناك في الوظيفة أو الحزب أو العمل... الحريّة نسبيّة لأنّ المؤمن وإن حرّره الحقّ يخضع مرّات عديدة من دوافع كالخوف والمصلحة أو الجهل لسلطنة الباطل ويفقد شيئاً من حريّته. لكن المؤمن في الكنيسة حرٌّ بالمطلق من هذه السلطات! فليس المؤمن موظّفاً يُقطع عنه راتبه ولا هو عسكريّ يأمره الراعي إلى حيث يتّجه... لقد عبّر الربّ يسوع تماماً عن تراتبيّة السيّد في الكنيسة، فجعل الخادم هو الأوّل، وبالتالي الراعي هو الخادم. لا يملك الراعي أيّ "نفوذ" أو سلطان، لا ماديّ ولا اجتماعيّ ولا عسكريّ ولا سياسيّ... سلطان الراعي وقوّته يكمنان في حيّز آخر!

لم يهدّدْ بولسُ أهل كورنثوس بشيء مما ذُكر! لكنّه "تسلّط" على قلوب الرعيّة عندما كتب إليهم "بدموع"، إنّه سوط المحبّة الأقوى من أيّ سلطانٍ، حتّى سلطان الخطيئة ذاتها!

يملك الراعي حقيقتان تجعله "سيّداً" ومتسلِّطاً" (للتعبير) على قلوب الناس. وهما استقامة الإيمان والتعليم من جهة ثم محبّته الخالصة وتفانيه في الخدمة من جهة ثانية. إنّهما صفتان للـــ"أب"!

يغتمّ الراعي لخطيئة في الرعيّة ويفرح بالتوبة. حين يغتمّ يؤدِّب بالدموع وحين يفرح يجعل فرحه فرح الجميع. إنّ ثمن دموع الراعي هو التوبة في الرعيّة حيث هناك خطيئته!

لذلك عندما تمتزج دموع الراعي مع كلماته القويّة (وإن وُصفتْ قاسية) فلنتذكَّرْ جميعاً كلمات بولس هنا: "كتبتُ لكم (كلمات قويّة) بدموع كثيرة لا لتغتمّوا بل لتعرفوا ما عندي من المحبّة بالأكثر لكم".

العلاقة بين الراعي والرعيّة هي الرابط الكنسيّ. يترك الراعي بيته وأمه وأبيه وإخوته ويزهد بالدنيا والممتلكات ويهجر الدنيا وما فيها لينصرف إلى خدمة الرعيّة. لقد أحبّ المسيح أكثر من الأب والابنة والأم والإخوة... ليستحقّه ويستحقّ الخدمة في كرمه! على الراعي إذن بعد أن ترك كلّ تلك الروابط المقدّسة والطيّبة أن يتمسّك بالمسيح ويثبت فيه للنهاية، ولا يعود ويبني علاقات في الرعيّة كان قد تركها. وإنّ مَن تدّرب بدايةً على ذلك الزهد كلّه (بالأهل والمال والدنيا) ليس من السهل أن تغويه شبيهاتها فيما بعد!

"الرابط الكنسيّ" هو الجسر بين الراعي والرعيّة، فلا يعبُر هو من درب غيره ولا أبناء الرعيّة يبنون جسوراً أخرى! الرابط الكنسيّ هو بالتحديد:

"كلمة الحقّ". ليست الكنيسة "جماعة" تنتخبُ قادةً لها تسمّيهم رعاةً ويتّفقون معاً على نظام داخليّ ويصوّرون العلاقة التي يريدونها! الكنيسة هي شعب الله، راعيه الوحيد هو يسوع، يسوع الذي حدّد ما هي الكنيسة وبعده يأتي الرعاة ليتابعوا عمله.

الرابط الكنسيّ ليس اختراعاً محليّاً أو فرديّاً. علاقة الراعي بالرعيّة في طبيعتها وصورتها من الجهتَين سبق ورسمها السيد المسيح في حياته: مؤدِّباً وحنوناً وباكياً وفادياً حتّى موت الصليب. "نحن" نكون كنيسة ورعاة أو لا نكون كذلك، ليس بمقدار ما نعتبر أو نقيِّم أنفسَنا أو نتّفق فيما بيننا! بل بمقدار ما نطيع الصورة التي رسمتها حياة "الراعي الصالح" وتلاميذه من بعده وحياة شعب الله في فترات الطاعة لا في زمن العصيان! سلطة الراعي قويّة، لأنّها إلهيّة، إنّها كلمة "كنيسة"- "جسد المسيح"، إنّها كلمة "أرثوذكسيّة" كعلاقة مخلِّصة فيها الشهادة والبشارة والمحبّة. نحن لسنا "جماعة" تبحث عن صورة لها، بل نحن شعب تربطه محبّةُ الرابط الكنسيّ، نتصوّر، في تعثّرات ونهضات، إلى كنيسة الربّ التي افتداها واشتراها بدمه الكريم.

أمام "كلمة الله" وصورة "الكنيسة" تنحني كلّ ركبة مما في السماء وممن على الأرض. لذلك عندما يرفع الشعب دعاءه في القدّاس الإلهيّ لراعيه الذي يقدّم عنه القرابين ويرفع سرّ الشكر يقول: "احفظْ يا ربّ أبانا.. متمِّماً كلمة حقّك باستقامة (أرثوذكسيّة)". هذا دعاء يتمّنى أرثوذكسيّة الراعي لذاته من جهة ولكن أيضاً أرثوذكسيّته كضمانة للرعيّة حين تحيد هذه عن الحياة المستقيمة. الحياة الجماعيّة في الكنيسة ليست "اتفاقيّة" على نظام داخليّ يناسبنا، إنّما هي سير في عالم "الطاعة" للكلمة الإلهيّة!

سلطة الراعي هي كلمة الله، نعم! لكن مسلكيّته ليقود الرعيّة إلى الطاعة الكاملة للكلمة هي المحبّة والدموع. لا تفعل كلمة الله في نفوس أبناء الرعيّة دون دموع تحملها! كلمة الله روحيّة ولا يمكنها أن تنتقل دون تشويه إذا ما حملتها أجنحة قاسية! تحتاج كلمة الله إلى حنان ورأفة يحملانها، هذا هو فنّ التنشئة المسيحيّة. الكلمة الإلهيّة تقصد غاية واحدة، الرابط الكنسيّ ينشد بناء طبيعة واحدة للحياة الكنسيّة الجماعيّة وهي المحبّة.

"نحن أعوان سروركم، لأنّي إن كنتُ أغمّكم فمَن الذي يسّرني غيرُ من أسبّب له الغمّ"، بهذه الكلمات الرقيقة يشكر بولس أهل كورنثوس على توبتهم. الله أبٌ وأمٌ بحنانه ورأفته، إنّه أبو الرأفات (٢ كور ١، ٣)، "كما يترأّف الأب على البنين يترأّف الله على خائفيه" (مز ١٠٢، ١٣).

بمشاعر كحنان الله يخاطب بولس أهل فليبّي علانيّة: "فإنّ الله شاهدٌ لي كيف أشتاق إلى جميعكم في حنان (رأفة) يسوع المسيح" (١، ٨). وهكذا يتوسّط إلى فليمون تلميذه عن العبد أنيسيمُس ويسمّيه "ابني الذي ولدتُه في قيودي" (١، ١٠). ويبادل بولس المسيحيّين في رسائله وخاصّة فاتحاتها بأطيب معاني الشوق والحنين والمحبّة الشخصيّة. "ثم أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه"، يقول لأهل كورنثوس. وفي رسالته لأهل فليبّي يقول: "أناشدكم بالمسيح وبما في المحبّة من قوّة... وبالحنان والرأفة أن تتمّموا سروري بأن تكونوا على رأيٍ واحدٍ ومحبّة واحدة وقلبٍ واحدٍ وفكرٍ واحد" (٢، ١).

الأرثوذكسيّة والحنان، التعليم القويم والأبوّة، سلطتان يقتنيهما الراعي بالتوبة والنسك والطهارة والتكريس، ويشتري بهما، وبهما فقط، سلطاناً على الرعيّة يغلب به سلطان كلّ خطيئة، "كتبتُ إليكم بدموع" وهذه الدموع حرقت كلّ الخطايا، آمين.

٢ كور ٤، ٦-١٥

الأحد الـ ١٥ عشر بعد العنصرة

إمـــاتة يسوع وحـــياته فـــينا

"حاملين في الجسد إماتة الربّ يسوع لتظهر حياة يسوع فينا"

السماء والأرض، الحياة الحاضرة والآتية، الضيق والفرج، القريب والغريب، الفرح والحزن، الحقّ والباطل، كلّ شيء يندرج في أحد هذَين الطرفين عند بولس الرسول على معيار وحيد! إنه يسوع المسيح. السلام للكنائس من بولس يتمّ بيسوع، التوبيخ بروح يسوع، الرجاء بيسوع. الكلّ للكلّ يسوع المسيح.

وهنا الإماتة والحياة دواعيها وغايتها يسوع. فما هي هذه الإماتة التي إذا حملناها في أجسادنا تصير حياةَ يسوع فينا؟ ما هي هذه البذرة من الإماتات (الموت) التي نـــزرعها في أجسادنا المائتة وإذا بها تؤول إلى شجرة حياة؟ يتكلّم الرسول عن هذه الإماتة في الآية السابقة مباشرة: "يضيّق علينا من كلّ جهةٍ لكننا غير متضايقين. نُحارُ في أمرنا لكنّنا غير يائسين. نُضطهد لكنّنا غيرُ مخذولين. نُطرحُ أرضاً لكنّنا غيرُ هالكين".

إذا تأملنا في أسرار هذه المعاني الروحيّة سنكتشف تلك الإماتة –إماتة يسوع– التي نحملها في أجسادنا فتصير حياةَ يسوع فينا. هذه هي الفضائل الروحيّة العميقة التي يجب أن تلوّن وتصبغ جهاد المسيحيّ لتصير حياةُ يسوع فيه.

"يضيَّق علينا ولكننا غيرُ متضايقين": هذا هو مقدار "الصبر" الكبير الذي تحلّى به بولس، وليتنا نتعلم منه: "اقتدوا بي كما أنا بالمسيح". الصبور ليس من يحتمل الصعوباتِ ومظالمَ الحياة أو شدائدَها وحسب. هذه معطيات مفروضة على الحياة من طبيعتها، ولا يمكن للإنسان الاستمرار، لا معيشياً ولا نفسياً، دون الحدّ الأدنى من الصبر. أنّ فضيلة "الصبر" المسيحيّة لا تنحصر في "الاحتمال"! الصبور هو من تُضايقه الحياةُ من جهات عدة، لكنّه يبقى غيرَ متضايقٍ. لذلك عندما يترافق "الاحتمال" مع الضجر والتأفّف والتشكّي والحزن لا يعود صبراً. إن الصبر يأخذ من الضيقات فرحاً. وجه الصبور بشوش. وروح الصابر متعزّيةُ بهجة، لأنّ تعزيته وفرحه لهما مصدر آخر غير تقلّبات الظروف وتبدّل معطيات الحياة. لتلك التعزية مصدر لا يتبدّل ولا يتغيّر، ثابتٌ، إنّه المحبّة الإلهيّة للبشر. لذلك لمؤمن كهذا ما هو ثابت هو التعزيات الإلهيّة والبهجة، والضيقات تبقى في إطار المتبدّلات، ومجرّد ظواهر عارضة لا تمسّ عمق الحياة ولا تنـــزع فرحاً من قرار القلب ولا تزرع خوفاً. "يضيّق علينا من كلّ جهة" يقول بولس الرسول. لقد كانت كلّ المعطيات ضده. أمتُّه، الأمم، الوثنيّة، العوز، عدم ثبات الكنائس،...الخ. لكنّه غير متضايق وإن كان في الضيقات. الجسد في الضيقات لكن القلب ثابت بيسوع

وملآن تعزيات. لم يتعرّض أحدٌ كبولس لضيقات بمقدار ضيقاته. فلنأخذ من قلبه الثابت في "الصبر الإلهيّ" مرشداً.

"نُحار في أمرنا لكننا غيرُ يائسين": حين تزداد الضيقات جدّاً ويحاصر الإنسان من كلّ جهة ويجد نفسه في حلكة من الظلام لا نور فيها، ويرى ذاته عاجزاً عن إيجاد أي مخرج أو ابتكار أي حلّ، هناك يُمتحن "الإيمان" امتحاناً نهائيّاً. هناك يُمتحن مقدار إيماننا بكلمات الربّ يسوع: "ما هو غير مستطاع لدى الناس مستطاع لدى الله". نتراجع لأننا عجزنا أم ننتظر العون الإلهيّ؟ هل الثبات هنا بلاهة وخطر أم هو حكمة تعتمد لا على المعرفة أو المقدرة البشريّتَين وإنّما على الإيمان بالعناية الإلهيّة؟ الإيمان هو "انتظار غير الممكن" وليس الممكنات. الإيمان هو الاعتماد على ما هو بمقدور الله وليس ما هو بمقدور الناس. نعم ستأتي لحظات نحارُ بها، ولا مخرج لنا، وتبدو الغلبة فيها للشدة، لكننا سنبقى غير يائسين.

يجب أن يتحلّى جهادنا من أجل الشهادة المسيحيّة في الحياة بهذا الإيمان. إن شهادتنا عكس تيارات الشهوة وتعظّم المعيشية التي في العالم. ولا شكّ أنه بقوانا وبمعرفتنا سنصل مرّات كثيرة إلى طريق مسدودة. هناك لنتذكّر إيمان بولس "نُحار بأمرنا لكننا غيرُ يائسين". دون هكذا إيمان سيعجز المسيحيّ عن متابعة السير في الطريق الضيّقة المؤدّية إلى الحياة.

"نُضطهد لكنّنا غيرُ مخذولين": فإنه وإن عادانا العالمُ وتغلّبتْ قواهُ وجبروته على وهننا، وغضبتْ مفاسدُه على بشارتنا بالوداعة والأخلاق، كلّ هذا لن يخلق فينا خوفاً أو رهبة، لأنّ "رجاءنا" قويّ أن الله لا يخذلنا ولا

يتركنا. "الرجاء" يجعل المسيحيّ يتابع بصدق جهاد مسيرته عكس الرياء في الدنيا. "الرجاء" يعطي للمسيحي اليقين أنه بالتواضع سيغلب تعظّم الأقوياء وبالبذل سيُخزي طمع الأدنياء، وبالوداعة سيرث الأرض بدل الأقوياء، إنه كسيده الحمل الذبيح الذي سيحكم الدنيا بوداعته! لولا هذا الرجاء لم تكن هناك شهادة ولكان التواضع ذلاً والبذل بلاهة والدعةُ غباوة. لا شيء أكثرُ وهناً من التعظّم ولا أقوى من التواضع. حين يجور تعظّم الدنيا على دعة الإيمان، نحن يقينون أن الوديع لا يُترك من الله. فمهما اضطهد جور الدنيا تواضع الحقّ، فالحقّ لا يُخزى لأن الله "لا يترك صفيّه في الجحيم يرى فساداً".

وأخيراً، "نُطرح أرضاً لكننا غيرُ هالكين": لا توجد صورةٌ أوضح من هذه العبارة المستقاة من مشاهد المعارك، التي تعبر عن الانكسار والانغلاب! حين يُطرح المصارع أرضاً أعزلَ ضعيفاً يعني أنه قضي عليه! لكن مع ذلك وحتى في مشهد لهكذا حالة، لا تظنّوا أننا هلكنا! إن الله يتركنا نشرب كأس المنون حتّى الرشف الأخير منها، لكنّه يحوّل السمّ الذي فيها إلى حياة. لا بدّ أن نرتشف مرارة الكأس كلّها لكن الموت أو الحياة ليس بيد الناس بل بيد الضابط الكلّ. سنتجرّع مرّات عدّة المرارة في سبيل البشارة حتّى الجرعة الأخيرة للموت، ويبدو للناس والمنطق أننا هلكنا، وهذا واقعيٌّ، لكن هناك واقع آخر، إنّ من مات مع المسيح سيقوم معه بقيامته.

"الثبات" حين تكون المعركة بين المسيحيّ والدنيا في توازن أو في شبه توازن، ليس ثباتاً بالله، إنه ثبات بشريّ، يعارك كلّ إنسان الحياة من أجل

وجوده. لكن الثبات، حين نبدو فعلاً هالكين، هو ثباتٌ مبنيّ على حبّ يسوع لنا وليس على أرض مقدراتنا. "المثابرة" حتّى ولو خسرنا مرّة ومرّات هي أساس الحصاد في أرض نـــزرعها قمحاً لكن العدو يعود ويرمي فيها زؤاناً. المثابرة في الصلاة، في التوبة، في التواضع ولو بعد فشلٍ مرّة ومرّات، إنها الفضيلة التي تسمح للربّ يسوع أن يهب حياته فينا بعد أن نختبر نحن خبرة الموت من أجله.

مَن يُضيَّق عليه يتضايقْ، ومَن يحار ييئسْ، ومَن يضطهد يصيرُ مخذولاً، ومَن يطرح أرضاً يُقضى عليه، نعم كلّ ذلك صحيح لو كان الله غيرَ موجودٍ أو لا يعتني برسله وتلاميذه. كلّ ذلك صحيح لو كانت معركتنا مع لحم ودم ومن لحم ودم. كلّ ذلك صحيح لو نسينا أنّ "الله معنا" وأنّه "سيبقى معنا إلى انقضاء الدهر"، أو بلغة بولس الرسول، "إنّنا سفراء يسوع في العالم". مهما جار الزمانُ على الرسول فهذا لا يطالُ المُرسِلَ والرسالة، والسيّد رفيق درب وليس مجرّد مُرسِلٍ. فكما انكسر جبروت العالم أمام تواضع يسوع، هكذا سينكر أمام تواضع الرسول، لأنّ المرسِلَ، الربَّ يسوع، يمسك باليد ويقود الطريق، وحيث وكما هو سنكون نحن، "ولا عبد أفضلَ من سيّده".

إذن كلّ ما يبدو، منطقيّاً ودنيويّاً وبشريّاً، ضيقةً أو مأزقاً أو اضطهاداً أو هلاكاً، هو في عين الصبر والإيمان والرجاء والثبات، بذرة حياة، ليست حياتَنا، بل حياةُ يسوع في أجسادنا المائتة، آمين.

٢ كور ٦، ١-١٠

١ الأحد الـ ١٦ بعد العنصرة

أسلحة البرّ من اليمين واليسار

"بل في كلّ شيء نُظهر أنفسنا كخدّام الله... بأسلحة البرّ لليمين ولليسار"

اعتاد الناس أن يسّموا الأمور الإيجابية والكريمة "يميناً"، وعلى العكس الأمور السيّئة والدنيئة "يساراً". والمدهش هنا هو إعلان بولس الرسول أنه أظهر نفسه خادماً لله حين تعرّض لتجارب من اليمين أو لتجارب من اليسار أيضاً!

إن الظروف البشريّة المختلفة يمينية أو يسارية كانت، هي شيء من طبيعة الحياة اليوميّة. يولد الإنسان كائناً فريداً في بيئة متعدّدة الأوصاف والشروط. ولا يحيا آدميّ دون محاولة للتأقلم مع ظروفه، التي منها المناسب ومنها المعيق، وقد تكون هذه المحاولة ليست سهلة دائماً! وتبقى إرادة الإنسان في الحياة (الوجود) وفي نوعيتها (تحقيق غاية وجودها) عرضةً لتجارب وظروف عديدة كلّ لحظة. هناك ثلاثة مصادر لهذه التجارب وهي: العالم المحيط بالإنسان، أي الله والشيطان بالإضافة للإنسان ذاته. "فالله يؤدّب (يجرب) من يُحبّه". والشيطان يجرّب الإنسان بالغواية فهو أبو الكذب. ولا

يُصيب الإنسان في أحكامه كلّ لحظة، هكذا يضع نفسه مرّات عديدة في تجارب.

فكم بالحريّ عندما يكون هذا الإنسان رسولاً؟ يعرف بولس ويُعلن "إنّ مَن يحبّون يسوع المسيح يُضطَهدون" (٢ تيم ٣، ١١). وهذا طبيعيّ ومنتظر لإنسان ينادي بالحقّ ويحياه في عالم كثُر فيه الباطل! مَن يدرج نفسه في خدمة الإنسان ورفع حياته من الأرضيات إلى السماويات ومن عبوديّة المادّة إلى حريّة الروح، هذا إنسان سيحمل كلّ لحظة صليباً وسيتعرض دائماً لاضطهادات وتجارب. الإنسان كائن حرّ، لذلك لا تشكّل التجربة بحدّ ذاتها خيراً ولا شرّاً، بل الخير والشرّ هو في قرار الإنسان واختياره الحرّ. قد تكون التجربة سهلة أو قاسية، لكن ذلك لا يعني أبداً أنّها صالحة أو شريرة. لذلك التجربة هي عرضٌ على الإنسان يخرج منه إمّا بقرار صالح أو سيّء.

لذلك نفهم هنا كيف يُظهر بولس ذاته خادماً للكلمة بأسلحة البرّ لليمين واليسار. فالتجارب والظروف المناسبة تقود للبرّ- وقد لا تقود إلى ذلك. والتجارب والظروف المعاكسة تقود أيضاً للبرّ- وقد لا تقود. لهذا لا نستغرب كيف تختلط في كلمات بولس كلّ الظروف ودون ترتيب. ونراه يعدّد "الهموم والشدائد والجلدات والسجون... والأتعاب والطهارة وطول الأناة واللطف والروح القدس والمحبّة بلا رياء وكلمة الحقّ وقوة الله، من اليمين واليسار". وهذه كلّها استخدمها بولس للبرّ. هذا التعداد بكمّه واختلاطه يوحي لنا تماماً نظرةَ بولس أن اليمين واليسار هما أمران سيّان من حيث الأهميّة. لأن الخير والشرّ، البرّ والإلحاد، هما في القرار البشريّ الحرّ.

تجارب اليمين، حسنة ولكن ليس دائماً. لأنّها وإن كانت ظروفاً سهلة قد تصير غواية وخدعة. فما بالنا إذا قادتنا الطهارة والعلم وطول الأناة واللطف... إلى الكبرياء والتعالي ونسيان الله؟ ألا تعود هذه كلّها رذائل لأنّها كالقبور المكلّسة التي ذكرها يسوع، تبدو من الخارج رائعة وداخلها عفنٌ ونجاسة وفريسيّة! لذلك يدرج بولس الرسول بين هذه الفضائل مع "الروح القدس". لأنّه يعرف أن من يحقّق كلّ هذه ليست الفريسيّة البشريّة بل الهبة والنعمة الإلهيّة. هذه كلّها من النعمة. لذلك صارت ظروفاً وتجاربَ يمينية سهلةً ومفيدة للحياة، وللرسالة.

وتجارب اليسار، ليست سيّئة عندما تقودنا إلى الاتّكال على الله. إن الألم في الحياة يقود المؤمن إلى الاختبار. والله يمحِّص المؤمن في البوتقة ويجرّب من يحبّه. وكلّما بلغ الاختبار أقصى حدّته يصير الله أقرب ما يكون من الإنسان. فلا يعود آنذاك الإنسان يواجه تحدي المستحيل وحسب بل اللامعقول أيضاً وهو فرح. لذلك نردّد في صلواتنا المسائيّة دعاءَنا لوالدة الإله أن تتشفع لدى ابنها أن: "يجعلني لوصاياه فاعلاً مختبراً". ويقول الأدب الرهبانيّ "ارفع التجارب فلا يخلص أي إنسان". سفر أيوب يطيل سرد الأحداث ويعدد الأوصاف ليبرهن في النهاية أن محبّة الله عند أيوب هي هي في اليمين من الظروف وفي اليسار. يريد سفْر أيوب بالنهاية أن يطهّر العلاقة بين الله والإنسان. فالله محبّ حين يعطي الخيرات وحين نفقدها. وأيوب أمين ومحبّ لله حين يكون في بحبوحة وحين يتضوّر ألماً. ولا خير أو شرّ في

الأحداث، وإنّما الخير لأيوب أن يبقى في محبّته لخالقه. إن محبّة المؤمن لله وثقته به تجعله في الفرح ذاته وترفعه ليتكيّف مع سرّ حكمة الله. ويصير الظرف من اليمين كالذي من اليسار! "كل شيء يؤول لخير المؤمن". فالتجربة من اليسار سيّئة فقط عندما نواجهها بمعزل عن نعمة الله، وتؤول للخير فقط عندما نواجهها "مع النعمة".

تتلوّن ظروف الإنسان بحكم طبيعة الحياة ففيها الألم كما الفرح، والمرض كما الصحّة، والعوز كما الشبع، والفشل كما النجاح، وموت عزيز كما ولادة جديد... وهذه كلّها تعبث بحياة الإنسان عندما يراها ظروفاً جيّدة أو سيّئة! لكنّها كلّها تبني حياة الإنسان وتمحّصها عندما يعرف أنّها تجارب يمكنه أن يستخدمها أسلحةً للبرّ لليمين ولليسار، آمين.

٢ كور ٦، ١-١٠

٢ الأحد الـ ١٦ بعد العنصرة

مَـهْـرُ الـنِّـعْـمَـة

"نطلبُ إليكم ألاّ تقبلوا نعمة الله عبثاً"

يتكلّم بولس الرسول عن مقدار غنى النعمة التي نلناها بيسوع المسيح. إذا كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل صار جديداً. ولكن، يوضح الرسول، كلّ هذا "من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطى الرسل أن يخدموا هذه المصالحة بين البشر وبينه" (٢ كور ٥، ١٧-١٨). هكذا نبّه بولسُ كهنةَ أفسس وأساقفتَها: "انتبهوا إلى الرعيّة التي اشتراها المسيحُ بدمه الكريم" (أع ٢٠، ٢٨).

ويسمّي بولسُ ذاتَه والرسل، بوعي كبير، "معاونون" ليسوع المسيح في خدمة المصالحة هذه. وإذ يقدّر هو تماماً ثمنَ دم المسيح وثمن نعمة المصالحة مع الله التي تمّتْ به، يسارع ليترجّى أهل تسالونيكي ألاّ يتركوا هذه النعمة التي أُتيحَت لهم مجاناً تذهب عبثاً.

لقد ألفنا نحن في الشرق، مشهد العريس الذي يدفع مهراً باهظاً حين يختار له عروساً عظيمة! فكم بالحري ثمين هو مهرُ "نعمة الله"؟

عندما ارتمى بولس منطرحاً أرضاً على أبواب دمشق، واكتشف سرّ وجمال الحبّ الإلهيّ ورأفة نعمته الغزيرة، عندها صرخ على الفور، "ماذا عليَّ أن أفعل يا ربّ؟"، أي ما المهر الذي تريده حتّى أستحقّ لعشرة نعمتكَ؟ لكن بولس لم يقبل نعمة الله لذاته فقط، لم يقبل المصالحة كغفران له وحسب، بل فهم على الفور أنه صار إناءً مصطفى سيحمل كلمةَ الله إلى كلّ الأمم ويصير إذن مصالِحاً الناسَ مع الله وليس متصالحاً فقط. لقد فهم بولس أنه اختير "كخادم" ومعاون ليسوع في سرّ المصالحة هذا.

يعدّد الرسول هنا بعضاً من الثمن الذي دفعه لأجل هذه "الخدمة"، أي لأجل هذه "الرسوليّة": الصبر الكثير، ضيقات، جلدات، سجون، أتعاب، أسهار، جوع، وهذه كلّها تصوّر أتعابه الجسديّة، وكما قال: "أغصب جسدي وأقمعه"، فلم يهرب من الآلام ولا من العوز أو الجوع حبّاً بالراحة، ثمّ يذكر الجهاد النفسيّ والروحيّ الداخليّ إلى جانب الأتعاب الجسدانيّة: في طهارة، في معرفة، في طول أناة، في رفقٍ بالروح القدس، في محبّة بلا رياء، في أسلحة البرّ عن اليمين واليسار...

صورة بولس هذه هي المثل الذي ندرك منه الثمن الحقيقيّ للنعمة الموهوبة لنا. وهذا المثل الأعلى يجعلنا ندرك على الفور مقدار العبث الذي نُلحقه بالنعمة المعطاة لنا، أي بالخدمة الموكلة إلينا بسبب من تكاسلنا. بأتعاب كأتعاب بولس يُظهر الرسول ذاته خادماً للكلمة والمصالحة مع الله، بهذه الجهادات الجسدانيّة والروحيّة.

"ليذهب العالم ولتأتِ النعمة". نعم إنّ مذاق النعمة يمحو أتعاب الشدائدِ وكلِّ تلك الفضائل. مَن حمل سرّ المصالحة خدمةً، واقتبل هذه الرسوليّة، لا يعود العالمُ طيّبَ المذاق عنده، ولا يعود فيه شوقٌ غيرُ تقبُّل النعمة، وليس عبثاً. هذه هي الطاقة التي تولّد في المؤمن القوة على تجاوز كلّ الصعوبات الخارجيّة والداخليّة. إنّ عشق النفس البشريّة لهذه العروس الثمينة (النعمة) تجعل صاحبها يهيم وراءها متخلّياً عن كلّ شيء ومحتملاً كلّ شيء في سبيل استقطاب النعمة، وخدمتها.

مَن يركض وراء النعمة يتعب فرِحاً ويسهر مبتهجاً، إنه يبحث عنها عندما يكون في مجد (من الناس) أو حتّى في هوان. إنّ ثمن النعمة الباهظ يعطي لزمن الحياة قيمةً كبيرة وفريدة. إنّ أيّ إهمال في زمن الحياة أو أيّ ضياع منه هو عَبَثٌ في كرامة النعمة المعطاة لنا.

"هوذا الآن وقتٌ مقبول. هوذا الآن يوم خلاص"، هكذا يصرخ بولس بقوّة، مختزلاً نبوءة إشعياء النبي عن زمن تجسّد الربّ يسوع وعن هبة الفداء والمصالحة التي ستتم به. والعبارة تتكلّم في بدايتها عن وقت مقبول يستجيب الله فيه، وعن يوم خلاص يُعين الله فيه (إش ٤٩، ٨؛ ٢ كور ٦، ٢). الوقت المقبول يشير إلى الفرصة التي سُنحَت لنا الآن، فعلينا ألاّ نخسرها وأنْ نجدّ في الطلب؛ لحظة الله يُعلن زمن الافتقاد والاستجابة. وهذا هو الدور البشريّ والمسؤوليّة الشخصيّة في بذل أقصى الجهد، لأن ما هو أقل من ذلك يكون "عبثاً". "سيروا ما دام لكم النور" وجدّوا في السير، لأن الزمن قصير والأيّام شريرة، والغاية ثمينة.

ثمّ تتكلّم الآية في قسمها الثاني عن عضد الله. فإذا ما شعر الإنسان أنه مهما أسرع ومهما ركض فإن المنال يبقى بعيداً، عندها ليتذكّرْ قولَ النبوءة أنّ اليومَ يومُ الخلاص الموعود بأن الله سيُغيث فيه كلَّ مَن يطلب من كلّ قلبه. نعم، وقتُ الفرصة الذهبية، ويومُ العون الإلهيّ الفريد المتاح، هما سببان عميقان جدّاً يجعلان كلّ لحظة في الحياة "وقتاً مقبولاً ويوم خلاص" ثميناً جداً.

الحياة من أجل المسيح ربحٌ؛ والموت لأجله ربحٌ أيضاً. كلّ زمن يرتبط بيسوع في موت أو حياة هو ربحٌ عظيم. ومهرُ هذا الربح أتعابُ الجسد وجهاداتُ الفضيلة. يقدّم الإنسان كلّ ما في وسعه. ولّما كان المهر يسترضي الواهب فقط ولا يشتري الهبة، فإن مجانيّة الحبّ والعون الإلهيّين تجعل الجهاد ممكناً وجميلاً.

نعم، يظهر مَن يدفع ثمناً باهظاً كهذا وكأنه يخسرُ كلّ شيء، إذ إنه يعطي كلّ ما لديه من مال وصحة وقوى وإرادة، وكل القلب. لكنّه يضع كلّ ذلك مهراً لعروس لا يشتريها ثمن ولا يساويها أيُّ مهرٍ إلاّ هبة الحبّ الإلهيّ. لذلك يختم بولس الرسول صرخته بدهشة واعتراف بالعجز والشكران. نظهر كأنّا فقدنا كلّ شيء، "ولا شيء لنا ونحن نملكُ كلّ شيء"، آمين.

٢ كور ٦، ١٦ – ٧، ١

١ الأحد الـ ١٧ بعد العنصرة

التطهير

"فإذ لنا هذه المواعيد، أيّها الأحباء، فلنّطهر أنفسنا..."

كثيراً ما تختلط وتختلف في ذهن العديد من المسيحيّين مسألةُ علاقة الإيمان بالحياة. لا شكّ أن هناك علاقة بينهما، وأن وجود هذه العلاقة هو الذي يثبت وجود إيماننا! ولكن أيضاً إن طبيعة إيماننا تحدد طبيعة هذه العلاقة. إذن يؤثر الإيمان بشكل مباشر على حياتنا اليوميّة وتصرفاتنا وغاياتنا. نعم ولكن بالعمق ما هو المطلوب من إيماننا، ولأيّة درجة يصوغ طبيعة حياتنا، وما هي الغاية الأخيرة مسيحيّاً لإيماننا؟

الخلاص، هو غاية الإيمان بلغة الكتاب المقدّس والتعليم الدينيّ. وهذا صحيح. لكن مفهوم كلمة خلاص يتعلّق مباشرة بمستوى معرفتنا الإيمانيّة. لذلك في العهد القديم كان المفهوم السائد للخلاص هو التحرّر القوميّ لليهود، والانتظار للزمن المسيحانيّ الذي سيأتي منه المخلّص ويحرّر الأمة! هكذا كان للخلاص غالباً معنى تاريخيّ أكثر مما هو روحيّ. ورغم ذلك فإن السعي لهذا الخلاص كان يفترض ألا ينسى الشعبُ الوصيّةَ الإلهيّة. لذلك

يقول سفر اللاويين: "إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها... أسير بينكم وأكون لكم إلهاً... أُخرجكم من أرض مصر (وأحرّركم) من أن تكونوا لهم عبيداً..." (٢٦، ١-١٣). وهكذا حاول الشعب أن يحفظ العهد بانتظار ذلك الوعد، وتمحورت محاولة الشعب على الانضباط في الأطر التي ترسمها الوصايا الإلهيّة. فتركزّ الاهتمام على إتمام فرائض الصلوات والصوم والإحسان. وصارت هذه هي الفضائل الأساسيّة الرئيسيّة التي تتلخّص فيها الممارسة الدينيّة لتثبت التزامها بالعهد وتنتظر ذلك الوعد.

يأتي العهد الجديد، وتصل مسيرة الله بين شعبه إلى نهايتها. لذلك يبدأ يسوع -في عظته على الجبل خاصّة- صفحة جديدة من الروحانيّة الدينيّة. ويعطي لتلك الفضائل (الصلاة والصوم والإحسان) معنى جديداً أعمق بكثير من تقديم "الفرائض". وتأخذ كذلك العلاقة بين الدين والحياة بعداً جديداً يختلف عن السابق في روحانيّته وفي أبعاده وغاياته.

لذلك تدخل مع المسيحيّة روحانيّة جديدة وفضائلُ جديدةٌ، كان العهد القديم يعرفها ولكن بحدود بسيطة، ومنها مثلاً الشهادة حتّى الدم وبعدها البتوليّة. حيث هنا يقدّم الإنسان من حياته ليس ذبائح مما يملك بل يقدّم من ذاته كلَّ ذاتها. لذلك من يصوم يقطع نوعاً وبعضاً من الأطعمة. لكنّ من يتبتّل يمسّ طبيعته ذاتها ويحوّلها إلى عبادة كيانيّة فلا يتخلّى عن شيء يعيشه بل يبدّل عشقه ذاته. ومن يضحّي بالغالي والنفيس يبرهن عن التزامه بالوصايا، لكن من يبذل ذاته شهادة حتّى الدم، هذا أحبّ الحبّ الأعظم لأنّه "ليس حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبّائه".

إذن المسألة بعد ليست مجرّد حفظ وصيّته. فإن دخول وتعميم هـــذه الممارسات الروحيّة الجديدة حتّى درجات كـــبيرة في الكنيســـة (الشـــهادة والرهبنة) يعني تماماً تبدلاً عميقاً وجذرياً في معنى الفضيلة ذاتهـــا وفي تحديـــد غاياتها. لم تعد ممارسة الفضائل تبغي اكتساب الرضى الإلهيّ والالتزام بالعهد لكي ننال الوعد. فما دام الوعد ذاته قد تبدّل، كان طبيعيّاً أن يتبـــدّل معـــه العهد (العهد هو الالتزام البشريّ والوعد هو المواعيد الإلهيّة). كان الوعد هو التحرّر وجمع الشعب وتهيئته ليأتي المسيح. فإنه لما أتى المسيح انتهى الوعـــد الأول ويبقى العهد بانتظار وعدٍ آخر، لأن الحبّ الإلهيّ لا يتوقف. لا يخسر "الوعد" الجديد من الله تاريخيته كعمل لشعب الله، وبالنهاية لكل الناس، لكنّه يصبح أكثر من "تاريخ" شعب محدّد. لذلك جاء يسوع لينتقل العهد (العهد الإنساني–العمل البشريّ) إلى غاياته الحقيقيّة وليست الظليّة. لهذا شمل كـــلّ البشر ولمس العمق البشريّ وليس فقط الممارسة الخارجيّة.

والوعد الجديد هو أن نصير "بنين" لله بيسوع المسيح وهيكلاً له. كان الله يسكن بين الشعب "في الخيمة". ولكن المسيحيّة بيســـوع كشـــفت أن سكناه الحقيقيّ هو "في الإنسان". لذلك هنا الأمر لا يستدعي طهارة التاريخ الجماعي فقط بممارسته بعض الفضائل، بل يتطلّب قداسة تلك الآنية الخزفيّة ليسكن فيها ذلك الكنـــز السماوي. لم يعد الهيكل في وسط الشعب بل صار في داخل كلّ مؤمن.

لهذا كان يسوع يكرّر "سمعتم أنّه قد قيل للأوّلين لا تزنِ... أمّـــا أنـــا فأقول لكم لا تشتهِ، سمعتم أنّه قيل لا تقتل، أمّا أنا فأقول لكم لا تغضبوا...".

المسألة ليست الألوانَ الخارجيّة للثياب التي يمكن أن يرتديها ذئاب فيظهرون حملاناً، ولكن هي الداخل. وبالنهاية الحكم هو على "الثمار" التي منها نُعرف. فالثمرة المطلوبة ليست إرضاء الله (كفّ غضبه عنّا)، فالحبّ الإلهيّ يطلب ما هو أكثر بكثير. الثمر هو "القلب النقيّ"، أي القلب الذي يتحوّل إلى "هيكل" لله الحيّ – وليس لسواه. لذلك "عندما أكمل يسوع هذه الأقوال- عظته على الجبل- بُهتت الجموع" التي كانت تحفظ الوصايا القديمة.

مما سنخلص إذن؟ أَمن العقاب الإلهيّ؟ حاشى لله أن يعاقب! لم يعد الفكر الإنسانيّ يتحمّل بقايا العصور الوسطى التي تسلّلت إلى تعليمنا الدينيّ من الفكر الغربيّ هنا وهناك. ولا يمكن للنضوج الفكريّ اليوم أن يقبل مخلّصاً لأمّة يُغلّبها على أمّة أخرى! مما سنخلص إذن؟

"خلاصنا اليوم قريب" يقول بولس. و"اليوم" يعني التاريخ بعد مجيء يسوع. لقد أشار يسوع إلى عمق المسألة الخلاصيّة؛ إنّها طهارةُ القلب التي ستؤهّلنا لنصير هيكلاً لله. "امضِ بسلام، إيمانك خلّصك"، كانت هذه الكلمة "خلّصك" تعني أمرَين تماماً: الأوّل خلاص الجسد من مرضه، والثاني جواب المريض على يسوع "أؤمن يا سيّد"! إنّه خلاص النفس والجسد الذي حقّقه يسوع في عجائبه. يشفي الإيمانُ النفسَ والجسدَ معاً، وهذا هو الهيكل الحقيقيّ الذي سيبنيه كلُّ مؤمنٍ للربّ؛ إنّه القلب النقيّ والجسد الطاهر. واضح أنّ الوعد الإلهيّ على لسان يسوع هو "الشفاء" من أدناس هذا الدهر وتنقية الداخل وليس تجميل الخارج. يسوع يلقّب ذاته "حياة"، وإن لقبنّاه نحن "مخلّصاً". إنّه المخلّص الذي سوف يحرّر شعبه "من خطاياهم". إنّه "الطبيب

الذي جاء إلى الخطأة" جواباً على عشرته مع العشّـــارين، لأنّ الأصّـــحاء لا يحتاجون إلى طبيب.

إنّ عبارة بولس خلاصنا اليوم "قريب" تعني أنّ خلاصنا اليوم "دقيق". لأنّ خلاصنا هذا يمسّ الإنسان في عمق أعماقه. إنّه إعادة تصوير الإنســـان على صورة الله، التي خُلق عليها؛ إنّه خلاص وانعتاق "من كلّ أدناس الجسد والروح". لقد جاء يسوع ليخلّصنا، أي ليرفع عنّـــا الأمـــراضَ والأوجـــاع والتنهّدات والموت ذاته. ولقد برهن هذا المخلّص- الطبيبُ عن نجاحـــه، إذ أخضع ذاته للواقع نفسه، وأظهرها بعد ذلك معافاةً بقيامته. لقد قدّم ذاتـــه لتلك العملية الجراحيّة الغريبة، وإذ برهن نجاحها فيه، يمدُّ يده ليتممِّها لكـــلّ بشريّ مريض يؤمن به.

هكذا إذن، إن ممارسة الأتعاب والجهادات الروحيّة صارت تبتغي داخل الكأس وليس خارجه. فلا تعود تفيد القبور المجصّصة. لقد اكتشف الإنسانُ بيسوع (الإله- الإنسان) صورته الحقيقيّة الضائعة. لا يمكننا أن نجيب علـــى السؤال: "لماذا خلقنا الله؟" إذا نظرنا إلى آدم. ولكننا نفرح إذا ما عرفنـــا أن صورة المسيح- آدم الثاني- هي غاية الله في خلقنـــا، أي بكلمـــة ملخّصـــة "التبنّي"، أن نصير على صورة يسوع أي ما كانه يسوع ابناً لله لا بالطبيعـــة لكن بالتبنّي.

غاية الجهاد الروحيّ هو إذن أن نصير على الصورة التي يريدها الله لنا، على صورته. لذلك القيمة ليست في الفضائل إنما في الثمار. إذن القيمة ليست

بالصلاة ولا بالصوم ولا بالإحسان ولا حتّى بالشهادة، كلّ هـذه وغيرهـا تأخذ قيمتها بمقدار ما تحقق فينا تلك الطهارة المنشودة- الصـحّة الروحيّـة والمعافاة من أدناس الجسد والروح- وبمقدار ما تخلق فينا القلب النقي (مـز ٥٠،١٠) غاية الجهاد الروحيّ أن نصير "معافين" وتكون لنا هذه العافية التي كانت للطبيب ذاته، يسوع.

الخلاص إذن، هو موضوع كيانـيّ أنثربولوجيّ لتحقيق "الإنسـان" الذي تنتظره وتتمنّاه الإرادةُ الإلهيّة. لسنا بعد أبناءَ مدينة على الأرض بل بنون للمدينة الباقية، إننا أبناء الملكوت. فلا يكفي للإنسان أن يكون "صالحاً" على الأرض بل "طاهرَ" القلب. للصلاح (الأعمال الخيرّة والعلاقات الطيبة) حدودٌ لكن ليس لطهارة القلب (حالة العشق الإلهيّ) من حدّ. لهذا تفتح المسـيحيّة بابَ الجهاد دون تحديد. ولا يستغرب إذن المسيحيّون جهادات القدّيسـين "الخارقة" –كما تسمّى- بل يقتدون بها قدر المستطاع. لو كانت العلاقة مع الله (عهدنا) هو أن نحفظ الوصايا لكان على يسوع أن يقول لذلك الشـاب الغني "لا يعوزك بعد شيء" ما دمتَ قد حفظتَ الوصايا منذ صباك. لكنّه قال "إن أردتَ أن تكون كاملاً" فاحملْ صليبك وتعالَ اتبعني.

وهذا الجهاد الروحيّ أن نطرح عنّا "كل أدناس الجسد والروح"، قـد يبدو للبعض، من النظرة القديمة للدين والإيمان، أنه إذن جهـاد متعـب لا يتوقّف ولا ينتهي، وقد يدعونا للتشاؤم. لكن لا توضع رقعة جديدة في ثوب قديم. لهذا لا يمكن أن نفسّر "التطهير" كحركة روحيّة إلاّ من المنظور الجديد،

أي أن التطهير هو "معافاة". إن هذا الجهاد الروحيّ هو صعب في بداياته ولكنّه عذب في مسيرته؛ في حين أنه يبدأ مع صراع داخليّ، طالما كانت سلطة العالم قويّة على قلوبنا، إلا أنه يستمرّ فقط بالانتباه بعدما يحلّ داخلنا سلامُ الله ونعمته مكان العالم. "ليذهب العالم ولتأتِ النعمة"، هذه كانت صلاة مسيحيّي القرون الأولى.

ليس "النسك" أي ممارسة الفضائل ثمناً، وإلا لكان هذا الثمن باهظاً في المسيحيّة مقابل "خطيئة جدية" تافهة، كما يرى البعض. النسكُ في المسيحيّة هو طهارةٌ ولمعان، لذلك هو هدية إلهيّة وليس فدية عن خطايانا. النسك إذن، يكشف طاقاتِ الإنسان الروحيّة. النسك يهب النعم، ويبلور المواهب. لا نقبل في المسيحيّة، لهذا السبب، مواهبين حياتهم دنيويّة! لأن الموهبة هي عطيّة إلهيّة ولكنّها أيضاً تحصيل إنساني. مهما سمعنا عن القدّيسين روايات وقيل لنا عنهم تصرفات غريبة (أيوجد مظهر معثّر أكثر من المتبالهين بالربّ) فإنّنا نؤمن بهم لأنّ ثمرتهم صالحة، "طاهرة". ومهما عاينّا أو سمعنا من معجزات ومواهب من أناس عاديّين (لم يطهّرهم النسك) فإنّنا لا ننغرّ، لأنّ الشجرة غير الصالحة لا تعطي ثمراً جيّداً.

فإذ لنا كلّ تلك المواعيد، التبنّي والتألّه وأن نصير هيكلاً لسكنى الإله الحيّ، لنطهّر إذن ذواتنا من كلّ أدناس الجسد والروح، مكمّلين الجهاد بخوف الله، آمين.

٢ كور ٦، ١٦ – ٧، ١

٢ الأحد الـ ١٧ بعد العنصرة

الهيكل الطاهر

"أنتم هيكل الله الحيّ"

"أنتم هيكل الله الحيّ"، عبارة بديعة! ونحتاج بالحريّ إلى التأمّل بها بشكل كافٍ. طالما كان الإنسان أرادَ دائماً، ومن شعوره بوجود خالق أو قوى أعظم منه، أن يقدّم عبادةً لله. لذلك، منذ البدء، حاول الإنسان تحديد مكان يلتقي فيه مع الله ويقدم فيه الذبائح. بنى الوثنيّون المعابد، ومنها الفخم ووضعوا آلهتهم المختلفة فيها. وكان الإنسان يواجه إلهه (من شاء من الآلهة)، ويسترضيه ويعبده، ولو في حجرٍ!

أما إله الكتاب المقدّس فقد رفض هذه العبادات. وأبى، بلغة الكتاب، أن يسكن في معابد من صنع البشر. فالفارق بينه وبين الآلهة الوثنيّة كلّها فارقٌ كبير. إن الله، هنا في الكتاب، غير مدرك من البشر، بل العكس، هو من يدرك كلَّ بشر! لذلك يحتاج في عبادته إلى شيء منظور فعلاً، ولو كان

تعبيراً عن غير المنظور – الله. لذلك صار يمكن للإنسان أن يشيد المعابد والهياكل ليلاقي فيها الله، ولو باستخدام تعابير عن حضرته.

وللشعب، في العهد القديم، كان لوحا العهد، اللذان يحملان الوصايا، يمثّلان إرادة الله وعهده وبالتالي حضرته. فلما كان الشعب متنقّلاً وضع هذَين اللوحَين في خيمة العهد، وصار يحمل هذه الخيمة كهيكل معه أينما ذهب، يشعر بواسطتها بحضور الله ومرافقته وبركته، ويقدّم عبادته أمامه فيها. وعندما استقرّ الشعب واقتنى ملوكاً وصار أمّة ومملكة بنى معبد سليمان، الذي لا يضاهيه معبد بالجمال والغنى. وهناك في قدس الأقداس داخله وضع لوحَي العهد، تعبيراً عن حضرة الله. وصار الشعب يقدّم عباداته في هذا الهيكل الحجريّ أمام الله الحاضر بشريعته. إنه المكان المقدّس للقاء والعبادة، وهو العلامة الأساسيّة لحضور الله، حين يقف الإنسان تجاهها.

أما في العهد الجديد، فلقد أعلن الربّ للسامريّة أن العبادة الجديدة لا تتمّ "لا هنا ولا هناك" لا في هذا الجبل (السامرة) ولا في أورشليم، وإنّما "بالروح والحقّ"، ومعبد هذه العبادة ومكانها إذن هو "القلب"!

عندما سأل التلاميذ الربَّ يسوع عن ملكوتِ الله وحضوره، أجابهم بصراحة "ملكوت الله في داخلكم"، أي في قلبكم، هناك هو المعبد الحقيقيّ، كما يقول بولس اليوم في رسالته لأهل كورنثوس "أنتم هيكل الله".

القلب، في لغة الكتاب المقدّس، ذو معنى يتجاوز المعنى العاطفيّ الشعبيّ والمعنى الطبيّ البيولوجيّ. القلب هو مركز الشخصيّة الإنسانيّة حيث المشاعر

والأفكار والقرارات والمواقف. في القلب يتحاور الإنسان مع نفسه ويتحمّل مسؤوليّاته وينفتح على الله أو ينغلق دونه؛ إنّه مركز الشخصيّة الإنسانيّة الواعيّة. القلب إذن، هو مركز العقل والشعور، في القلب تجتمع هاتان الطاقتان البشريّتان، وعندما تلتقي هذه الطاقات (داخل الإنسان) مع الله، هناك يتحقّق الملكوت، وهناك وهكذا يجب أن تتمّ العبادة.

لذلك العبادة بالروح والحقّ في القلب تشترط أمرَين. الأمر الأوّل هو العقل والثاني هو الشعور. فلا صلاة مثلاً إذا كان عقلنا شارداً خارج كلمات صلواتنا، فبدون عقل وذهنٍ صاحٍ لا يمكننا أن نلاقي الربّ. وكما يقول فمّ الذهب: "كيف تريد أن يستجيب الربّ لك عندما لا تعي أنتَ ماذا تطلب"؟ فكيف يحمل الله طلبك بجديّة عندما توجهه أنتَ باستخفاف؟ الذهن المتابع والحاضر وغير الشارد هو الشرط الأوّل لتحقيق العبادة وللقاء الله، في القلب.

والأمر الثاني هو الشعور، أي حفظ الحبّ للربّ. فالله لا يُعبد بالعقل للحظة! الله يُحَبّ. ألم يصرّح يسوع علناً "حيث كنــزكم هناك قلبكم". فإذا ما دخلنا المعبد ولكن كانت مشاعرُنا متعلّقة بأمور دنيويّة خارجه، فإنّه من المستحيل أن نضبط ذهننا في الهيكل والقلب، ما دام إنه سيطير إلى الكنــز (الأمر الذي نتعلّق به)! لهذا في العبادة نعبّر عن أشواقنا لله بتعابير صريحة فيها ألوان الخشوع والشكر والتأثّر. ومن هذه التعابير السجدات ورفع الأيدي كالأرض العطشى للمطر والدموع.

ولهذا يقول بولس الرسول: "إذ لنا هذه المواعيد- أن يسكن الله في قلبنا- فلنطهّر أنفسنا من كلّ أدناس الجسد والروح ونكمّل القداسة بمخافة

الله" (٢ كور ٧، ١). قد لا نرضى مرّات عديدة أن نرى دنساً أو وسخاً في المعبد (الهيكل الحجريّ)، فكم بالحري يجب أن يكون قلبنا (الهيكل الحقيقيّ) طاهراً للقاء الربّ؟ وهذا ما نرنّمه في القدّاس الإلهي عند خروج القرابين في الدورة الصغيرة: "لنطرح عنا كلّ اهتمام دنيويّ (غير روحيّ) كوننا مزمعين أن نستقبل ملك الكلّ".

لنجمع العقل والمشاعر في العبادة حتى تصير "عبادة نطقيّة"، كما نقول في صلواتنا، أي عبادة قلبيّة، فيها كلّ الذهن وكلّ القلب وكلّ القدرة "أحبب الربّ إلهك من كلّ نفسك وكلّ ذهنك وكلّ قدرتك ...".

الذبيحة لله روح منسحق، القلب المتخشّع والمتواضع لا يرذله الربّ، آمين.

٢ كورنثوس ٩، ٦-١١

الأحد الـ ١٨ بعد العنصرة

أربع كلمات في الصَّدَقة

"مَن يزرع بالشحّ فبالشحّ أيضاً يحصد،
ومَن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد"

إنّ مسالة التفاوت الطبقيّ تزداد اليوم في مجتمعاتنا، ولعلّها السبب العميق وراء كثير من التبدّلات التاريخيّة والسياسيّة. ولا يمكن للمسيحيّ أن يقف أمام مشهد المعوزين والمحتاجين وقفة حياد، إلاّ إذا كان يفهم إنجيله بشكل خاطئ.

لقد انطلق بولس يبشّر بيسوع المسيح، بموته وقيامته. لكنّه عندما ظهرت بعضُ الحاجات وظروفٌ من العوز عند مسيحيِّي أورشليم عندها لم يستطع ألاّ ينظّم حملات جمع مساعدات للإخوة. لقد تعرّض المؤمنون في أورشليم للنهب والاضطهاد من بني جنسهم بسبب الإيمان. ولهذا يحثّ بولس الرسول الكنائس التي في الراحة أن تفكّر عمليّاً بحاجات تلك الكنائس التي في شدّة. هو برسالته التي سمعناها يمرّ على أربع كلمات أساسيّة في مفهومنا للصدقة أو الإحسان. ونستطيع بهذه المفاتيح الأربعة أن نلج إلى كلّ عمق

وفلسفة المشاركة الأخويّة مع المحتاجين. وهذه الكلمات هي "الزرع، والقلب، والله، والشكر".

فالزرع هو تماماً كالإحسان. حين يرمي الزارع بذاره في الأرض يشعر وكأنه يبدّد، لكنّه إذا رمى البذار بالشحيح، بالشحيح يحصد. وإذا رمى البذار بالبركة فبالبركات يحصد، ما يبدو أنه يبدّده يجد أنه يكثّره! هذه الخبرة التي عند الزارع من الحياة العملية يختبرها من يوزّع الخيرات. فبمقدار ما نبدّد هنا بمقدار ما نحصد خيرات أبدية، أوّلاً الروحيّة وأحياناً أيضاً دنيويّة. بقدر ما نبدّد بقدر ما نشارك فعلاً الإخوة المحتاجين. فنحن نشتري، بما نبدّده، العلاقات الأخوية والمحبّة التي نريدها. وهذه الأخيرة غاية الأولى وهي أثمن بكثير من المقتنيات. ويبدو للزارع أنّ البذار يموت حين يرميه، لكنّه يعرف أنّ الحبّة إن لم تمتِ لا تعطي ثمراً. وهكذا المعطي الواعي، حين يبدّد يتهلّل ويوزّع ببشاشة وفرح، لأنّه يعرف أنه بالواقع يجمع ما هو أثمن.

والقلب، هو المعيار الحقيقيّ لمقدار ما يجب أن نوزّعه من الخيرات التي بين أيدينا. يجب ألاّ نعطي خجلاً ولا بالأحرى طلباً للمجد ولا خوفاً من أيّ شيء، ولكن علينا أن نعطي المقدار الذي يمليه علينا قلبُنا.

وهذا يعني تماماً، أنّ شرط الإحسان هو الحريّة، التي بدونها لا يترافق الإحسان مع الفرح. يجب أن نعلّم قلبنا أوّلاً أن يحبّ العطاء، وبسخاء. هكذا يصير الإحسان طريقاً لطهارة القلب ونقاوته التي بدونها لا يرى الإنسانُ اللهَ. لكن إذا ارتعش القلب للحظة أمام "التبديد" وشعر وكأن ذلك "خسارة"، فلا

ننسى، ما ينصح به بولس الرسول، أنّ الله قادر أن يزيدنا كلّ نعمة ويؤمّن لنا كفافنا. فهذا القلب يجب أن يكون ثابتاً على صخرة الإيمان ليصير سخياً. ليست قيمة الصدقة بمقدارها، وإنّما بمقدار المحبّة التي تحملها. هكذا تفوّق، في نظر يسوع، فلسُ الأرملة على كنوز الآخرين. يجلب العطاءُ من كلّ القلب الحريّةَ والفرحَ، وهذا ما يحدّد المعيار الحقيقيّ للسخاء.

أما الله، بالنسبة للإحسان، فهو المعطي وهو المتقبّل. ليس لنا شيء بالأساس لم نأخذه. ليست الخيرات منا بل من الله. فهو "من يرزق الزارع زرعاً"، بحسب بولس الرسول. والزارع هنا في لغة هذا النص هو المحسن، والزرع هو الإحسان. فالله هو الواهب الوحيد لكلّ الخيرات وهو مالكها أيضاً. أمّا نحن فنوزّع مما له ومما أودع بين أيادينا. كما نعرف أنّ الله قد وحّد نفسه بالفقراء حين قال "كلّ ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه". لذلك إنّ الله أشبه بمن يعطينا واهباً بيد ويسألنا مستعطياً باليد الأخرى، هناك يهبنا لأنّه يحبّنا وهنا يستعطينا لأنّه يحبّ الفقراء. نعم إنّ كلّ الخيرات ما هي إلاّ أداة يمرّرها الله الأب الحنون على دروبنا، لكي نأخذ منها "كفافنا" ونشارك بالباقي إخوتنا. هذه الحركة تمتحن أمام الله حريّتنا وروحانيّتنا ونظرتنا للآخر وللمال، وهكذا تتعرّف شخصيّتُنا وتتحدّد دينونتُنا، كـ"برٍّ" أو "إدانة".

والشكر إذن، هو الحركة الحقيقيّة لكل ما يجعله الله في طريقنا أو يودعه بين أيادينا. إذا كان الله هو واهب كلّ شيء وهو بالنهاية القابل أيّ شيء،

عندها كلّ شيء هو تعبير عن علاقتنا بالله. فهل نتناول منه هباته شـــكريّاً أم أنانيّاً؟ هل نتناول كلّ هباته فنأخذ كفافنا بشكر ونعطي الفائض بتـــهلّل؟ أم أننا نجمّع ما لدينا وكأنه لنا، ونبعد الله والقريب عن حقّ مشاركتنا به أنانيّاً؟

يؤمن بولس الرسول، بالكلمات القليلة التي سبق وسمعناها، أنّ الله لن يجعلنا في عوز حين نشارك. لكن هباته تمتحننا. ليس سبب العوز في العـــالم نقصان الخيرات أبداً، إنما هو نقص المحبّة. لذلك لا يتملّك علينا الخوف إنمـــا لتملأ قلبَنا البساطةُ التي تجعله يعطي بسخاء ويحيا في الخيرات كائناً شـــكريّاً يفرح بزرع العطاء بسخاء. لأن هذا القلب يؤمن أنّ الله هو المـــوزّع وهـــو القابل وكلّ شيء أُعطي لنا منه لـــ"ينشئ شكراً"، آميـــن.

٢ كور ١١، ٣١ – ١٢، ٩

الأحد الـ ١٩ بعد العنصرة

الـــتـــواضـــع

"وأمّا من جهتي فلا أفتخر إلاّ بأوهاني"

التواضع هو أساس كلّ الفضائل، الحجر الأساس، بدونه لا يقوم بنـــاء الفضائل. "إذا كانت أمُّ كلّ الشرور هي الكبرياء، فإنّ أمَّ كلِّ الفضائل هـــو التواضع". التواضع هو بدء النهوض لأنّ الكبرياء كانت بداية السقوط. لكن هل التواضع هو مذمّة الذات أو قتل طاقاتها وإنكار مواهبها؟ وهل كلّ ضِعة هي تواضع؟

ليس كلّ مَن يقول عن نفسه إنه خاطئ هو المتواضع القلـــب، يقـــول القدّيس دوروثيوس[٦١]، وليس مَن يؤنِّب ذاته بل مَن يقبل تأنيب الآخـــرين. التواضع هو "دموع دائمة مع توجّع قلب في الصلاة أمام الله"[٦٢]. ليس مَـــن يحيا في الضِّعة هو المتواضع بل مَن يتّضع أمام الناس لكي يرتفع في عين الله[٦٣]،

[٦١] دوروثيوس، ١، ٦، [PG 88, 1625A].

[٦٢] مكسيموس المعترف [PG 90, 1044].

[٦٣] أكليمنضوس الاسكندري، "البساط"، ٣، ٦، [PG 8, 1152].

ليس المتواضع هو المضطرّ بِذِلٍّ ليوضع نفسه، وإنّما مَن له أن يفتخر لكنّه مع ذلك لا يتعالى[٦٤].

التواضع سلّم عقليّة، وهنا بولس الرسول يرسم درجاتها الثلاثة. "الافتخار بحقّ" هو أولى الدرجات. فبعد أن يعدّد بولس الرسول بعض الرؤى والاضطهادات التي تحمّلها حبّاً بالمسيح يقول: "فإنّي لو أردتُ الافتخار لم أكنْ جاهلاً، لأنّي أقول الحقّ". فالتواضع أوّلاً هو ألاّ ننسب لأنفسنا إنجازات وفضائل ليست منّا ولا فينا. التواضع هو تجنُّب العُجب الكاذب، إنّه الاعتدال والاحتشام المناقض للزهو والعُجب وحبّ الظهور.

أمّا الدرجة الأسمى في التواضع فهي "عدم الافتخار" وإخفاء الفضائل، وذلك كما فعل بولس الرسول هنا. "أعرف إنساناً في المسيح (وهو بولس ذاته، لكنّه لا يورد اسمه) منذ أربع عشرة سنة... اختُطف إلى السماء الثالثة". فهو أوّلاً يخفي اسمه، كما فعل أيضاً يوحنّا الحبيب حين تكلّم "عن التلميذ الذي كان يسوع يحبّه" وكان هو بالذات لكنّه أخفى اسمه. أمّا بولس فلقد أخفى هذه الخبرات مدّة ١٤ سنة عن مسامع الجميع، وهو هنا لولا تشكيك المعلّمين الكذبة برسالته ورسوليّته وتهديد البشارة فإنّه ما كان ليبوح بذلك مؤكّداً سلطة تعليمه. سأل أبٌ روحيّ تلاميذَه "مَن باع يوسف؟"، قالوا إخوته. أجاب هو لا، بل تواضعه. لقد أخفى على مَن اشتروه أنّه أخٌ لإخوته الذين باعوه، وأنّه يحمل كرامتهم ونسبهم وحقوقهم، وقَبِل ما وصفوه به

[٦٤] يوحنا الذهبي الفم، "في اللامدرك"، ٥، ٦.

كعبد حتّى أن يُباع! نسيان ما حقّقناه وعدم الافتخار به هو التواضع في درجته الثانية.

أمّا التواضع الكامل فهو "الافتخار بالهوان" وليس بالكرامة. أي أن يُشهِر الإنسانُ، أمام عينَيه وأعين الناس، ليس فضائلَه بل ضعفاتِه. هكذا كان بولس يكرّر في رسائله عبارة "بولس مضّطهد كنيسة المسيح". وهنا في الرسالة إذ يعلن عن خبرات روحيّة سامية ونادرة وصعود إلى السماء الثالثة وعن ضيقات احتملها شهادة لاسم يسوع، فإنّه يؤمن أنّ هذا كلّه كان ثمر النعمة المجانيّة الإلهيّة، "أمّا من جهة نفسي فلا أفتخر إلاّ بأوهاني". لقد تحقّقت على يد بولس إنجازات عظيمة ووهبتْه النعمةُ خبراتٍ روحيّةً فريدة، لكن هذا كلّه كان هبةً. لقد خلَّصه يسوع لكنّه هو "أخطأ الناس". لقد جاء يسوع ليخلِّص الخطأة وهاك البرهان: "أنا أخطأ الناس"، فإذا كان قد خلّصني أنا آخر الناس إذن لن يبقى إنسان يائس بخلاصه. لقد انتقلت على يد بولس البشارةُ وجرتْ عجائبُ... لكن مَن فعل ذلك ليس بولس بل نعمةُ الله، فهو يعرف أوهانه الكثيرة التي عوّض عنها فيضُ النعمة: "لأنّ قوّتي [قوّة الله] في الضعف تكمل". "فبكلّ سرور أفتخر بالحريّ بأوهاني لكي تستقرّ فيَّ قوّة المسيح".

هكذا يعدّد السلّمي تعاريفَ عن التواضع، تتوافق مع الدرجات الثلاث السابقة: "التواضع نسيان دائم لما أنجزناه..."، "التواضع إدراك النفس لضعفها وعجزها"، "هو معرفة الإنسان لنعمة الله عليه". هكذا كان الرهبان يعتبرون الأعمال الحسنة التي يقومون بها ويعرفها الناس خطيئةً وليس فضيلة. وشهيرة

قصّة ذلك الراهب الذي تناول الجبن في الصيام أمام ملكة إسبانيا التي كانت تقصده إعجاباً بحياته وبما سمعتْ عنه. والراهب الآخر الذي قصده بعض المبتدئين لِما سمعوه عن صومه وتقشّفه، لكنّهم بدّلوا رأيهم لما وجدوه يشرب الماء باستمرار دون صيام، وإذ بهم يندهشون عندما اكتشفوا أنّها كانت مياه البحر المالح!

التواضع الكامل هو إشهار الضعفات وإخفاء الفضائل، وهذا ليس تظالماً على الذات ولا من باب التحقير أو الكذب، لا سمح الله! لكنّه تواضع جاء بعد خبرة عميقة من سخاء النعمة. إنّه التواضع الذي يملكُ أن يفتخر بإنجازات كبيرة، لكنّه يعرف أنّ النعمة هي التي حقّقت، أمّا من جهة ذاتنا البشريّة فليس أمامنا إلاّ أوهاننا! "لا أنا بل نعمةُ الله". "لا لنا يا ربّ، لا لنا، بل لك المجد"، "وكلّ ما فعلناه فإنّما نحن عبيد بطّالون".

لقد علّمَ الفلاسفةُ عن التواضع، لكن على أسس ليست كهذه الأسس المسيحيّة. لقد نصح أرسطو بالاعتدال وممارسة التواضع الذي هو الفضيلة الوسط بين رذيلتَين: الجبن من جهة والادّعاء من جهة أخرى! لكن التواضع المسيحيّ ليس فضيلة هكذا. التواضع هو اعتراف بنعمة الربّ وشفقته وعضده. "أستطيع كلّ شيء"- "بالمسيح الذي يقوّيني". التواضع المسيحيّ ليس أدباً بين التردّد والخوف وبين الزهو والتبجح! التواضع المسيحيّ هو بالأساس حالة شكر للنعمة والله، إذ مع المتواضع تتحقّق أمور عظيمة لكنّه يعرف أنّه "ليس لمن يسعى أو يركض لكن للربّ الذي يرحم" (روم ٩، ١٦).

لهذا يسمّى التواضع هديّة النعمة! مَن لا يعرف النعمة والمحبّة الإلهيـــتَين وفيضهما ويشعر بالانكسار أمام رأفات الله به لا يمكنه أن يتواضـــع، بـــل التواضع هو الشعور بذلك ورفع الشكر لله بدل شكر الذات ومدحها. كـــلّ إنجاز إذن يقود المتواضع إلى انسحاق وامتنان أكبر للنعمـــة الـــتي عملـــت واعتراف واضح بالأوهان الشخصيّة التي فاضت النعمة عليهـــا فمســـحت ضعفها وحقّقت ما أراده الله بواسطة اعترافنا.

التواضع الكامل معرفة حقيقيّة لا تسلِبُ النعمةَ الإلهية حقَّها! التواضع الكامل خبرة مع النعمة كشفت للإنسان دورها فيه بعد أن كان يجهل النعمة ويمتدح ذاته. نعم هذا ما يعلنه بولس قائلاً: "أنا ما أنا بنعمة الربّ" (١كـــور ١٥، ١٠)، "لا يوافقني أن أفتخر"، "رغم أنّي لو أردتُ أن أفتخر لم أكـــنْ جاهلاً"، بل "من جهة نفسي فلا أفتخر إلاّ بأوهاني" لأنّ نعمة الله كملتْ في ضعفي". هذه سلّم التواضع بدرجاتها الثلاث، التي أوّلها على الأرض وثالثها في السماء، حيث تطأ رجل مَن قال "تعلّموا منّي فـــإنّي وديـــع ومتواضـــع القلب"، أمين.

غل ١، ١١-١٩

الأحد الـ ٢٠ بعد العنصرة

المـــواهـــبـــيّة والمـــنـــظّـــمات!

"ثمّ إنّي بعد ثلاث سنين صعدتُ إلى أورشليم لأزور بطرس"

لا شكّ أن يسوع، خلال بشارته ثلاث سنوات، سعى إلى تأســـيس كنيسة منظّمة، فاختار رسلاً اثنَي عشر وسواهم سبعين، وكان يرسلهم أمامه ويطلب بواسطتهم من الشعب، كما في عجيبة تكثير الخبز والسمك. ثمّ أخيراً أعطاهم سلطاناً لمغفرة الخطايا، "فمَن حلّوا خطاياه تُغفر له ومَن أمســـكوها عليه تُمسك" (يو ٢٠، ٢٣). وهل من سلطان أكبر من هذا؟ يقول بـــولس الرسول. إن كان لنا عليكم سلطان في الروحيّات فكم بالحريّ نملك (نحـــن الرسل) سلطاناً عليكم بالماديّات! لذلك السلطة الروحيّة في الكنيسة، بنظرنا، هي أسمى بكثير من السلطات المدنيّة. لقد عاركت الكنيسة في التاريخ العالَم الخارجيّ والعالَم الداخليّ لتنظّم ذاتها بشكل إداريّ وقانونيّ يحفظ مسيرتها من النـــزوات البشريّة، ويجعلها تعبّر دائماً وفي كلّ شيء عن رسالتها، ويســـهّل لها تحقيق عملها في العالم.

هكذا، تعرّضت "مؤسّسة الرسل الاثنَي عشـــر" – إذا سمـــح التعـــبير للإيضاح – تعرّضتْ إلى هزّة عنيفة بظهور بولس الرسول. لم يكن بولس من "الشهود العيان" ولا حتّى من السبعين، لا بل كان مضّطهِداً للمســـيحيّين! فكيف يُبشّر الآن وبأيّ سلطان يتكلّم؟ أو بكلمة أخرى: مـــن أيـــن لهـــذا الإنسان، وإن آمن الآن، أن يدخل إلى "عضويّة المسؤولين" في الكنيسة، فيعلّم بسلطانهم؟

نعم، لا تستطيع الكنيسة القيام بدورها، في العـــالم الواســـع المتعـــدّد الإثنيّات واللّغات والمترامي الأطراف جغرافيّاً، دون تنظـــيم. ولا يســـتطيع المؤمنون، في مواقع مسؤوليّاتهم المختلفة – أي خدمتهم، أن يؤدّوا عملـــهم بتنسيق وتناغم وفرح مشترك دون التنظيم.

لكن بالواقع هناك مخاطر عديدة، حين تتطّرف إمّا الصيغ المؤسّســـاتيّة الجماعيّة أو المواهب الفرديّة. هناك حسنات وهناك مخاطر لكلّ من المؤسساتيّة والمواهبيّة في الكنيسة. ولا شيء من الحلَّين صالح بحدّ ذاته، إلاّ بمقدار ما يؤدّي لخدمة الروح. فما هي حسنات وما هي مخاطر كلّ من هـــذَين الشـــكلَين، وكيف يعملان معاً إذن؟

تتعرّض كلٌّ من المؤسّسة والموهبة في الكنيسة لثلاثة مخاطر. الخطر الأوّل هو "الجمود"، والثاني "التقوقع"، والثالث هـــو "التســـلّط". بينمـــا مخـــاطر المواهبيّات الفرديّة هي، أوّلاً "البدع"، وثانياً "الشِّيَع"، وثالثاً "الفوضى".

حين تنظّم المؤسّسة ذاتها، وكذلك الكنيسة، تلجأ بالطبع للتشريع. ولكن القانون هو تفسير لطريقة الشهادة في لحظة معيّنة من الزمن وفي مكان محدّد من العالم. القوانين ليست العقيدة بل التفسير لها. والخوف هو أن نجعل القانون، أي التشريع المحدّد، من الغيرة الزائدة أحياناً، عقيدةً. ونتفاجأ يوماً، بعد فترة تبدّلتْ معها الظروفُ الزمنيّة أو المكانيّة، أنّ هذا القانون ذاته باتَ يسيءُ إلى عقيدته. فالتشريع ليس من الثوابت كالعقيدة وإنّما من المتبدّلات. حين يصير التشريع فوق غايته نقع في "الجمود"، ونخضع لشرائع أو عادات أو اعتبارات وأنظمة تقتل الروح الذي كان علينا أن ننهله من حفظ تلك الشريعة. لقد عاتبَ ووبّخَ يسوعُ اليهودَ الذين "جمدوا" عند الشرائع، فصارت شرائعهم لخدمتهم بينما قتلت "شريعة الله الحقيقيّة". يجب ألاّ ينقلب الدِّين إلى "قوالب"، لا نفكر بتقييمها لأنّنا نظنّها "الجوهر" في الدِّين، بينما ما هي إلاّ "التعابير" عنه. وهذه التعابير يجب أن تختلف مع اختلاف مَن تخاطبه.

أمّا المواهبيّون، الذين يشجّعُ أحياناً جمودُ المؤسّساتِ حماسَهم ونظريّاتهم، فإنّهم إذا ما تطرّفوا ورفضوا الوجه المؤسّساتي، لنعتهم إيّاه بالجمود، يخرجون من الطرف الآخر عن الطريق القويمة، عندما يصلون ليس إلى "ما هو أكثر" بل إلى "ما هو آخر" في التعليم والحياة. عندما يتوقّف المواهبيّون في نظرهم على المظهر الخارجيّ الجامد من المؤسّسة، ويجهلون أنّه دخيل عليها وليس أصلَها، فإنّهم يرفضون شيئاً مفيداً وجوهريّاً لو أُصلِح. عندما ينخدع المواهبيّ، مغترّاً بالموهبة، ويتناسى ضرورة الأصول حينها يبني ليس على الأساس الوحيد (يسوع المسيح). ويقود تجاهل الأساس إلى البِدع بدل الإبداع. فإذا كانت الأمانة للإيمان تقتضي التجديد، فهذا لا يعني هدمَ

الأساس وإنّما نـــزع ما هو غير نافع عنه. يمكننا أن نجدّد التقاليـــد دون أن نخرج من وديعة "التقليد".

والتجربة الثانية هي، أن يُعجَب الناس في منظّماتنا وأخويّاتنا ومجالسنا الكنسيّة بالانجازات أو بحرارة الروابط التي تُبنى بينهم، ويرضون أن "ينعمـــوا بالنعمة" التي ذاقوها في الكنيسة وحدهم، فيريدون، عن معرفة أو عدم معرفة، بوعي أو باللاوعي، أن يحتكروا هذه الحياة الكنسيّة لذاتهم، وهكذا يفسدوها. لأنّ أجمل ما في التنظيم والانتماء الكنسيّ هو "التقليد" أي استلام "الرسالة" والانطلاق بها لكلّ آخر، وإخبارَه أنّنا لبَّـــيْنا الدعوة فوجدنا أنفسنا: "تعـــالَ وانظرْ". يترصّدنا الخطر في كلّ تنظيماتنا أن نتقوقع. أن نستصعب عِشْرة من نراه "غريباً عنا"، إن كان بمقدار معرفتـــه أو بمقـــدار اهتمامـــه بالشـــؤون الكنسيّة... وهكذا دون أن ندري تصير المنظمات شلَلِيّةً ونُدخل إلى جســـم الكنيسة البشاري عتاقة الخطيئة، فنسخّر الرابط لرغباتنا وأنانيّتنا بدل أن نبذل ذاتنا من أجل روح تنظيماتنا. فالأخويّة أو المجلس... الذي يبقى لسنوات هو هو، قد ينقص ولكنّه لا يستقطب جديداً، عليه أن يمتحن ويفحص ذاته لعلّه يعاني من الانغلاق أو القوقعة.

أمّا المواهبيّ الذي يدين بعض الشلل، أو يتعالى على الثوابت الوســـط والمعتدلة التي ترافق حياة الشركة والعمل الجماعيّ اللذان لا يحتملان المبالغات حتّى الصالح منها، فإنّه يميل على الفور إلى الابتعاد وإلى بداية تكوين "شـــلّته الجديدة" أي التشيّع. وترانا أحياناً في الكنيسة نعاني من التحزّبات والتفرّعات والاختلافات ما نحن بغنى عنها. حين يعاني مواهبيٌّ من انغلاق منظّمة ما على

نفسها عليه ألاّ يعالج الشرّ بما هو أشرّ. إذا كان تقوقع بعض الناس في منظّمات ما يمنع استقطاب مواهب جديدة أو مغايرة قليلاً، فهذا يجب ألاّ يقود إلى شيع جديدة بل يحتاج لحوار حرّ وصريح تفرضه الرسالة الكنسيّة.

أمّا التجربة الثالثة فهي أن تنقلب روح المسؤوليّة في المنظّمات من الخدمة إلى التسلّط. السلطة أمرٌ مهمّ كما هي الطاعة. ولكن السيّد علمنا أن يغسل الأوّل أرجل الأخيرين. وميّز الربّ يسوع بوضوح بين نموذج السلطة عند الأمم وبينه في الكنيسة، وقال لا يكن بينكم هكذا (لو ٢٢، ٢٦). لا يحفظ التوازن بين السلطة الحقيقيّة والطاعة الحرّة الكاملة إلاّ "المحبّة". المحبّة التي لا تطلب في السلطان "ما لذاتها" بل تبذل من المسؤوليّة ذاتها. إذا صارت السلطةُ شهوةً، أي تسلّطاً، عندها تُسيطر على حياة مجالسنا ومنظّماتنا التحزّباتُ والانتخابات والشلليّة. بينما عرفنا في الكنيسة أنّ الرسل قديماً "رموا القرعة" واختاروا... أي أنّ المسؤوليّة فُرضت على أحدهم باسم الجميع. العيب ليس في التنظيم والسلطة، وإنّما في التسلّط، عندما يزيّفُ الرياءُ البشريّ التنظيمَ الروحيّ.

وهنا قد يظهر بعضُ المواهبيّين، الذين ربّما أهملتهم أعين المتسلّطين غيرةً أو تجاهلاً، فيرفضون كلّ التنظيم ويعتقدون أنّ ما لهم من هبة – موهبة يعطيهم السلطانَ من خارج المنظّمة على العمل والخدمة والتعليم دون الرجوع إلى الآخرين. وهل هناك إنسانٌ حمل مواهبَ وقدّم أتعاباً بمقدار بولس الرسول؟ لقد رأى بولسُ الربَّ، وسمع منه مباشرة كلماتٍ لا يجوز لإنسان سماعُها، وصعد للسماء الثالثة، وكان أكثر من الرسل في الأتعاب، ومع ذلك

كلِّه عندما أراد أن ينطلق بشكل قويّ في البشارة اتَّجَهَ أوّلاً من العربيّة (قرب دمشق) إلى أورشليم ليرى بطرسَ هامَة الرسل.

يمثّل بولس المواهبيّة في حدّها الأقصى والأمثل أيضاً. ويمثّل بطرسُ منظّمة الكنيسة آنذاك. ويعلّمنا توجّه بولس نحو بطرس قبل رسالته الحلَّ الأمثل لعلاقة الموهبة بالتنظيم. لم يكن بولس بحاجة لتعلّم شيء من بطرس، لكنّه أراد أن يعمل بمواهبه الجديدة مع الجسم الذي أسّسه الربّ قبلَه. إنّ الوحدة في الكنيسة ليس أمراً ثانويّاً، بل هي أمرٌ أساسيّ جدّاً، لا بل الأهمّ. مَن لا يستطيع أو لا يريد أن يعمل "مع" الكنيسة لا يفيده ولا يفيدنا أن يعمل ولا حتّى كثيراً "للـ" كنيسة.

ولكن لننظرْ إلى الروح في التنظيم، وذلك في حدث هامّ يردُ ذكره في أعمال الرسل. لقد وقف يوماً بولس (الجديد العهد بين الرسل) أمام بطرس الهامَة وعاتبه لأنّه كان يجامل اليهود على حساب الإيمان. فالخضوع للتنظيم لا يعني الخنوع، وموهبة الروح لا تعني الانشقاق، ما دام الدّاعي لهما هو المحبّة! المواهبيّة تُحيي التنظيمات، والمنظّمات تحفظ المواهب. التنظيم لخدمة الروح، والروح لإحياء التنظيم وتجديده.

الروح يدعونا للتوبة. إنّ كرازة يسوع كلّها تلخّصتْ بكلمة "توبوا" قد اقترب ملكوت السموات، هذا ما يقوله الروح للكنائس، وهذا هو الضوء الذي يَمتحن ويكشفُ تلازمَ التنظيم مع الروح أو انفصالَهما. إنّ غاية كلّ منظّماتنا ومجالسنا هي الوصول إلى حياة التوبة، وهناك يعمل الروح. والخطر

أن تصير مثلاً مدارس الأحد عندنا مدارسَ! أو يغدو الكشّاف فرقةً نحاسيّة! أو تظهر أخويّاتنا مجرّد نشاط اجتماعيّ! وإذا ما أشرنا إلى هذه المخاوف لا يعني أنّنا خائفون، وإنّما يعني أنّنا نريد أن نكون دائماً يقظين.

وجهك يا ربّ أنا ألتمس. هكذا تنادي كلٌّ من العروس والروح: "تعال أيّها الربّ يسوع". هذا الصراخ يجب أن نتعلّمه ونعلّمه ونحياه في كلّ مجالسنا ومنظّماتنا. رجاؤنا، أن تصير كلّ المجالس والهيئات والمنظّمات أعضاءَ حيّةً تبثُّ الروح والتوبة في جسم الكنيسة كلّها، بروح من الوحدة وغنى المواهب، فتفرز لله شعباً حيّاً وأمّة مقدّسة مكرَّسة. هذا هو معيار نجاح منظّماتنا، مقدار ما يفرز الروح بواسطتها ومنها مكرَّسين ومسحاء للربّ، آمين.

غل ٢، ١٦-٢٠

الأحد الـ ٢١ بعد العنصرة

صَـلـيـبُـنا!

"مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ"

الصليب رمزٌ ولا بدّ، لكن يحمل لكلّ إنسان معنى يتناسب ووعيه الروحيّ. الصليب، قبل يسوع، كان رمزاً للذل والقصاص الأقصى، لذلك حُكم على يسوع بالصلب. ولعلّ بعض المؤمنين من الأديان الأخرى الذين يجلّون يسوع كنبيّ، يجدون في المسيحيّين غرابة إهانته بالكرازة به مصلوباً. أمّا بعض المسيحيّين فالصليب هو علامة الفداء الإلهيّ، الذي به صالحنا يسوع مع الآب، وما أكثر الكارزين و"المبشّرين" بذلك. ولنا، ماذا يعني الصليب؟

من الدارج جدّاً، في التقوى الشعبيّة، أن نواجه الصعوبات والشدائد ونتقبّلها بالشعار "هذا صليبي" وعليَّ أن أحمله! هل شدائد الحياة هي الصليب؟ وهل يريد الله لنا طريقاً مزروعاً بالصلبان كالأشواك؟ وهل الصليب قدرٌ محتوم لا بدّ منه وفرضٌ إجباريّ؟ وأخيراً هل وجه الصليب في حياتنا يحمل وجه الشؤم والألم، أم هو عزاؤنا ومجدنا؟

يخلط المؤمنون غالباً، ومن التقوى غير الواعية، بين البلايا والصليب! فكلّ بليّة نسمّيها صليبنا، وعلينا أن نحمله! ليست كلّ الشدائد تجارب إلهيّة تنفع لخير المؤمنين، أي تمحّص الإنسان كما الذهب في البوتقة، لأنّ مَن يحبّه الربّ يؤدّبه ويمحّصه. لا شكّ أنّ هناك مصائب كثيرة لا يكون الله هو مصدرها، وإن كان يسمح بوجودها، ويسمح هنا لا يعني أنّه يريدها، لكن أنّه يحترم حريّة مسبِّبها! ليست كلّ البلايا تجاربَ إلهيّةً، وإن كانت تجاربَ في الحياة. بالتأكيد علينا أن نتحمل ونصبر على كؤوس المنون ونتجرّعها هكذا كما تضعها فوضى الحياة في دربنا. وهذا الصبر هو فعلاً جهاد روحيّ يؤول لخير المؤمن. ولكن ليس هذا هو وجه الصليب. الصليب يحمل معنى أعمق بكثير من تحمّل البلايا. الصليب الذي نحمله نحن المسيحيّين ليس بلايانا أبداً، فمَن سيحمل بلايا الآخرين أيضاً؟

يؤكّد الربّ يسوع أنّ الصفة المميزة لتلاميذه والتي تفرزهم عن سواهم هي "أن يحملوا صليبهم ويتبعوه" هو المصلوب الأوّل، وليس الأخير. ويحمل المسيحيّ الصليب الذي حمله معلِّمه. لهذا يقول بولس الرسول "صُلبتُ مع المسيح" أي في الحكم ذاته.

هنا، علينا أن نلاحظ أنّ يسوع لم يحمل صليب بلاياه بل صليب خطايانا. فبجرحه نحن شُفينا وهو حمل معاصينا! نكرّر دوماً في ختم وأناشيد صلواتنا: "يا مَن صُلب لأجلنا" وتجسّد واعتمد وتألّم وكلّ ما أتمّه "كان لأجلنا". لقد حمل يسوع – إذا صحّ القول بحسب المفهوم الشعبيّ – صليبنا! لقد صُلب عنّا ولأجلنا.

لم يكنْ صليب يسوع عنواناً للبلايا والصبر عليها. صليب يسوع هو مذبح يمدّ المسيحيّ نفسه عليه ضحيّة من أجل الآخرين. ما يميّز صليب يسوع وتلاميذه هنا أمران. الأوّل، هو الطوعيّة، والثاني هو البذل، وليس مجرّد الصبر. جميع الناس يصبرون على بلايا الحياة، حتّى على تلك التي سبّبوها هم لذواتهم، وما أكثرها! لكن الصليب هو أبعد من ذلك بكثير. الصليب له وجهان، الطوعيّة والبذل. الصليب تعبير فريد عن المحبّة ليس إلاّ. ليس الصليب نتيجة البلايا بل هو ثمرة المحبّة. "من أجلك نُمات اليوم كلّه" صرخ بولس الرسول نحو يسوع. لم يكن بولس يجاهد من أجل كسبهِ وعيشه بل من أجل يسوع والناس والبشارة، هذا صليب حقيقيّ! ويحقّ لحامله أن يقول "صُلبتُ مع المسيح"!

محبّتنا هي مَن يصلبنا! لذلك فوق الصليب نحن معزَّون وفرحون. لا يدعونا يسوع للصبر على شدائدنا في الحياة وحسب، بل إلى حمل آلام الآخرين، ومن هنا يبدأ الصليب، أمّا قبله فهو الصبر، والصبر فضيلة عامّة لسائر الناس، ومفروضة. لكن الصليب هو علامة تلاميذ يسوع وأتباعه.

لا يزرع الله دربنا بأشواك كالصلبان قدراً، بل إنّ يدَيه المبسوطتَين على الصليب تستدعينا بحرارة وعزم إلى اتّباعه ورفع آلام الناس حبّاً وطوعاً صليباً لنا، فيه فخرنا وعزاؤنا. الصليب ليس أداة موت بل فردوس حياة. البلايا هي أشواك تجرح وتميت وتقود إلى عدم الوجود. أمّا الصليب فهو "عود الحياة" به نوجد بدل أن نمّحي. وسرّ ذلك هما الحريّة والبذل.

"مَن أحبّني فليحفظْ وصاياي" و"وصيّة واحدة أوصيكم، أن تحبّوا بعضكم بعضاً". أي أن تحملوا ضعفات بعضكم البعض. هذا هو صليب الحبّ الإلهيّ الذي نحبّه ونحمله فيعزّينا. نحمل فيه إلحاد الآخرين فيكتبنا في سفر الحياة.

المحبّة إذن هي الدافع لحفظ وصايا يسوع، المحبّة إذن تصلبنا لأنّها تجعلنا نلتقط آلام الآخرين ونجعلها في جسدنا لنتمّم ما نقص من آلام يسوع في جسده. وأيّ عمل يتمّ بالمحبّة يحمل عزاءً ما بعده من عزاء.

كلّ صليب خشبته ليست من المحبّة هو قدر أسود، لا دواء له إلاّ الصبر، ولا عزاء فيه. أمّا "الصليب" فهو مسؤوليّة حملها يسوع ونحملها معه، ومهما كان شقاؤها الأرضيّ فإنّ وجهَها مليءٌ بالفرح والتعزيات، لأنّها جزء من صليب المسيح ذاته الممتدّ عبر التاريخ، إلى أن تنـــزل أورشليم الجديدة من السماء، حيث لا وجع ولا تنهّد، بل حياة لا تفنى.

لذا، يقول بولس علانيّة "مع المسيح صُلبت" ثمّ يوضح النتيجة: "لا أحيا أنا بل المسيح يحيا فيَّ". فإذا ما كرّسنا حياتنا كلّها لحمل جزء من صليب يسوع، صارت كلّ حياتنا مع حياة يسوع، بل صار هو يحيا فينا بعد، آمين.

غلاطية ٦، ١١-١٨

١ الأحد الـ ٢٢ بعد العنصرة

سِـــمات يسوع وخـــتان الـــبشر
– الدِّين بين الصليب والتنظيم –

"أمّا أنا فحاشى لي أن افتخر إلاّ بصليب ربّنا يسوع المسيح"

لم يختبر أحدٌ الفارق بين الحياة بحسب النواميس البشريّة وبين الحيـــاة بحسب النعمة الإلهيّة كما اختبره بولس الرسول. بولس الذي تربّى على دين آبائه (شرائعهم) فجأة، يهبه الله على أبواب دمشق الحريّة من هذه النواميس الدينيّة ويعطيه خبرة الدِّين بالحقّ والروح. اكتشف بولس من تلك اللحظـــة على أبواب دمشق أنّ العلاقة بين الله والإنسان هي الدِّين، ولـــيس الـــدِّينُ الشرائعَ التي جمّعها البشر فصارت أثقالاً لا يمسّونها هم ولا بإصبع.

طالما كان الإنسان كانت هنـــاك "علامـــات" خارجيّـــة طبيعيّـــة أو اصطلاحيّة ترافق معاني حياته وتشير إليها. ثمّ أضاف الإنســـان في ذكـــرى الأحداث الكبرى من حياته طقوساً لأعياد تلك الذكريات، وهذه الطقـــوس ملآنة بالرموز والعلامات التي تريد أن تعيدنا بالذاكرة إلى قوّة تلك الأحداث

وتاريخها، وتعطي قواماً للحياة الجماعيّة وتجعل المتفرّقين شعباً واحداً. ومن أبسط هذه العلامات الخارجيّة مثلاً، السواد علامة الحداد، والأبيض علامة الفرح. ولكن لا يفيد الأسود في أيّام الحزن إذا كان الإنسان لا يملك روحاً من الانكسار أو إذا كان يحيا في اللهو والسهو... ولا يفيد الأبيض كتعبير حين يغيب الفرح وهو الجوهر.

هكذا، في العهد القديم منذ أيّام إبراهيم، طلب الله من الشعب أن يُختن كلّ ذكر في اليوم الثامن من ولادته "علامة" لانتمائه إلى شعب الله وصورة للعهد القائم بين الله وشعبه. وصار الختان طقساً كالمعموديّة لدينا، بل كان صورتها السابقة لها.

لكن هذه العلامة- أو الطقس صار غايةً بدل وسيلة، والمعنى بدل التعبير عنه. حتّى أنّ كثيرين اقتنعوا بأنّه يكفيهم الختان الجسديّ ليتمتّعوا بالوعود. لذلك لم يهدأ الأنبياء، وأوّلهم إرميا عن التذكير أنّ الختان هو رمز لحقيقة روحيّة أعمق، فهو "إزالة القلفة -الوثنيّة - من القلب" (٤، ٤). و"الختان في الجسد" هو علامة "ختم على القلب"، فهو محبّة الربّ: "ويختن الربّ إلهك قلبك... لتحبّ الربّ إلهك... فتحيا" (تثنية ٣٠، ٦). فهناك الرموز وهناك الأمور، هناك التعابير وهناك الحقائق. فلا تفيد الأولى حين لا تقود للثانية. لكن الثانية تقوم دون الأولى.

في زمن بولس الرسول والبشارة، كان الختان عند كثيرين هو "انتماء" بمعنى التمييز. وضع الختان "ليفرز" الأبناء إلى شعب الله، ولكن العلامة "تفرز" الناس ولا تفرز بين الناس. لقد هبَّ الروح في أنطاكية يوماً وقال للتلاميذ

المجتمعين هناك "افرزوا" لي بولس وبرنابا. وهذا لا يعني أبداً أنّه أخرج بولس وبرنابا من جماعة الرسل، على العكس يعني أنّه حمّل بولس وبرنابا رسالة خاصّة. فالعلامة عندما تفرز إنساناً تكرّسه ولا تمايزه. فهي تعطيه موهبة خدمة للتكريس وليس صفة تفصله عن الآخرين. كما أنّه لا تكفي "العلامة" عندما لا تظهر "الخدمة". لقد أعطي الختان حتّى نتكرّس للربّ ونحبّه. فلا فائدة منه إذا غابت محبّة الربّ. العلامات هي وسائل طبيعيّة واصطلاحيّة تربّينا على التكريس للربّ وخدمته. فهذه الأخيرة هي الغاية والاصطلاحات هي الوسيلة.

فإذا ما قزّمنا الدين إلى الطقس وإذا حصرنا الحقيقة بالرمز نكون قد جعلنا "علامات" ذلك سبباً للفرز بين الناس في أشكال شبه عنصريّات ولا نكون قد فرزنا أحداً للخدمة.

ولقد أخذ المسيحيّون الصليب "علامة" ورمزاً للحياة المسيحيّة كمشاركة في حياة المسيح. فإذا ما غابت شركتنا بحياة المسيح وآلامه ومسؤوليّتنا تجاه ذلك لا فائدة عندها من حمل الصليب ورفعه أو رسمه أو تعليقه على الجدران، إذ نكون قد حوّلناه إلى صورة ميّتة لا فعل لها، لا سمح الله! كلّ موهبة أو علامة تُعطى لأحد منّا ليست غاية ولا ميزة تمايزنا عن الآخرين. وإنّما الرمز هو الإشارة التي تدلّ إلى نوع الخدمة في الكنيسة.

كما الختان في العهد القديم (علامة فرز) كذلك هنا لدينا اليوم في حياتنا الكنسيّة هويّاتٌ وانتماءاتٌ عديدة. فالبعض يختنون خدمتهم

"بعضويّات" لمؤسّسة أو هيئة ما! وآخرون يملكون حقوق انتخابات في جمعيّاتنا، وآخرون لديهم "انتساب" إلى أخويّات أو مؤسّسات كنسيّة... وتكثر لدينا الأسماء والهويّات وهذه كلّها وسواها ما هي إلاّ لون من ألوان "الختان" الذي وجد ليفرز إلى الخدمة وليس ليفرزنا عن سوانا. فالختان الحقيقيّ الوحيد الذي تهبه الكنيسة لأعضائها هو "ختم الروح القدس" بالميرون المقدّس يوم المعموديّة. هذا "الختم- الختان الروحيّ" هو الذي يجعل الكنيسة واحدة بمواهب الروح القدس الواحد. هذا "الختان- الختم" هو الوحيد الحقيقيّ الذي يجعل جسد المسيح واحداً لرأسه الوحيد. وكلّ الأختام والعضويّات و النَسَبيّات هي صور مشوّهة أو ظلال وليست حقائقَ. وإذا كان – تدبيريّاً- لا بدّ من وجودها هنا أو هناك، فلكي تكون حقيقيّة وليست مزيّفة، مفيدة غير مضرّة، كنسيّة غير "تحزّبية". عليها أن تكون شبه رسوم لذلك الختم الوحيد، أو بكلمة أخرى أن تكون امتداداً له وليس تعويضاً عنه أو استبدالاً له. فلا تعارضه ولا تتفوّق عليه. كانت جمعيّاتنا وأخويّاتنا وهيئاتنا والانتساب إليها أسالیباً لتفعيل حبنا للكنيسة وخدمتها. لكن احتمال الخطأ موجود دائماً، كما لو نسخّر الكنيسة لنخدم حزبيّات لنا في هيئاتنا وأخويّاتنا. لذلك السهر مطلوب دائماً ما دام الخطر ممكناً.

وهذا ما عانى منه بولس الرسول مع بَني أمّته أيّام رسالته. لأنّهم كانوا قد جعلوا الختان عنصريّة وليس "علامة". وصار الختانُ يخلّص وليس العهدُ. صار الانتماء هو المطلوب وليس روح الدين. هكذا نحن أيضاً مرّات عديدة نعاني في أطر النشاط الكنسيّ حين نجد أحياناً أنّ الفخر هو في "تكثير الأعضاء" وليس في حقيقة الخدمة؛ وحين تحلّ العضويّة في هيئة محلّ ختم

المعموديّة، حاشى! أو حين يشعر أحدنا "بانتسابه" إلى هيئة وينسى التزامه بوعود المعموديّة! أو حين "يفتخر"، كما قال بولس: "بأجسادكم" أي "بالانتساب" إلى هذه الهيئة أو تلك وينسى أنّها أداة تعبير عن خدمة معيّنة نتجت عن ختم المعموديّة، ليس إلاّ.

هناك صدق داخليّ وعمق روحيّ يجب أن يفوق على الرتبة الخارجيّة، وذلك في ممارسة كلّ طقس أو نشاط أو عمل في أخويّات وهيئات. وهناك ضرورة لتخطّي "التمييزات" العنصريّة كالتي وقع فيها الشعب قديماً بشأن الختان.

عندما يكون "المسيح هو كلّ شيء وفي كلّ شيء" (كول ٣، ١١) عندها تدلّ الرموز تماماً على حقائقها، وتقود العلامات إلى مدلولاتها. الختان والعضويّات وبطاقات الانتساب والألقاب وسواها... "كلّها صنع يد بشريّة". لكن الختان الروحيّ الحقيقيّ والوحيد هو المعني بالنعمة الإلهيّة يوم المعموديّة.

"لأنّه بيسوع المسيح ليس الختان (أو العضويات) بشيء ولا القلف بل الخليقة الجديدة"، يقول بولس في رسالته اليوم. وهذا هو "قانونه" أي "النظام الداخليّ" للحياة في الكنيسة.

"فلا يجلب أحدٌ أتعاباً فيما بعد" ناشئة عن تمزيق لهذا القانون وعن تمزيقات في جسد المسيح الواحد. ولا يجعل أحد تعدّد المواهب تعدّداً في الانتماء. فالخدم في الكنيسة متنوّعة لكن "العضويّة- الانتماء- الختان- الختم"

هو واحد في جسد المسيح الحيّ- كنيسته. فلا علامة ولا عضويّة ولا هويّـــة ولا رمز ولا إشارة إلاّ "سمات الربّ يسوع" التي حملها بولس في جسده.

وهاكم ما يقوله الرسول: "لكلّ مَن يسلكون بحسب هذا القـــانون- النظام سلامٌ ورحمة. إذ حاشى لنا أن نفتخر إلاّ بصليب ربّنا يسوع المسيح"، آميـــن.

غلاطية ٦، ١١-١٨

٢ الأحد الـ ٢٢ بعد العنصرة

الـــخـــتان المســـيحـــيّ

"أمّا أنا فحاشى لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربّنا يسوع المسيح"

يلخّص هذا النصّ التناقض الكبير بين بولس وبني جنسه، اليهود آنذاك، الذي أدى إلى معركة طويلة بين الجبهتَين. ويدور الخلاف حول موضـــوع الختان.

كان الختان علامة لانتماء الفرد إلى اليهوديّة، وبدونه لم يكـــن يحـــقّ الاحتفال بالفصح. وتأخذ كلّ الأديان والحركـــات الاجتماعيّـــة رمـــوزاً وعلامات تشير إلى فرادتها وميزتها. هكذا كان الختان رمزاً للعهد الذي يقوم بين الله وشعبه في العهد القديم. فما تلك العلامة المقابلة للختان اليهـــوديّ في المسيحيّة؟ إذن ما هي العلامة التي بدونها لا يمكن للإنسان أن يكون مسيحيّاً؟ هناك عدّة رموز وكثير من الطقوس في المسيحيّة، ومنها إشـــارة الصـــليب والأعياد...، لكن يمكن لمسيحيّ ألاّ يحمل على صدره صليباً ويبقى مســـيحيّاً مثلاً. أمّا المعموديّة فهي العلامة التي لا يمكن لأحد أن يكون مسيحيّاً بدونها.

لكنّ هذه العلامات، الختان في االعهد القديم والمعموديّة في العهد الجديد، عندما تفقد معناها العميق تنقلب إلى قشور وعادات خارجيّة قد تعيق ما كانت تشير إليه! وهذا ما حصل فعلاً مع الأغلبيّة من اليهود في زمن بولس الرسول. لذلك يقول: "لأنّ الذين يختنون أنفسهم لا يحفظون الناموس"، الذي من أجله صار الختان. وهكذا دواليك قد نجد العديد منّا، لا يحفظ شيئاً مما يترتّب عن معموديّته! أو مجرّد القليل جدّاً. وهكذا يحقّ لكثيرين أن يطرحوا السؤال: ما الفارق بين معمَّد وغير معمَّد؟

المعموديّة ليست ختماً على جبهة ولا علامة في أعضاء. المعموديّة تفتح لنا الباب للعيش في الكنيسة. لذلك لا تُدخلنا المعموديّة في حالة ثابتة (حالة معمّدين)، وإنّما إلى حالة ديناميكيّة (حالة مجاهدين). لهذا عندما يشبّه الربُّ يسوع ذاته بالكرمة ويشبهنا بالأغصان يقول "اثبتوا فيَّ"، "مَن يثبت فيَّ يأتي بثمر كثير". فهذه العلامة ليست مزيّة بقدر ما هي مسؤوليّة. جهاد المسيحيّ هو أن يحافظ على ثياب المعموديّة نقيّة. جهادنا أن نصير "الخليقة الجديدة" التي وُلدت يوم المعموديّة؛ وهذا يعني أن نقتل الإنسان القديم ليحيا الجديد، ليس مرّة، يوم اعتمدنا، لكن كلّ لحظة، وطوبى لمن يصادفه الموت وهو تائب.

بالطبع لا يكفي أن نحمل الصليب أو أن نتشارك ببعض الأعياد أو أن نسمّى مسيحيّين، لكي نعطي "علامتنا"-المعموديّة حقّها. حين نقول إنّ المعموديّة تُدخلنا إلى الكنيسة وتجعلنا أعضاء جسد المسيح، فهذا لا يعني أنّنا ثبتنا في هذا الجسد إذا لم نحيا حياته و لم نلتزم آدابه. فإن فتحت لنا المعموديّة المجال لكي نحيا حياة الكنيسة، علينا ان نثبت في هذه الحياة لكي يبقى لهذه

"العلامة" معناها ولا تفرَّغ من مضمونها، فيحقّ علينا تأديب بولس الرسول الذي وجَّهه بموضوع الختان نحو اليهود آنذاك.

أخذنا ختاننا الروحيّ-المعموديّة، وهذا يعني أنّنا اندرجنا في حياة الخليقة الجديدة، وصرنا أعضاء جسد المسيح-الكنيسة. كلّ ذلك يقتضي أن نلتزم بآداب هذا الجسم وبحياته.

آداب الكنيسة هي فضائلها، أي الصوم والصلاة والإحسان والتواضع. إنّها تلك الآداب "الغريبة" التي سمّاها بولس الرسول "عثرة لليهود وجهالة للأمم". إنّها آداب شكلها شكل صليب في العالم. لخّص يسوع آداب تلاميذه بالتطويات الثمانية في فاتحة موعظته على الجبل، موعظة شكّلت البديل عن لوحَي العهد اللذَين حملا الوصايا العشر، واستلمها موسى على الجبل. هذه فضائل وآداب المسيحيّ، الوداعة، نقاوة القلب، الحزن من أجل البرّ، تحمّل الاضطهاد من أجل اسم يسوع...

حياة الكنيسة هي طقوسها. فكيف نكون مثلاً في الكنيسة،حين تكون الكنيسة صائمة ونحن غير صائمين؟ واليوم نحن في صوم الميلاد، كيف نكون ثابتين في جسد حين نكون في الزمن خارج هذا الجسد؟ كيف نكون في الكنيسة عندما تكون الكنيسة ملتئمة حول الكأس المقدّسة في القدّاس الإلهيّ ونحن بعيدين عنه، ولأسباب غير مقبولة؟ تتمحور حياة الكنيسة حول طقوسها، وتعيش على أسرارها، سرّ التوبة والشكر بشكل خاصّ.

ماذا يعني "الانتماء" للكنيسة حين لا نحيا فيها في الزمن، أي لا نمارس طقوسها. وحين لا نحيا من مصادر حياتها، أي الأسرار المقدسة.الكنيسة ليست، كما تفسرها بعض الطوائف البروتستانتية، أن نفهم الكتاب المقدس ونحفظ بعض الوصايا. الكنيسة هي حياة مؤمنين يتقدّسون حول سيدهم معاً ويعيشون على "الخبز الجوهري". ليست المسيحيّة ديناً فرديّاً، يقرأ كلٌّ بمفرده الكتاب ويحفظ حدود الشريعة-الجديدة، فيقوم ببعض الاحسان ويتجنّب "الخطيئة". هذه صور عن مفاهيم مجتمعاتنا ومدنيّاتنا الحديثة، التي نسيت أنّ الله هو ربّ "عائلة" وليس قاضٍ على "أفراد".

"ليس الختان بشيء" يا لها من عبارة صاعقة للإنسان اليهوديّ. مثلها عبارة "ليست المعموديّة بشيء"! بل الخليقة الجديدة، يقول بولس الرسول لليهود ولنا.

الخليقة الجديدة هي الواقع والمعموديّة هي علامتها، أي مدخلها. دون هذه الحياة الجديدة يصير "الانتماء" للكنيسة "طائفية"، تقسّي قلوبَنا وتزيد الشقاق بين كنائسنا من جهة وتجاه الأديان الأخرى، الإسلام وسواه، من جهةٍ أخرى. أمّا الحياة الجديدة، الملتزمة بممارسة الفضائل المسيحيّة والمتدرّجة في الزمن على عتبات الطقوس والأسرار الكنسيَّة، فهي تنفتح على الآخر، وتستحقّ علامتها، ويفهم الناس علامتها من ممارستها، ويبدو واضحاً بعدها أنّ هذا معمَّد وذاك غير معمَّد، وأنّ هناك فارق في الحياة التي ما دون المعموديّة والتي ما بعدها.

لا تفسَّر المعموديّة إلاّ إذا حمل صاحبها في داخله "سمـــات يســـوع"، كبولس الرسول، أي الأتعاب والسهر والصوم والصلاة والسعي للبشارة من جهته.

فليثبت العضوُ بالجسد والغصنُ بالكرمة، لنشرب دماً مهراقاً وجســـداً مكسوراً لمغفرة الخطايا ولعهد جديد، آمين.

أفسس ٢، ٤-١٠

١ الأحد الـ ٢٣ بعد العنصرة

صـــنـــم، شـــريـــعة، نـــعـــمة!

"فإنّكم بالنعمة مخلَّصون" (أف ٢، ٥ و٨)

يتنهّد الإنسان كلّ لحظة ليَخلُص من أمور عديدة تأسره في حالة قديمة يريد التخلّص منها، ما دام هو كائن يعطش دائماً للأفضل. تحسين أمر مـــا يعني على الفور التخلّص من وضعٍ أسبق والوصول لوضع لاحقٍ أفضل. يريد الإنسان ويشتهي أن يطوّر ظروف حياته فيتخلّص من أمراض تعذّبه ومـــن شرور اجتماعيّة تهدّده وتؤرقه. إنّ الإنسان كائن لا يشبع ويشـــتهي دومـــاً الكمال في كلّ شيء لذلك يكره كلّ ما يسمّى قديماً ويحبّ كلّ مـــا هـــو جديد، وأفضل!

لكن كيف نخلص؟ اختبر الإنسان في تاريخ البشريّة الطويـــل طرقـــاً عديدة. وهنا وإنْ كنّا نقرأ كلمات بولس الرسول بشـــيء مـــن العـــادة أو السطحيّة والسرعة، إلاّ أنّ صرخته "أنتم بالنعمة مخلَّصون = تخلصون" هي تحدٍّ قويّ وجريء لعالم اعتاد آنذاك أن يخلص بطرق أخرى! اختلـــف بـــولس

الرسول مع الوثنيّين بهذا الموضوع تماماً، كيف نخلص؟ أبالوثنيّة والأصنام والسحر؟ واختلف مع اليهود أيضاً لأنّه يقول إنّنا لا نخلص بالشرائع والأديان (البشريّة). لقد اختلف بولس عن كلّ شيء كان موجوداً آنذاك، اختلف مع الوثنيّين واختلف مع الأديان! كان بولس بالكليّة "جديداً"! كلمات بولس هذه "بالنعمة مخلَّصون" تريد، وقد نجحت، أن تفجّر تاريخ الخبرة البشريّة كلّها قبل المسيح في إلحادها كما في تديّنها.

الصنم والسحر، كانا طريقَي الإنسان للخلاص في الوثنيّة. أمام واقع الألم والحلم بالكمال، وأمام الخليقة التي كان الإنسان يشعر أمام قوّتها بالعدم والضعف، اعترف بوجود آلهة خالقة أو مسيِّسة للعالم، وراح يُبدع في تصويرها وتشكيلها... لكن ما خلقه الإنسان من آلهة كانت هي مخلوقاته و لم تكن خالقَه. أَلَم يعبد الناس في أثينا "الإله المجهول" عندما وصلها بولس! ولكن خبرة البشريّة مع هذه الآلهة (الأوثان) انتهت بالإحباط. ومنذ وقت مبكر راح الدِّين اليهوديّ يهزأ بهذه "المخلوقات الجامدة" من صنع البشر، إذ عندما يناديها الإنسان لا تسمع وعندما ينتظر منها لا تتكلّم. لها شكل ليس لها قوّة ولا فعل! إذن لا وجود حقيقيّ لها (أش ٤٨، ٥). لهذا يسخر إيليّا بآلهة لم تستطع أن تشعل نارَ محرقةٍ (١ ملوك ١٨، ١٨-٤٠).

خدمت الأوثان في أن يعبَد الإنسانُ أصناماً و لم تخدم خلاصاً له! ولِمَ العبادةُ حين لا تحرّرنا ولا تحسّن حياتنا ولا تخلِّصنا؟

من جهة أخرى، راح السحرة يمتهنون دور الكهنة في العالم الوثنيّ، هؤلاء لم يبدّلوا في المعادلة شيئاً سوى بعض التفوّق على الصنم، إذ خدمهم

بسحرهم شرُّ الشيطان ورغبتُه في تضليل الإنسان. فراحوا بشيء من "البراعة السحريّة –أي القوى الشيطانيّة – يخلِّصون الإنسان من بعض الحالات المرَضيّة الكاذبة أو من خوفه للمستقبل بمعرفة له واهية...! وإن سحرتْ قوّةُ السحر قلوبَ بشر عديدين إلاّ أنّها كسابقتها – الأصنام- أوصلت الإنسان بخبرته معها إلى مأزق ودرب مغلق وخبرة إحباط.

الصنم تجربة بشريّة دائمة، ولعلّها اليوم تزداد غوايةً! ليست الصنميّة حالة عابرة في التاريخ بل هي تجربة بشريّة عميقة لكلّ حين، واليوم وعند المسيحيّين أيضاً وفي كلّ الأديان كذلك، إنّها تعود للظهور بأشكال جديدة مبدِّلةً شكلها لكنّها بالجوهر هي هي. فكلّما اعتمد الإنسان في سبيل خلاصه على الجشع أو السيطرة أو المنجزات الشخصيّة فقط أو الشهوة أو إشباع اللّذات أو السلطات الدنيويّة ، بدلاً من الله هو آنذاك عابد وثنٍ. مَن يخلّص الإنسان؟ اللهُ الذي هو من خارج هذا العالم المخلوق الذي نعرفه؟ أم هي أشياء أو قوى يوجِدُها أو يَجدُها الإنسان في هذا العالم؟ هذا هو الفرق بين الوثنيّة الصنميّة والإيمان!

لم تختلف الفلسفات القديمة، التي ظهرت كأديان، ومنها ما كان متشدّداً جدّاً أخلاقيّاً، عن الوثنيّة بشيء. لقد كانت حركةً أكثر رقيّاً إذ لم تعتمد على "المجهول" (الوثن والسحر) لتخليص الإنسان بل اعتمدت على "المعروف" فالمعرفة (الغنوصيّة – العرفانيّة – العلم الحديث – وتسميات مثلها)، هي "الله" الملموس الذي "يحسّن" الحياة.

لنعترفْ دون تردّد أنّ هذا صحيح، أي أنّ العلم والمعرفة والبحث هو ما يقود بالنهاية إلى تطوير حياة البشريّة وتحسينها، إنّها "الله" و"المخلّص"، وهذا استنتاج منطقيّ، لولا أنّنا نختلف مع الفلسفة في تفسير معنى "الحياة". إذا كانت الحياة هي ما هنا فقط فالمعرفة هي ما يخلّص، وبالتالي الفلسفة والعلم الحديث.

لكن ما دامت الحياة تستمرّ إلى بعد ما هنا وما دام الموجود والوجود هو أوسع من المنظور والمدرك، فإنّ الحُلمَ البشريّ لم يعدْ يبغي صوراً في تحسين حلقة الحياة هنا فقط، بل يرفض كلّ الأشكال التي من هنا كنهاية عامّة للحياة! الغاية المسيحيّة ليست تخفيف الأمراض أو بناء حضارات، الغاية المسيحيّة هي القيامة وخلود الإنسان من جهة وبناء ملكوت الله من جهة أخرى. دخول الإنسان إلى هذه الحلبة أمرٌ لا تكفي للنجاح به المعرفةُ فقط، وإن كانت تساعد!

الأديان برعت في "الفلسفة" عن الماورائيّات لدرجة أحياناً غيّبتْ فيها حتّى المرئيّات! وفي الأديان "السماويّة"، التي تتميّز عن الأديان الأخرى بإيمانها بإله ليس من عالمنا الماديّ، غالباً ما تتدخّل الناسُ بفلسفتهم "وتديّنهم" بريء فأخضعوا دين الله لشرائعهم – دينهم. ويعود الدِّين السماويّ أحياناً في العديد من وجوهه ليصير فلسفةً، أو علمَ اجتماع، أي شريعة بشريّة جديدة. لقد أوصى الله بشريعة من عشرة وصايا، ويوصي الفريسيّون بآلاف الشرائع! لكن السؤال هو لماذا؟ زيادة الشرائع في تفاصيلها، حتّى تشمل أدقّ جوانب الحياة من غسل الأيدي قبل الطعام وغسل الأرجل قبل الصلاة...، ينطلق من

مفهوم عميق هو أن نبرّر أنفسنا أمام الله، وهذا ما يعنيه الخلاص، ولكن بأعمالنا. لذلك تتبارى الشرائع بسنّ وتوضيح الطرق التي على المؤمن الالتزام بها لكي يتبرّر ويرضي العدل الإلهيّ. عندها يحجِّم الناسُ الكمالَ بالحجم الذي يريدونه ويلغون ديناميكيّته وحقّه بالتشبّه دائماً بالله المطلق. أَليست الشريعةُ هكذا هي فلسفةٌ أيضاً ولكن تعتبر وجودَ الله بإعطائه قسماً وشكلاً من حياتنا، إذ ما يخلّص الإنسان هنا ليس الصنم الذي يخلقه ولا السحر الذي يمارسه ولا العلم الذي يمتهنه بل الأعمال الفضيلة التي يعملها، وليس الله بالمطلق! لا شكّ أنّ الشريعة أفضل بكثير من الوثن والسحر، لكنّها تعيدنا إلى الحلقة ذاتها، أن يخلّص الإنسان هنا شيء من هنا! فهؤلاء يعتبرون الوثن مخلِّصاً عندها يتألّه بالنسبة لهم. وآخرون يعتبرون العلم مخلِّصاً فيؤلّهونه، وحافظو الشرائع يخلَّصون بالشريعة فتتألّه وتأخذ مكان الله أيضاً. فاقت الشريعة على ما سبقها في إقحام حياة الله بحياة الإنسان وإلزام حياة الإنسان بإرادة الله، لكنّها صيَّرت الله طرفاً وحاكماً وحدّدت للإنسان ثمن خلاصه، يدفعه فيخلِّص ذاته ويصير كالله عارفاً للخير والشرّ، يا لها من تجربة من قلب الدِّين عينه!

"أمّا أنتم فبالنعمة مخلَّصون"، يكرّرها بولس ضمن سطرَين مرتَين، ليؤكّد عليها! خلاصُنا، يقول بولس الرسول، لا بسبب الأعمال التي عملناها، التي أصلاً قد أوصلتنا إلى الحضيض والموت، بل برحمة الله ومحبّته فقط! يكرّر بولس في الرسالة هنا، وفي سطور قليلة، كلمات الرحمة واللطف والمحبّة وفرط غنى النعمة والعطيّة وذلك ليعبّر عن دهشته لحدث، وأيّ حدث؟ إنّه حين كنّا

بعد أمواتاً بالزلات وبالآثام وكنا نستوجب حكم الدينونة العادل كما تعلّمه الشريعة، إذا بالله يأتي لينتشل الخروف الضالّ ويحمله على منكبَيه ويقدّمه للآب. بينما كانت أعمالنا، بحسب الشريعة، تقتضي هلاكَنا، إذا برحمة الله ونعمته تقضي على الله ذاته موتاً وصلباً حبّاً بالمخطئين. هل نخلص بأنفسنا أم قد خلّصنا الله؟ نعم، الله مخلِّصنا وبالنعمة ليس بالعدل! وذلك "لكثرة محبّته التي أحبّنا بها". إنّ الحفاظ على الأخلاق التي ترسمها الشريعة لا يتعدّى أن يؤمّن ما تؤمّنه الفلسفة في المجتمع من أدبيّات وحسن تعايش. الشريعة لا تهبنا "خلاصاً كهذا". التراب إلى التراب يعود والشريعة تهذب الحياة وتمنع العقاب وتطلب الغفران، لكن النعمة هي وحدها التي تحرّر الإنسان من الموت وتهبه الحياة. الشريعة تقضي على التراب بالعودة إلى التراب، وأمّا النعمة فعدا الغفران قد تبنت التراب لترفعه بالقيامة إلى السماء! لا يفتخرنَّ إذن أحدٌ بأعماله، إنّ خلاصنا لا ثمن بشريّ له، ولا يبرّره إلاّ الحبّ الإلهيّ اللامتناهيّ.

هذا لا يقلّل طبعاً من أهميّة الأعمال – يقول الذهبيّ الفمّ- ولكن يُعلن أن الخلاص هو هبة ونعمة. كثرة الأعمال لا تشتري التبرير لكنّها تسمح للنعمة بالعمل أكثر.

الأعمال الصالحة ليست ثمن الخلاص، لكنّها بالأحرى نتيجته: "لأنّنا نحن صنعه (في الخلق الأوّل) مخلوقين في المسيح يسوع (بالمعموديّة) للأعمال الصالحة". فالمعتمِد إذ التجأ إلى النعمة تعمل هذه به حياة البرّ والقداسة. المسيحيّ المولود جديداً بالروح لا يعمل إلاّ الأعمال الصالحة إكراماً للروح والنعمة.

العبادة المسيحيّة ليست ذبائح غفران ولا هي تبجيل لقوى مجهولة ولا عبادة الذات بمنجزاتها، بل هي شكر، وشكر عميق من القلب لمـــن "أحبّنـــا فخلَّصنا"، آمين.

غلاطية ٦، ١١-١٨

٢ الأحد الـ ٢٣ بعد العنصرة

أسبقيّة النعمة والأعمال

"حين كنّا أمواتاً بالزلات أحيانا مع المسيح"

"بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً"، هذه كلمات غريبة للبعض! ميزة المسيحيةّ إيمانُها بضرورة عمل الله في حياتنا. ولقد بالغَ البعضُ في تفسير هذا الدور وجعله وحيداً فقالوا "آمنْ تخلُصْ"، معتمدين على كلمات خاصّة عند بولس الرسول، "ومثلها ما نسمعه اليوم: "أنتم بالنعمة مخلَّصون"، و"ذلك ليس منكم إنّما هو عطية الله، وليس من الأعمال لئلاّ يفتخر أحدٌ". عندها قام آخرون يشدّدون بخاصّة على الأعمال والحسنات والخدمة معتمدين على كلمات عند بولس وعند يعقوب "الإيمان دون أعمال ميت"! لقد عذّب هذا الصراع بين الطرفَين العالمَ الغربيّ طيلة عقود وما زال! ما هو دور النعمة وما هو دور الأعمال؟ فإذا كانت الأعمال تخلِّص لا تَعُدُ النعمةُ نعمةً، وإذا كانت النعمة تخلِّص فلا تعود الأعمال ضروريّة. هذه هي المشكلة، لكن أَليس هناك قصد ومعنى آخر في كلمات الربّ ورسله؟ نعم هناك، وهذا المعنى فسّره رجالٌ قدّيسون اختبروا النعمة وحركتها، وأوّلهم "نبيّ النعمة" — بولس!

الخلاص هو بالإيمان والأعمال، لدى كنيستنا الأرثوذكسيّة، لكنّه يبقى مجانيّاً ونعمة! "لا تخلِّصُ النعمةُ غيرَ الراغبين ومَن يحاربها على الدوام"، يقول فم الذهب. كان يسوع يسأل قبل العجيبة: "أَتؤمن؟" و"أَتريد أن تخلُص؟" . وكان على مخلّع بيت حسدا ألاّ يعود للخطيئة بعدما نال النعمة. كذلك انتظر التلاميذُ موعدَ الروح القدس وهم بقلبٍ واحد مواظبون على الصلاة حتّى يوم العنصرة. هناك ارتباط أساسيّ بين عمل نعمة الله وبين إرادتنا. لهذا عندما يشرح فم الذهب قول بولس الرسول مشدّداً على النعمة: "ليس لمن يسعى ولا لمن يركض لكن للربّ الذي يرحم"، يعود إلى آية المزامير: "لا تعطِ رجلك للزلل لئلاّ ينعس حافظك" (١٢٠، ٣). ويقول فم الذهب إنّ المزمور لا يقول "لا تزلّ" بل "لا تعطِ رجلك للزلل". فأنْ تسقط أو تقوم هو عمل النعمة وليس من أعمالنا، أمّا عمل النعمة هذا فهو غير ممكن إذا لم نرد القيام أو أردنا (أعطينا رجلنا لـِ) الزلل!

الفضيلة هي حصيلة تعاون طرفَين، النعمة الإلهيّة والإرادة البشريّة. فمن حيث القيمة لعمل كلّ طرف، العملان لا يقارَنان. هكذا إذ كان لنا إيمان بمقدار "حبّة خردل" – أعمالنا ننقل "الجبال" – عمل النعمة. لهذا الخلاص فعلاً مجانيّ بالكليّة. لكن هذا لا يعني أن لا دور للأعمال. لأنّه من حيث الأهميّة العملان – عمل النعمة وعمل الإرادة البشريّة، متساويان تماماً. فالله لم يستطع أن ينقذ بطرس قبل أن يمدّ الأخير يده! نار النعمة تنطفئ إذا غاب حطبُ الأعمال. لكن الحطب وحده لا يعطي ناراً.

دور أعمالنا هو بالتحديد صقلُ وتهذيب إرادتنا. الأعمال لا تخلِّصنا ولكنّها تُعِدُّنا لقبول النعمة المخلِّصة. دور النسك هو تطهير الإرادة البشريّة وتدريب القلب البشريّ على الصرخة: "ليذهب العالم ولتأتِ النعمة". لقد اعتنى الربّ ببطرس كما بيهوذا لكن النعمة وجدت في دموع بطرس معبراً وفي طمع يهوذا عثرة. عمل النعمة لا يقارَن بعمل الإنسان، لكن النعمة لا تعمل دون إرادة الأخير. اللصّان عن اليمين وعن اليسار كان لهما الأعمال ذاتها، لكن النعمة عملت في قلب اللصّ اليمين وعجزت في حالة اللصّ اليسار. إنّ الله يُمطِر على الأبرار والأشرار لأنّ نعمته تنسكب على الجميع، لكنّها لا تفعل بالجميع. وهنا يأتي دور توبتنا وأعمالنا وهو أن "تعيد قلب البنين إلى الآباء" وتطهِّر وتغسل الإرادة البشريّة. الأعمال تثبت رغبتنا بالنعمة وتسمح لها أن تعمل.

"الله غنيّ بالرحمة" يقول هنا بولس الرسول ونعمته "تفاضلت" (١تيمو ١، ١٤) لكن هذا لا يعني أبداً أنّها تجاوزت حريّة بولس حين دعته على أبواب دمشق. لقد كان غنى الرحمة "تعليماً" وليس "تخليصاً" كليّاً، يقول فم الذهب. لكن بعد أن تاب بولس بقي ثلاثة أيّام أعمى يتحضَّر للمعموديّة برهبة، بعدها بدأت النعمة تعمل به كلاماً ناريّاً كلام حياة وعجائب وقوات... فصرخ بولس "أنا ما أنا"، لكن "بنعمة الربّ".

تسبق النعمةُ أعمالَ الإنسان وتسبق حتّى إرادته، النعمة تثير فينا الإرادة للأعمال الصالحة. وهذا ما يعنيه بولس بقوله: وحين كنّا بعدُ أمواتاً بالزلّات، أي راغبين بالخطيئة، أحيانا الله مع المسيح، أي أرسل ابنه الوحيد الذي بموته

وقيامته وارتفاعه رفع إليه قلوب الكثيرين. لم يَتُبِ الإنسانُ أوّلاً، بل جاء الله إليه حتّى الجلجلة وهناك كسر قلب كلّ إنسان نحو التوبة، لكي تعمل النعمة. "بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً"، هذا يعني أيضاً بدوني لا تقدرون أن تريدوا شيئاً.

هذه الخبرة مع أسبقيّة تحرُّك النعمة نحو الإنسان هي خبرة تاريخيّة وميستيكيّة روحيّة أيضاً. تاريخيّة إذ جاء إلينا وبعد نحن أعداء له؟ وداخليّة من حيث حركة النعمة مع المصلّين والمجاهدين والشجعان على المستوى الشخصيّ. "ها أنذا واقف على الباب أقرع"، هذه عبارة سفر الرؤيا تشرح لنا أسبقيّة النعمة ودورها في إيقاظ الحريّة البشريّة تاريخيّاً وروحيّاً، لكن دون أن تتجاوزها. إنّ السيّد يأتي والأبواب مغلقة بعد. لقد أحبّنا قبل أن نحبّه وعرفنا قبل أن نعرفه. لكنّه لا يفتح الباب بل يقرع، لقد نادى الأنبياء بالدعوة للتوبة قارعين باب كلّ قلب بشريّ، هذه نعمة الربّ المخلِّصة لكلّ إنسان تائب في العالم.

"لا تطفئوا الروح"، "مَن له أذنان للسمع فليسمعْ": هي كلمات تفسّر بعضها ببعضها. انسكاب النعمة لا يعني عملها، بين الواقعَين تتوسّط إرادةُ الإنسان فتمنع أو تسمح. ودور الأعمال والنسك والأصوام والصلوات والزهد... هو أن يثبِّت الإرادةَ البشريّة باتجاه ريح النعمة لتقبّلها.

عندما يريد الإنسان نعمة الله ويحيد بأعماله الطاهرة عن تجاهلها أو نسيانها أو محاربتها، عندها تعمل النعمة. تنسكب النعمة للجميع للأشرار والأبرار، لكن أن تعمل النعمة، وأن تخلِّص النعمة فهذه الأخيرة، أفعال متتالية

تتوقّف مجرّد غابت الإرادة المبرهنة بالأعمال، والثابتة في حبّها للربّ، التي تسمع نداءه وتشعر به أمام الباب يقرع!

انسكاب النعمة يفيض للجميع لأنّه من محبّة الله فقط ومجّاناً بالكليّة. عمل النعمة للراغبين بها فقط لأنّها تحترم حريّة الإنسان. تخليص النعمة يتمّ بثبات إرادة الإنسان في طاعتها بالأعمال اللائقة بها. وعمل الإنسان في الخلاص حصراً هو أن يريد في البداية وأن يشكر في النهاية على مجانيّة الدعوة ومجانيّة الخلاص! ولا فخر لنا إلاّ بإلهنا الذي أحبّنا قبل أن نعرفه فنعترف بالتوبة ونكرز بالرحمة، آمين.

غلاطية ٦، ١١-١٨

٣ الأحد الـ ٢٣ بعد العنصرة

الشـــرائـــع والقلـــب

"لأننا صنعه مخلوقين في المسيح يسوع للأعمال الصالحة"

لقد خلق اللهُ الإنسانَ وجبله "بيديه". ويفسّر الآباء، كما بولس الرسول هنا، أنّ يدَي الله الآب (وهو دون جسم) هما الابن والروح؛ كلّ شيء كان "به"، بيسوع المسيح، كما نقول في دستور الإيمان.

ولكن هذا الخلق لم يكن حدثاً مرّة واحدة، عندما جلبَ اللهُ الخالقُ الإنسانَ من العدم إلى الوجود، بيسوع المسيح. بل هناك مراحل جديدة في الخلق الروحيّ. هناك الخلق من الوجود إلى العهد، حيث صار الشعب شعباً لله يحفظ ناموسه. وبعد ذلك هناك الخلق من الناموس إلى النعمة، وهذه أيضاً بيسوع المسيح.

مع كلّ مرحلة في الخلق كان هناك شكلٌ خاصّ للناموس وصيغة محدّدة للشريعة. لا شكّ أنّ كلام بولس الرسول حول الشريعة يعني أنّ شرائع الله كانت مدرِّبةً لنا إلى المسيح، أي أنّها تطوّرت مع تطوّر الشعوب ذاتها، حتّى جاء ملءُ الزمان بيسوع المتجسِّد وأعطي كمالُ الشريعة.

مع الخلق الطبيعيّ كان الضمير هو الشريعة الطبيعيّة التي جاءت، أي من جبلة الإنسان على صورة الله ومثاله. وإن لم يظهر في الكتاب المقدّس إشارات لشريعة كهذه مكتوبة، إلاّ أنّ روح الأحداث توضح ذلك. فآدم استلم وصيّة في الفردوس، ولما أخطأ إليها خجل واختبأ من وجه الله. وقايين يسمع صوت الله موبِّخاً بقساوة عندما قتل أخاه هابيل. لقد كان هناك نظام دينيّ سائد لم يُكتب. وهكذا يُعطى نوح وصايا كان جيل الطوفان قد تعدّاها. كان الضمير شريعة، صوتَ الله في داخل الإنسان. كان الضمير إذن نظاماً يحفظ الإنسان في الأعراف الأساسيّة الصالحة، كعدم القتل أو السرقة أو الكذب... ولقد بقي هذا الناموس الطبيعيّ مع الأمم والشعوب التي لم تصلها شريعة موسى فيما بعد العهد. وهذا ما أشار إليه بولس الرسول على سؤال المسيحيّين: كيف سيُحكم على الذين لم تصلهم البشارة، فقال: "لأنّه الأمم الذين ليس عندهم الناموس (شريعة موسى) متى فعلوا بالطبيعة (الضمير) ما هو في الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموسٌ لأنفسهم... شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجّة" (رو ٢، ١٤-١٥). ولهذا، كما يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمّ، إنّه مهما جهل الناس النواميس والشرائع، أو حتّى لو عرفوها ولكنّهم تعدّوها كلّها، فإنّه لا بدّ أنْ يبقى لديهم شيء من الصلاح بالطبيعة. والمثال هو يهوذا الذي أسلم السيّد، وتعدّى كلّ الشرائع، لكنّه على الفور قال: "لقد أسلمتُ دماً زكيّاً" وندم.

في الخلق الثاني، من العهد مع موسى صار "الناموس" هو الشريعة المكتوبة، التي "رُقمِت بيد الله"، تعبيراً عن كونها تعبّر عن إرادته. تلك الإرادة التي كان يتجاهلها بسهولة كبيرة أصحابُ الناموسِ الطبيعيّ، عن جهل أو تجاهل! لذلك صارت هذه الشرائع المكتوبة امتحاناً لأمانة الشعب تجاه إلهه، وشرطاً لعهده معهم. وتناولت هذه الشريعة تنظيم حياة الإنسان في كلّ نواحيها (المعيشيّة والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والعائليّة...). وتوسّع المشرّعون في تفسير شريعة الله، حتّى الحدّ الذي أفسدوا فيه شريعة الله ذاتها لتبرير شرائعهم أحياناً. وألقَتْ الشريعةُ على كاهل الناس وصايا لا تُحتمل. فجاء هذا الناموس المكتوب أوسع بكثير من الناموس الأسبق الطبيعيّ. إذ أضاف على الأسس الأخلاقيّة الطبيعيّة متطلّبات دينيّة واجتماعيّة عديدة. ومن تلك مثلاً الأصوام ووصيّة يوم السبت، والإحسان، ... فضائلَ لم يكن الناموس الطبيعيّ يلحظها. لكن عندما أضاف الناس العديد من الوصايا مجتهدين في التفسير والتأويل وثقلت الشريعة جدّاً على البشر، تفنَّنَ الأخيرون بالتلاعب عليها بين إفتاء وتفاسير. بينما كانت هذه الشرائع وسائل لحفظ الميل البشريّ نحو الصلاح، صارت الآن شكلاً ناموسيّاً جعل القلوب القاسية تتقاسم مع الله حقّه وحقّها. وراحت أغلبيّة الأتقياء تقع في الفريسيّة الدينيّة، وتعالت معها نبوءات عديدة في العهد القديم، أن سيأتي وقت يستلم فيه البشر وصايا ستُكتب ليس على الألواح الحجريّة وإنّما على القلب. حينها لن تتحدّد العلاقة مع الله بالواجبات وإنّما بالمحبّة.

في الخلق الثالث، من تجسّد يسوع وموته وقيامته، وُلِدْنا في عهد النعمة. قال القدّيس أنطونيوس أبو الرهبان: "أنا لا أخاف الله ، لأنّي أحبّه". إنّ اللهَ أبٌ محبٌّ لا يرتاح لحفظنا بعض الوصايا، بل كما جاءت في العهد القديم بعض النبوءات أو الومضات، قال: "يا بنيَّ أعطِني قلبك". وهذا ما حصل فعلاً في العهد الجديد. فمَن يحب يعمل أكثر بكثير من الواجب، لذلك لا تسود عليه بعد فرائض الناموس لأنّه أَثِمَ أكثر منها. لم يهاجم اليهود أحداً على تعدّيه للناموس بقدر ما هاجموا يسوع ذاته. إلاّ أنّ يسوع كان قد أتمّ الشريعة بكاملها، ولكنّه زاد عليها: "مَن منكم يوبّخني على خطيئة؟" (يو ٨، ٤٦). لقد جاء يسوع ليُكمل الشريعة، أي ليقودنا إلى روحها وإلى ما هو أسمى، بعد أن درّبتنا سنين في العهد القديم، حان الآن بيسوع أن يطلب الله ما هو أكثر. فليس الأمر هو العين بالعين والسنّ بالسنّ، بل محبّة مطلقة حتّى محبّة الأعداء ذاتهم! لقد تجاوز "ناموس يسوع" نواميس الشرائع القديمة، طلبَ يسوعُ البذلَ حتّى النهاية بدل الحقوق. ومَن وهب حقوقه حبّاً لا يحتاج لشريعة تعيد له بعضاً منها!

الخلق الثالث بيسوع صار خلق القلب النقيّ. جلب يسوع شريعة القلب. دون هذا القلب تتزيّف كلّ الشرائع بسهولة. لقد جرح يسوع بحبّه نفوسنا، ولم تعد الدوافع للأعمال الصالحة مجرّد شريعة تتطلّب منّا بعض الأخلاقيّات، بل صار الدافعُ الحقيقيّ أن نكمل في أجسادنا ما نقص من الآم المسيح في جسده. ولم يعد في لغة المحبّة هناك حدود للوصيّة. وباتت العلاقة مع الله في إطار الواجبات خطيئةً.

"البارّ بالإيمان يحيا". لا يعني ذلك مجرّد الرجاء لدى المؤمن، وإنّما أيضاً السعادة. كلمة الله كلمة عذبة، وشريعته أطيب من العسل على الفمّ. إنّ الشريعة الجديدة تختن القلب كما جاء في النبوءة: "وسيختن الربّ إلهك قلبك وقلب نسلك، بحيث تحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وبكلّ نفسك لكي تحيا" (تثنية ٣٠،٦). لا تعود الوصيّة أمراً يُطاع بالخوف بل تصبح الإرادة الإلهيّة مشتهاة للإرادة الإنسانيّة، بعد أن تبدّل العشق الداخليّ لدى الإنسان.

يصنّف الآباءُ القدّيسون أنواع من البشر في العلاقة مع الله في ثلاث درجات. أوّلهم العبيد، الذين يطيعون سادتهم خوفاً وقهراً، ثمّ الأجراء، الذين يطيعون أوامر سادتهم طمعاً في تسوية حقوق، وأخيراً الأبناء، الذين يعملون إرادة أبائهم لأنّها إرادتهم أيضاً.

لقد خُلقنا بيسوع ثلاث مرّات، من العدم إلى الوجود وكانت شريعتنا قليلاً من أعراف في الضمير. ثم خُلقنا به من الوثنية في الإيمان والعهد، وكانت شريعتنا ناموس موسى. ثم أخيراً خُلقنا به خلقاً كاملاً من الناموس في النعمة، حيث تمّ خلق القلب الجديدة، وهنا لا يعبد الإنسانُ الله وحسب، بل يتّحد به بالحبّ اتّحاداً كاملاً. هذه صلاة يسوع للآب: "ليكون الجميعُ واحداً كما أنّك أيّها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا..." (يو ١٧، ٢٢). مَن اتّحد بالربّ ستفيض من جوفه أنهار ماء حيّ وأعمالاً صالحة، سبق الله وخطّط لها ورسمها وينتظرها منّا.

لقد جاء ملء الزمان، حيث الأعمال الصالحة ليست مجرّد ضحايا أو تقدمات للاستغفار، بل هي حمل الصليب مع يسوع في مسؤوليّة مشتركة،

والكرازة برسالة حبّه قولاً وفعلاً، إذ خلقنا به في عهد النعمة "للأعمال الصالحة"، آمين.

أفسس ٢، ١٤-٢٢

الأحد الـ ٢٤ بعد العنصرة

سـياج الـعداوة الـحاجز

"ونقض (يسوعُ) في جسده حائط السياج الحاجز"

انفصل الناس، في زمن العهد القديم وزمن تجسّد الـربّ يسـوع، إلى نوعَين بل صفَّين من البشر: اليهود شعب الله أصحاب المواعيد الإلهيّـة مـن جهة، ومن جهة ثانية الوثنيّين "الذين لا رجاء لهم" ولا يؤمنون بالله. لم يكن الخلاف عنصريّاً قوميّاً بقدر ما كان قبل كلّ شيء دينيّاً. فاليهود يعترفـون بقرابات دمويّة مع بعض "الأمم"، لكن الفصل قائم على أسس أوّلاً خلقيّـة ومسلكيّة وإيمانيّة واسختولوجيّة.

طال زمن الحرب والصراع بين شعب الله وبين الأمم المعادية لـه. وإن كانت العلاقة بين هذين الصنفَين والصفَّين من البشر متأرجحةً من حيث شدّة العداوة أو التقبّل والانفتاح، وبالعموم كانت متأزّمة جدّاً، ووصلت لحـدود الحرب الدمويّة ومنع الزيجات المختلطة لا بل حتّى الكلام. فالشعب في العهد القديم كان غالباً مهدّداً وجوديّاً وسياسيّاً، ولطالما اسُتعبِدَ في مصـر وبابـل وكان عليه أن يحارِب كثيراً ليحافظ على وجوده. فالأمم المتشامخة التي كانت تعبد آلهة غير حقيقيّة لا بل شهواتها، تحارِب وتقاوِم الربَّ الحيَّ في شعبه.

تكرّرت الحالات التي وقع فيها الشعب المؤمن في غواية رغبات والمسلكيّات الإباحيّة للأمم الوثنيّة. وانزلق الشعب مرّات إلى العبادة الوثنيّة بضعف من الإيمان وبضغط من الأمم التي تشاء أن تفرض عبادتها حتّى على الهيكل! لذلك شاءت الشريعة وبقساوة أن ينسلخ المؤمنون عن الأمم الوثنيّة حتّى لا تناله عدوى وثنيّتها (تثنية ٢٧، ١- ٨). لم تظهر إمكانيّة جذب الأمم إلى الإيمان سهلةً. وحَلِمَ اليهودُ بيوم تحرير يدين اللهُ فيه كلَّ الأمم التي لم تعدْ إلى الإيمان، أو بيوم أخير سيعود فيه الجميع إلى الله (مز ٢٢). لكن في التاريخ فصلت بين اليهود والأمم عداوةٌ كبيرة سمّاها بولسُ الرسول جداراً وسياجاً حاجزاً بينهما. "سياج العداوة" كان تاريخاً من العوامل وأهمّها الدينيّة التي فصلت الإنسان عن الإنسان.

الخطيئة! هي أولى حجارة هذا "الحائط المتوسط". لقد انشطر الناس حول كلمة الله إلى أتقياء ومجدِّفين. الخطيئة دفعت آدم إلى اتّهام امرأته حواء، وهي دفعت قايين لقتل أخيه هابيل، وهي بَنَتْ "برجاً رأسه إلى السماء" (تك ١١، ٤) تبلبلت بعده ألسنةُ الناس وازدادت خلافاتُهم، ولم يعد التفاهمُ والتناغمُ يسودان على العلاقات البشريّة! وتكاثرت الأحقاد الدمويّة منذ عهد قايين وتباينت القلوب وفُقدت الوحدة الروحيّة. كرّر العهد القديم: "اخرجوا من وسطهم وتطهّروا"- من دنس الأعمال.

ولقد سمّى اليهود الأمم "كلاباً" (مرقس ٧، ٢٧) لعبادتهم اللاأخلاقيّة وإباحة كلّ ما لا يُستباح فيها؛ وذلك للتباين الكبير بين أخلاق هؤلاء المؤمنين

وأخلاق الأمم الوثنيّة. في رسائل بولس الرسول هناك إشارات عديدة لمدى الفارق الكبير بين ما هو قديم وما هو جديد، قبل الإيمان وبعده، في الحياة الوثنيّة وبعدها في الحياة المسيحيّة. يسمّي بولس الرسول الأمم بـ "لا رجاء لهم" وبالتالي لا التزامات خلقيّة عندهم.

الشريعة أيضاً، صارت العلامة المميزة والحدّ الفاصل بين المؤمن (اليهودي آنذاك) وغير المؤمن الوثنيّ. وليست الحالات الخاطئة التي تفصلُ الأديان فيها بين الناس، إذ تحزّبهم الواحد ضدّ الآخر بدل أن تجمعهم! و لم تكن قليلة الحالات السيّئة التي حارب بها أتباع دين أتباعاً لدين آخر! لقد ملكت العداوة قلب البشر وسخّرتْ حتّى الدِّين لسلطتها! ازداد عنفوان هذه العداوات الدينيّة في التاريخ عندما اقترنت مع الانتماءات الإثنيّة وسواها... وراح الخطاب يصير دمويّاً بدل أن يكون خطاب محبّة وتكامل!

السياسة حين تلبسُ الدِّينَ أو الدِّينُ حين يُسَيَّسُ يصيران الجدارَ الحاجزَ الأخطر. فترى الناسَ، وكلّهم بشرٌ، يشتهون السّلام والوئام ولكنّهم يبنون الحاجز والمتناقضات التي تجعل المحبّة مستحيلةً. العائلة البشريّة تمزّقت جماعات جماعات بسبب من الخطيئة الفرديّة أو الجماعيّة.

صليب المسيح، الذي مدّ عليه جسده قرباناً، صار حجر الزاوية، على الصليب هدم الربّ يسوع حائط العداوة بين اليهود والأمم وصرخ بداية المزمور المسيحانيّ: "إلهي إلهي لماذا تركتني" ليعلن أنّه يطلب على الصليب " أن

تعود إلى الربّ كلّ الأمم". لقد انشقّ حجاب الهيكل الذي يمنع الوثنيّين من الدخول يوم صلب يسوع!

لقد جاء يسوع ومات وقام لأجل الجنس البشريّ وليس لإثنيّة أو جغرافيّة أو زمن محدّد! لقد صُلب يسوع "من أجل جماعة كثيرة لغفران الخطايا" (متى ٢٦، ٢٨). وأطلق تلاميذه بعد القيامة يبشّرون في أورشليم (اليهود) والسامرة (بدع يهودية) وجميع الأمم (العالم كلّه) (متى ٢٨، ١٩). "لا عبد ولا حرّ، لا ذكر ولا أنثى، لا يهوديّ ولا وثني" يصرخ بولس الرسول، الجميع واحد في المسيح (غل ٣، ٢٨).

حجر الزاوية هو الحجر الذي يصل بين جسمي جدارَين منفصلَين فيوحّدهما ويجعلهما بناءً واحداً ويستندان كلاهما إليه. حجر الزاوية هو يسوع الذي يجمع كلّ بناء إلى الآخر "فيجمع المتفرّقين إلى واحد".

لا "احتكاريّة" في الدِّين- المسيحيّ. المسيحيّة دين شامل عالميّ. يسوع وصلبه وقيامته هديّة للبشريّة وليس لقوميّة أو تاريخ أو مكان! الدِّين لا يستحقّ الانغلاق بل يطلب البشارة الحرّة. سفر الرؤيا يكلِّمنا عن الحلم المسيحيّ حيث الجنس البشريّ كلّه يستعيد أخيراً وحدته حول الحمل، وينفصل الناس فيما بينهم بحسب البرّ أو الشرّ، فيجتمع الناس من كلّ أمّة وكلّ لغة حول الحمل (رؤيا ٧، ٩- ١٧).

الخطيئة الخلقيّة، والاحتكار الدينيّ - العنصريّة، كلّها تبني جدراناً تفصل البشر في صفوف متصارعة، صليب المسيح يمتدّ نحو السماء وباتّجاه الأفق ليشمل الجميع دون استثناء!

يسوع ليسَ رجاءَ المسيحيّين وحدهم، يسوع رجاءُ كلّ البشريّة. هذه كرازتنا، ليست منّا وليست لنا. ولكن الويل لنا إذا تعثَّرَ الناس بيسوع بسببنا! المسيحيّة دين شموليّ لكنّه دين يطلب مسيحيّين رسلاً لهم القدرة على أمرَين، أوّلاً فهمه وثانياً نقله، أي عيشه والبشارة به! المسيحيّ إنسان مرسَلٌ ليس إلى بني أمّته أو دينه أو أيّ انتماء حصريّ آخر. المسيحيّ مرسَلٌ حجرَ زاوية في بناء جسد الربّ يسوع الواحد، يصل بين متفرّقين ليبني منهما جسماً جديداً واحداً. جعلَ يسوع الاثنَين (اليهود والأمم) واحداً ونقض في جسده (عندما صلب عن الجنس البشريّ كلّه) حائط السياج الحاجز أي العداوة (الدينيّة والإثنيّة والطبقيّة...) "وصالَح الكلّ في جسد واحد مع الله في الصليب بقتله العداوة في نفسه... ليوصلنا جميعاً إلى الآب في روح واحدٍ".

لنلقي نظرة فاحصة على إيماننا المسيحيّ، هل هو طاهر من الخطايا والأنانيّة؟ هل هو منفتح أم احتكاريّ، وكأنّه بالاسم يأتي التبرير؟ هل نحن حجر موحِّد في الزاوية أم جدار فاصل من العداوة؟ جدران العداوة الحاجز والفاصلة كثيرة، وهي وهمٌ غاشّ يقتل شهوة الإنسان الحقيقيّة أي المحبّة، ليطعمه سموم الحقد تحت انتماءات تقتل الحبّ والإنسان لتحافظ على جدرانها! المسيحيّ رسالة حبّ ووحدة كسيّده يبشِّر بزمن يسقط فيه جدار العداوة ويسكن جميع البشر أورشليم الجديدة، آمين.

أف ٤، ١- ٦

الأحد الـ ٢٥ بعد العنصرة

العـــدل والـــسّلام

"مجتهدين في حفظ وحدة الروح برباط السّلام"

ما هي الكنيسة؟ أَهي تجمّع ديمقراطيّ بمعنى أنّ مصيرها وإيمانها وكيانها هو رهن لرأي كلّ مجموعة محليّة، على اختلاف ثقافاتهم ومعرفتهم؟ وإذا قلنا "لا" هل هذا يعني أنّه ليس فيها مجال لرأي شخصيّ؟

أسَّس بولس الرسول، بدموع وأسفار وأتعاب وسهر، كنائسَ عديدة، ولكن كانت تعود إليه أخبار عن شقاقات وخلافات بين أعضاء الكنيسة، كان هذا يؤلمه جدّاً، وإذا كان هذا أمرٌ غير محبّذ لكنّه غير غريب.

تنزل كلمة الله على قلوب الناس من مصدرها صافية واضحة وواحدة. لكن الناس ليسوا أنقياء. يخطئ البعض حين يظنّ أنّه يملك الكلمة بدل أن يخضع لها، ومن هنا تبدأ التفاسير المتباينة وتنشأ التيّارات المختلفة. حيث تختلط الكلمة في عيشها مع الخلفيّات الثقافيّة أو الإثنيّة أو الحضاريّة لمتقبّليها! دخلُ الناس المسيحيّةَ، لكن البعض حافظوا على أشياء قديمة أو على إنسانهم القديم فشوّهوا جدّة المسيحيّة الإيمانيّة والأخلاقيّة.

آخرون في الكنيسة يسبّبون انشقاقات وتيّارات ليس لخلاف روحيّ بل لشقاقٍ مزاجيّ أو شلليّ. وهؤلاء يشيّعون أنّ الوحدة قائمة رغم أنّ الواقع هو واقع خلاف! لأنّهم يظنّون أنّ الوحدة قائمة على "الاعتراف بالإيمان الواحد" ولو كنّا أجساماً مختلفة. لا شكّ أنّ لدينا في الكنيسة منظّمات مختلفة ولكلّ منها خدمتها الخاصّة وتتميّز بدورها وشهادتها عمّا حولها في الكنيسة، وهذا مطلوب. والجميع، بكلّ المنظّمات، يتلون دستور الإيمان ذاته، ويتسابقون على الافتخار بالأرثوذكسيّة أو الطائفة... الخ ولكن ترانا أحياناً في شقاق ليس عقائديّاً ولكنّه شقاق قلبيّ وشرخٌ في المحبّة. فهل هذا الواقع هو كنيسة؟ أو بالأحرى هل هذا واقع صحيح للكنيسة؟

يكرّر بولس الرسول هنا في سطور قليلة كلمات حول ضرورة الوحدة بشكل مدهش: "حفظ الوحدة، رباط السّلام، أنّكم جسدٌ واحدٌ، روحٌ واحد، دعوة واحدة، ربّ واحد، إيمان واحد، معموديّة واحدة، إله أب للجميع واحد، إلخ..."!

هذا يعني لكي نكون واحداً لا يكفي أن ننتمي إلى عقيدة واحدة أو مكان واحد، أو ... بل أن نحقّق باختصار صورة بولس الأساسيّة عن الوحدة؛ وهي "الجسد". وما يميّز وجود كنيسة-جسد واحد عن كنيسة ممزّقة، بكتل وأجسام متناحرة- لا سمح الله- أو غير متّحدة، هو الرأس الواحد. فالإيمان المشترك لا يعني الوحدة!

الإدارة في الكنيسة ليست شأناً غير "عقائديّ"! لا بل هي الشأن الأوّل عقائديّاً! يظنّ البعض أنّ الكنيسة هي مجموعة تؤمن بمبادئ مشتركة، نعم هي

كذلك. لكن ذلك وحده لا يجعلها كنيسةً! ما يجعل المؤمنين كنيسة هو وحدتهم ووحدة عيشهم ووحدة شهادتهم، إنّهم "جسد المسيح" الواحد. إنّهم أعضاء (خدمات) متعدّدة في جسم له رأس واحد. لا يدير الأعضاءَ مراكزُ مختلفةٌ في الجسم بل رأسُها الواحد.

لذلك صرخ إغناطيوس المتوشّح بالله، اللاهوتيّ الأوّل بعد بولس الرسول، "حيث الأسقف هناك الكنيسة". لا يمكن لجسم ما أن يكون عضواً في الكنيسة إلاّ إذا أخذ "إدارته" من الرأس الوحيد، والرأس هو المسيح، وعلى أرض الواقع هو الأسقف، بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة من إيمان ومعرفة وأبوّة وجمع للشمل.

"الإدارة" ليست منفصلة عن الإيمان. "الإدارة" هي طريقة الوجود أي طريقة عيش الإيمان! لذلك وإن كان البعض يظنّ أنّ الوحدة بين كلّ المسيحيّين- مثلاً- ستتحقّق عندما نعترف جميعنا بالثالوث الأقدس والابن والعذراء مريم و الخ...! إلاّ أنّ هذه ليست وحدة! هذه شركة بمفاهيم. الوحدة تعني جسماً واحداً أي أيضاً رأساً واحداً أي إدارة مشتركة وواحدة.

ما دام لنا روحٌ واحدٌ ودعوة واحدة ومعموديّة واحدة وإله آب للجميع واحد... لماذا لا نكون واحداً؟ لأنّه، وللأسف، نتصرّف وكأنّنا رؤوس متعدّدة! لنلاحظْ سبب النزاعات والشقاقات بالتحديد، أغلب الأحيان لا يكون سببها تعدّد في إله كلّ طرف ولا بإيمانه حتّى! ولكن يكون السبب عدم الوحدة في "الإدارة"- وهذه كلمة مقدّسة وليست بيروقراطيّة! أي لنا تبعيّات ومرجعيّات مستقلّة الواحدة عن الأخرى.

الوحدة الكنسية ليست رغبة معيّنة لدينا هامّة أو غير هامّة، إنّها أكثر بكثير، لأنّه دون الوحدة- نتجرّأ ونقول- لا تتحقّق الكنيسة!

بين التلاميذ الاثنَي عشر، وهم الجيل التأسيسيّ الأوّل الذي رافق الرب يسوع في حياته، صار نزاع على "مَن هو الأوّل". ومنهم مَن باع السيد ومنهم مَن وقف معه حتّى الصليب! هذا هو التنوّع البشريّ، إذا كان هناك تنوّع بشريّ لا يمكننا أن نقبل بتنوّع الكنائس وتعدّدها. الكنيسة هي "الكنيسة الواحدة الجامعة الرسوليّة". وكلّ رأس فيها لا يحقّق الوحدة مع التسلسل الرسوليّ، مهما كان إيمانه، يشكّل انشقاقاً و انفصالاً عن جسد المسيح الواحد.

أن "نعمل جميعاً في الكنيسة"، هذه صورة "مهلهلة". يجب أن نعمل معاً. والمقصود أنّ الوحدة بالجسم الواحد مع الرأس الواحد هي بالنهاية أهمّ من حجم الأعمال أو المواهب، هذه الأخيرة مخطئة ومضرّة عندما لا تخدم تلك .

هل يعني الاتّحاد "الإداريّ" الاكليزيولوجيّ مع الرأس الواحد في الجسم الواحد شيئاً من الديكتاتوريّة؟ أو إلغاءً للرأي الخاصّ؟ يحدّد هنا بولس الرسول طبيعة العلاقة بين أعضاء الجسم المختلفة (منظّمات- مؤمنين- خدّام...) مع الرأس (الأسقف)، وذلك بعبارة "مجتهدين في حفظ وحدة الروح برباط السّلام"!

رباط السّلام هو "المحبة"، وفي المحبّة يتحقّق أمران. الأوّل هو الديمقراطيّة الحرّة، والثاني هو الوحدة حول الحقيقة. وحدة الرباط الإداريّ لا يعني أبداً

وجود الرأي الواحد! فالناس متعدّدون، لكن يعني أن نجعل الوحدة فوق الآراء المختلفة. نحن كنيسة نسير معاً مسيرة واحدة، ونفكر بأشكال متعدّدة ولكن معاً. لا يفصل الإنسان المؤمن عن أخيه خلاف فكريّ، ما دام الاثنان على وحدة مع رأس واحد. على العكس لا يتّحد اثنان متّفقان بالرأي ولهما مرجعيّتان مختلفتان (رأسان). المحبّة المسيحيّة، عند الأسقف، وعند الخدام والمؤمنين، تتحقّق بما نسمّيه رعاية، ومن الطرفَين.

إبداء الرأي في الكنيسة لا يعني فرض الرأي، ولا يعني التصنيف بحسب الآراء- التحزّب-... بل يعني بسط الأفكار والآراء أمام "أمر" الكلمة الإلهيّة حيث الأسقف والجميع يخضعون، أي يفحصون كلّ شيء على أساسها.

مَن يحب رأيه أكثر من أخيه سوف يمزَّق ومَن يحب بالعكس يوحّد! ليس من السهل أن يُحافظ على وحدة الروح، إلاّ إذا جعل كلٌّ منّا حقوقه أرخص من حقّ الكنيسة بالسّلام. الناس كلّهم يخطئون، عن معرفة وعن غير معرفة. فإذا بدأنا المطالبة بالحقوق سوف نبيع السّلام. السّلام في عالم توجد فيه خطيئة لا يتحقّق بالحقوق، إنّما بالمسامحة. "العدل والسّلام تلاقيا" هذه عبارة اسختولوجيّة تتصوّر أنّ ذلك سيتحقّق في منتهى الأيام حيث ستُرفع الخطيئة، عندما يطيع الجميع دون خلل الكلمة الإلهيّة فيسود العدل ويتحقّق السّلام.

أمّا رباط السّلام في عالمنا وكنيستنا فإنّه يقوم على "المسامحة" لذلك يعلّمنا بولس الرسول: "محتملين بعضكم بعضاً بالمحبّة". نعم إذا اختلفت كراماتنا-حقوقنا يجب ألاّ يختلف انتماؤنا الواحد إلى جسد المسيح الواحد. لنطرح "مزاجاتنا" جانباً ونعالجها بالاعتراف والتوبة، ونبقى متّحدين. لنحافظْ

على السّلام بطاعة الكلمة الإلهيّة، وبالسماح حين يظهر عصيان. تفقد الكنيسة فرحها وجمالها عندما تفقد سلامها. ربّنا ربّ السّلام وكنيسته كيان للسّلام والوحدة. لا يمكن أن يكون ثمنُ كلّ خطيئة رأساً جديداً في الكنيسة، وإنّما المسامحة والطاعة! لا يجب أن يخلق كلّ خلاف انتماءً مختلفاً، بل نحتمل بعضنا بعضاً للحفاظ على رباط السّلام.

"يا إخوة، أطلب إليكم أنا (بولس الرسول) الأسير في الربّ أن تسلكوا كما يحقّ للدعوة التي دُعيتم إليها" (لتكوين كنيسة). مؤثّرة هي كلمات بولس الرسول وتضرّعاته، وتستحقّ منّا كلّ إصغاء، آمين.

أف ٥، ٨-١٩

الأحد الـ ٢٦ بعد العنصرة

التوبيخ بين التأنيب والتنبيه
– ستّ نصائح بولُسيّة في استنهاض الآخر –

"لأنّ كلّ ما يوبَّخ عليه فبالنور يُعلن"

يبدأ بولس الرسول نصه اليوم بعبارة رائعة "اسلكوا كأولاد للنـــور". والنور، كما ورد في الكتاب المقدّس وعلى لسان يسوع ذاته، يعني الحيـــاة، والحياة مع الله وبحسب وصاياه، التي تجعلنا فهماء وحكماء. وعبارة كهـــذه تحمل من الرهبة والمسؤوليّة المقدار ذاته الذي تحمله من التشجيع.

لكن ليس من السهل أن يسلك مَن قُدِّر لهم أن يكونوا أبنـــاءً للنـــور بحسب النور دائماً. فالجميع اعتمدوا وصاروا أبناءَ النور، ولكن ليست قليلةً المرّاتُ التي يسلكون فيها في الظلمة. لذلك لم يتردّد بولس الرسول أن يكرّر بشكل أو بآخر ضرورة أن يستنهض الأخ أخاه، وإذا ما زلّ واحد أو سقط فعلينا أن ننهضه بالمحبّة ونصلحه بالعون والنصح. إنّ هذه المسيرة هـــي مـــن طبيعة حياتنا الكنسيّة، وتقتضي أن يهتمّ العضو بالأعضاء الأخرى، بـــروح المحبّة والمسؤوليّة المشتركة. إنّ حياة الشركة الكنسيّة لا تعني فقـــط التعـــاون

بحدود تناغم وتأمين المصالح كما في المؤسّسات المدنيّة؛ بل بالعمق تعني التزام العضو بكامل الجسم، وشعوره بالمسؤوليّة تجاه كلّ آخر، فالمسيرة في الكنيسة ليست تسابقاً على طريق الخلاص بين أفراد، ولكن كلّ فرد هو بمثابة "مجذّف" في مركبة الخلاص، والجميع يجذّفون ليسرع المركب إلى شاطئ الأمان ويغلب عنفوان التاريخ، وسيصل الجميع في المركب معاً إلى برّ السلام. لذلك يستنهض الروحانيّون ويصلحون بالتنبيه أيَّ أخٍ غلبه الشريرُ، أو قستْ عليه الظروف فقسرته فحادت به عن مسالك النور والحقّ. الكنيسة سفينة مُبحرة، ولن يذهب كلُّ مَن فيها إلى خلاصه بمفرده. إنّ رابط الحبّ الذي يبني شركتها يجعل الجميع لا يقفزون من المركب فارّين بمفردهم في الصعوبات إلى البرّ، وإنّما يندفعون إلى استنهاض الواقعين ليخلص المركب بالجميع. وهذا ما يدعو إليه بولسُ الرسول أهلَ أفسس في الرسالة التي سمعناها اليوم. إذ يوصي أبناء النور أن يسلكوا هم أوّلاً في النور، ومن ثمّ أن "يوبخوا" الأفعال الأخرى.

"التوبيخ" كلمة غير مستحبّة، لكنّها حقيقيّة فقط بالمعنى والأسلوب الذين يوصي بهما بولس الرسول. لهذا عندما يوصينا "لا تشتركوا بأعمال الظلمة... بل بالأحرى وبّخوا عليها"، يتابع مفسِّراً عدّة معطيات روحيّة يجب أن تتلازم مع هذا "التوبيخ- تنبيه" لكي تصير كلّ الأمور "نوراً"، وهذه هي المعطيات بالتتابع:

١. كلّ ما يُوبَّخ عليه "فبالنور يُعلن"، فإذا كان مَن يوبِّخ لا يبغي الانتقام وإنّما البنيان، لهذا لا يمكن أن يوقظ آخر إلاّ مَن كان هو أوّلاً في النور،

أي أنّه من النور يرى بقعة الظلام. ليس لمن ينبّه مصلحة ذاتيّة، إلاّ أن يكون هو والجميع في النور، أي في طاعة الوصيّة الإلهيّة. فكلّ مَن يشعر أنّه يريد أن يوجّه ملاحظة أو تنبيهاً، عليه أن يكون متأكّداً أوّلاً أنّه من النور يتكلّم، وأنّه يدرك أين هي رقعة الظلام، وما يُعلنه ليس من دوافعه ولكن لأنّ الروح يدفعه، أي "بالنور يُعلن"، كما يقول الرسول.

٢. "فإن كلّ ما يُعلَن هو نور"، وبهذا يقصد الرسول أن كلّ الأمور التي تُعلن على ضوء الوصيّة وتحت توجيهها يصير نوراً. فالنور يبدد الظلام. وكل ما هو في الظلمة عندما يُعرض النور يصير نوراً. الخطأ ليس خطيئة عندما يكون جهلاً. الخطيئة هي أن نرى النور ونفضل عليه كسل الظلمة. ليس كلّ من في الظلمة عدوّاً للنور. إنّ مَن يقبل كلام النور سيصير نوراً. لأن كلّ ما يُعلن (بالنور كما سبق وأوصى بولس) هو نورٌ في النهاية.

٣. "استيقظْ أيّها النائم" وقمْ من بين الأموات! إنّ لغة التوبيخ البولُسيّة ليست محاسبة أو استحقاقاً إنّما هي استنهاض. وهذا يعني أنّ مَن ينبّه هو على ثقة أنّ النائم يحمل في داخله طاقات النور، ولكنّه يحتاج لأن يلتفت إليه. إنّ الخطأ غير الخاطئ، والشرّ غير الشرير، وكلّ عضو في الكنيسة قد يكون في الظلمة مرّة لكنّه ليس مظلماً، وقد يقترف شرّاً لكنّه أبداً ليس شرّيراً. إنّ الثقة بمن أخطأ تدفعنا إلى توبيخ أفعاله، لأنّنا نؤمن أنّه بالأصل هو ابن النور.

٤. "فيضيء لك المسيح". أيمكن لمن ذاق حرارة نور المسيح أن يحتمل برودة الظلمة لأخيه؟ "تعال لقد وجدنا المسيّا" صرخ فيلبس إلى نثنائيل.

حول يسوع فقط سنكون جميعاً في النور. إنّ "التوبيخ" هو على الأعمال، أمّا الإنسان فيستحقّ "الإيقاظ" ليحيا مع المسيح. إنّ شوقنا إلى المسيح يدفعنا أن نذهب مع الآخر إليه.

٥. "مفتدين الوقت فإنّ الأيّام شريرة". لا يبدو هنا أن بولس يحتمل غياب ابن النور في الظلمة. والواضح أنّه يستعجل لأنّ الخسارة ليست عاديّة بل كبيرة. "إنّ مَن ليس معنا هو علينا"، كلمة يسوع هذه تفسَّر أيضاً على الزمن. لا شكّ أنّ الظلمة ستكون هي الظرف السائد إذا لم نسلّط كلمة النور عليها دوماً وباستمرار. يفتقد العالم إلى النور والزمان يتدهور نحو المغْرب إذا لم توجّهه نصائح الروح نحو المشرق. إنّ الظروف إذا تُركت على عفويّتها على الأغلب ستصير أيّاماً شريرة. لهذا صرخ بولس بتلميذه "وبّخ في وقت مناسب وغير مناسب". ويقصد الرسول هنا بكلمة "مفتدين الوقت" أمرَين؛ الأوّل ألاّ يضيع زمن البشارة والخدمة بسبب تباطؤ لدينا أو تردّد، والثاني أن نعوّض عمّا ضاع، عمّا جرى خلال زمن الظلمة.

٦. "فاهمين مشيئة الربّ"، وهذا هو عمل النور بالروح القدس. إنّ بولس الرسول ذاته هو المثال الأوّل لمن كان في الظلمة وأضحى بالتوبيخ – "لماذا تضطهدني؟" – ابناً للنور. لم يكن يعرف ما هي مشيئة الربّ، وبعد "التوبيخ" صرخ "ماذا تريد بي أن أفعل يا ربّ"؟ التوبيخ مقبول فقط عندما يكشف لنا مشيئة الربّ التي كنّا قد جهلناها أو نسيناها.

والكلام هنا على لسان بولس، وهذه النصائح الروحيّة تخصّ كلّ مَن يريد أن يوقظ مخطئاً عن جهل. لأنّه كما يقول الكتاب "أدِّب الحكيم يحبّك

وأدِّب الجاهل يبغضك". فكلام التنبيه هذا البنّاء يوجَّه فقط لمن يعمل لربّما عمل الظلمة لكنّه بالأصل يحبّ أعمال النور وهذا هو الحكيم حين يُخطئ. ولا يوجَّه التنبيه إلى الجاهل الذي رأى النور لكنّه أحبّ الظلمة.

"فاهمين مشيئة الربّ" التي تجمعنا برباط المحبّة وتظلّلنا بستر الطاعة لها، عندها نوبّخ بالروح الأفعال غير المثمرة لنصير جميعنا في النور، ونكلّم بعضنا بعضاً فقط بلغة وكلمات المزامير والتسابيح والأغاني الروحيّة، فنرتّل من قلبنا للربّ، آمين.

أف ٦، ١٠-١٧

الأحد الــ ٢٧ بعد العنصرة

الــحــرب اللامــنــظــورة

"فإنّ مصارعتنا ضدّ أجناد الشرّ الروحيّة في السماويّات"

"مصارعتنا ليستْ ضدّ لحم ودم..." يقول بولس الرسول. ويعني ذلك أوّلاً أنّ الحرب لا هوادة فيها. فاللحم والدم يشيران في الكتاب المقدّس إلى الوهن والضعف البشريَّين عموماً. لذلك قال يسوع لبطرس: "لا لحم ولا دم كشف لك يا بطرس" (متى ١٦، ١٧). وحسنٌ جدّاً أن يعرف الواحد منّا قوّة عدوّه ليعرف كيف يحتاط له ويسهر. وثانياً، تعني هذه العبارة أنّ الحرب غيرُ منظورة لأنّها ليست ضدّ منظورات أو مجرّد بشر أمامنا أو تجارب واضحة. بل الحرب هي ضدّ الرئاساتِ ضدّ السلاطين ضدّ ولاة العالم عالم ظلمة هذا الدهر...". حربنا اللامنظورة هي مع إبليس وضدّ مكائده. إنّه "أبو الكذب" يحارب بالغدر، ومكائده عديدة جدّاً. لذلك هذا يتطلّب سهراً وصحواً دائماً.

ما دام المسيحيّ يطلب الكمال ويكرِّس ذاته لتلبية نداء سيّده "كونوا كاملين كما أنّ أباكم الذي في السموات كامل" (متى ٥، ٤٨)؛ وما دامت

الكنيسة هي طريقة ومكان التقديس وتحقيق هذا الكمال؛ وما دام المسيحيّ والكنيسة يشكّلان هكذا ظاهرة غريبة ومعاكسة "لعالم ظلمة هذا الدهر"، لا بدّ إذن أن تتحقّق غاية المسيحيّ والكنيسة عن طريق حرب ضروس قاسية بمقدار شرّ "أجناد الشرّ الروحيّة في السماء".

تعادي الكنيسةَ، مرّات عديدة، أطرافٌ واضحة وظاهرة. ومنها مثلاً بعض الايديولوجيّات الفكريّة الملحدة أو اللاأخلاقيّة، أو بعض السلطات الزمنيّة المتسلّطة التي لا تريد أن تخدم حريّة الإنسان أو أنّها تودّ التديُّن بطريقتها. وقد تواجه المسيحيّ على الصعيد الفرديّ بعض الشدائد أو المغريات العلنيّة، ومنها بعض التحدّيات اليوميّة اللاإنجيليّة، فالشهوات وعالم الاستهلاك والتسابق على الأموال وغيرُها الكثير كلُّها أمور تتحدّى إيمان المسيحيّ علانيّة.

رغم ذلك، حتّى في حالة التحدّيات العلنيّة على حياتنا الجماعيّة ككنيسة أو على حياتنا الفرديّة كشخص، فإنّنا نؤمن أنّ هناك أيضاً وجه غير منظور في الحرب الروحيّة. لأنّنا نعرف أنّ إبليس هو مَن يتخفّى وراء كلّ ما هو ظاهر. هكذا كان الشهداء يؤمنون أنّ مواجهتهم هي مع إبليس قبل الوالي والحاكم الذي كان يرسلهم للاستشهاد والموت. إنّه أبو الكذب الذي يستغلّ كلّ الظروف الظاهرة ليحيك منها مكائد تجعلنا نقع في أشراكه وحبائله.

الكمال المسيحيّ مسألة أنثروبولوجيّة عميقة وليس مجرّدَ تطبيق سطحيّ فريسيّ لبعض من شريعة. إنّه عمليّة تطهير داخليّ، تبديل للإنسان القديم ولبس للإنسان الجديد، أي نموّ إلى ملء قامة المسيح. لهذا شدّد يسوع في

عظته على الجبل أنّ هناك شيئاً جديداً، وهو العميق والأكمل، وأنّه يجب "أن يزيد برّنا على الكتبة والفريسيّين"، أي أن تكون عبادتنا ليست بالظاهر بل من الأعماق وكيانيّة. الكمال المسيحيّ لا يمنع القتل وحسب بل يحارب حتّى الغضب، ولا يمنع الزنى وحسب بل يرفض الشهوة، ولا يمنع أن نحنث بل أن نحلف أيضاً... (متى ٥، ٢٠- ٤٨).

لقد امتاز الأدب النسكيّ المسيحيّ برياضة "معرفة الذّات"، كدرب لمعرفة الله. "نظِّفْ داخل الكأس"، صرخ يسوع، ورفض القبور المجصّصة من الخارج والمملوءة عفناً من الداخل. لقد حارب يسوع أكثر ما حارب "الرياء"، أي التقوى الظاهريّة التي تؤدّي عملها من أجل العبادة وليس من أجل الإنسان ذاته، فتنقلب العبادة إلى مجرّد عادة.

المسيحيّة لا تبدّل بعضاً في مسلكيّات الإنسان أو ممتلكاته وحسب، بل هي طبّ وعلم أنثروبولوجيّ عميق يبدّل الإنسان ذاته. هذه هي الحرب اللامنظورة الداخليّة، التي تُمسحِن حركات النفس والدوافع وليس فقط بعض الواجبات: "يا بُنَيَّ أعطِني قلبك"، "القلب المتخشّع المتواضع لا يرذله الله".

لهذا تختلف الأسلحة الروحيّة لهذه الحرب اللامنظورة عن أسلحة الحروب المنظورة. إنّها أيضاً أسلحة غير منظورة في فعلها. إنّها الفضائل المسيحيّة، التي يعدّدها بولس الرسول مثل: "الحقّ، البرّ، السلام، الإيمان، والكلمة الإلهيّة".

هذه هي أسلحة النور (١ تس ٥، ٨)، إنّها جملة من الممارسات اليوميّة، أي طريق- طريقة حياة تكوّن لدى الإنسان خبرات عميقة شخصيّة

مع الله. الكمال المسيحيّ هو خبرات مباشرة مع الله ومع نعمته في القلب البشريّ. لهذا شدّد يسوع على ممارسة الفضائل، مثل الصلاة والصوم،... بالخفية وفي المخدع الداخليّ (القلب) وليس لعين الناس. على العكس، نعرف من الأدب الرهبانيّ أمثلة عديدة كان الرهبان فيها يتظاهرون عكس فضائلهم الداخليّة ليحافظوا على صفاء هذه الأخيرة من أيّ رياء، لا سمح الله.

المسيحيّة طريق- طريقة علاقة بين القلب البشريّ والله. إنّها طريقة "اختبارات" شخصيّة مع المحبّة الإلهيّة. شريعة المسيحيّة ولغتها الوحيدة هي "جرح القلب البشريّ بالمحبّة الإلهيّة"، إنّها الجروح الشافية والمحبّة التي تدمي بالتوبة عن كلّ خطيئة. "من الأعماق صرختُ إليك يا ربّ، فيا ربّ استمعْ لصوتي".

"تقوّوا في الربّ وفي عزّة قدرته"، يشدّدنا بولس الرسول، رغم أنّ الحرب هي مع أعداء غير منظورين وهي ضارية، إلاّ أنّ حياة البرّ والحقّ والعفّة... تجعل الحرب سهلةً إذ يخوضها الله معنا بنعمته وبسيف كلمته. "إن كان أحدٌ يجاهد، فلا يكلَّل إن لم يجاهد قانونيّاً..." (٢ تي ٢، ٥). إنّ مَن يلبس "سلاح الله الكامل" "سيغلب لا محالة وسيأكل من شجرة الحياة التي في وسط الفردوس" (رؤيا ٢، ٧)، آمين.

كول ١٢، ١-١٨

الأحد الـ ٢٨ بعد العنصرة

الشكر على البِكْر

"الذي هو صورة الله غير المنظور وبِكْرُ كلِّ خليقة"

ما أجمل هذه العبارات، التي صارت بالواقع تسبحةً من تسابيح الكنيسة الأولى! يحارُ بولس في إظهار يسوع وفي التمحور بكلّ شيء حوله، فيعطيه ألقاباً ودوراً مميّزاً جدّاً ومركزيّاً. وعلى جمال هذه العبارة وروعتها فإنّها شكّلتْ لكثيرين حجر عثرة. لقد اعتمد آريوس، الذي أنكر ألوهيّة المسيح، عبارة "بِكْرُ كلّ خليقة" ليبرهن ويعلّم أنّ يسوع هو مخلوق، وإنْ كان لدى الله هو أكرم الخلائق! بينما نجد بالمقابل أنّ كلّ آيات المقطع هنا تدور حول ألوهيّة يسوع المسيح وتفوّقه على كلّ الخليقة في البداية والكرامة. وخاصّة، أنّ بولس يواجه هنا بعض الهراطقة الذين كانوا يعلِّمون عبادة الملائكة، فيوضح هنا أنّ يسوع هو فوق الملائكة بمقدار ما يفوق اللامخلوق على المخلوق في الزمن والكرامة.

يستخدم بولس الرسول، وهو يهوديّ يونانيّ، كلمة "بِكْر" (πρωτότοκος) من العصر الهلينستيّ اليهوديّ. وترد هذه العبارة في رسائله

عدّة مرّات، كما ترد هنا بالحرف وبالمعنى أربع مرّات. إنّ التأمّل بهذه العبارة سيجعلنا نتخشّع أمام سرّ التدبير الإلهيّ المحبّ للبشر.

يسمّي بولسُ الربَّ يسوعَ بكراً: "وأيضاً متى أُدخل البِكْرُ (يسوع) إلى العالم يقول ولتسجدْ له كلُّ ملائكة الله" (عب ١، ٦). ويبرهن هنا أنّ يسوع يفوق حتّى العالم غير المنظور، عالم الملائكة، فهذه كمخلوقات تسجد له كخالق. وأيضاً في الرسالة إلى كولوسي (١، ١٨) يسمّي بولس يسوع "البكر من بين الأموات" (١، ١٨)، وفي رسالته إلى رومية (٨، ٢٩) يسمّيه "بكراً بين إخوة كثيرين (البشر)". وهذه كلُّها عبارات تتكلّم عن مكانة يسوع ودوره، وليس عن ولادته أو لا سمح الله عن خلقه في الزمن. فهو أوّل مَن قام من بين الأموات الذي دعانا إخوة فصار الأخ البكر.

وهنا في الرسالة وفي هذه الأسطر القليلة يتكلّم عن تفوّق يسوع على الخليقة كلّها، فيلقّبه "بكر كلّ خليقة"، لكنّه لا يعني أنّه أوّل المخلوقات، إذ يتابع على الفور ويقول: "لأنّه به خُلقَ الكلُّ، ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى... به وإليه خُلق الجميع"، وكلّ هذه الصفات ليسوع كخالق وليس كمخلوق تفسّرها آية الرؤيا عنه أنّه "الألف والياء، البداية والنهاية".

ثمّ يقول هنا "وهو قبل الجميع وبه يثبت الجميع". والواضح أنّه في عبارة "قبل" لا يعني بدءاً زمنيّاً لأنّه يستخدم فعل هو في الحاضر والدائم وليس بالماضي، إذ لم يقل "كان" (خُلق) قبل الجميع بل "هو" قبل الجميع أي كرامة هو فوق الجميع دائماً.

إنّه "المبدأ (απαρχή) من بين الأموات"، وهي عبارة تشابه عبارته في كولوسي "البكرُ من بين الأموات". إنّه بكرُ الخليقة، نعم ولكن الخليقة الجديدة التي من بعد القيامة. إنّه الإنسان الأوّل الذي أَلَّهَ طبيعتنا البشريّة وأخذها إلى السماء فوق الموت في حياة أبديّة خالدة. إنّه الكلمة غير المخلوق الذي قبل الدهور المساوي للآب في الأزليّة، لكنّه صار "بكراً" بين إخوة كثيرين من طبيعتنا البشريّة للخليقة الجديدة التي ستلبس طبيعتنا في عدم البلى.

وأخيراً يقول "لكي يكون هو المتقدِّم في كلّ شيء"، والمعني هنا أنّه جاء إلينا ليتقدَّمنا كقائد، لا كمَن يشير لنا بالعمل بل كمَن يعمل أوّلاً ما علينا أن نعمله بعده. لقد حمل عاهاتنا وصلب لأجل معاصينا وصار بكراً من بين الأموات يتقدّمنا في كلّ شيء.

أكثر الكلمات قوّة ووضوحاً التي تشرح كلمة "بكر" هي تعابير بولس الشكريّة والحارّة: "يا إخوة نشكر الله الآب الذي جدّدنا مؤهّلاً إيّانا للشركة في إرث القدّيسين". هذا الشكر يرفعه بولس لله الآب الذي أرسل لنا ابنه الوحيد و"افتتح" لنا حالة وحياة جديدة، وصار بكرها؛ إنّها حالة الإنسان بعد القيامة وحالة الخليقة الجديدة، بحقّ إذن يسمّى يسوعُ "بكرَ كلِّ خليقة (جديدة)".

"لكي يتقدّمنا في كلّ شيء" ليس زمنيّاً بل كرامةً، إنّه الابن الأكبر لله الآب، ونحن إخوته؛ إنّه البكر الإنسان في عالم عدم البلى هو يتقدّمنا ونحن نتبعه، فهو بكر وهو عربون الحقيقة لنا. "البكر" هنا لا تعني أنّ يسوع أوّل مخلوق (فاتح رحم) بل هو أوّل الخليقة الجديدة الذي جعل طبيعتنا في حياة لا تموت. إنّه الابن الأكبر المتقدّم الذي جعلنا إخوته وأبناءً به لله الآب.

لهذا جاء يسوع على الأرض: "لكي يعرفوك أنّك أنتَ الإله الحقيقيّ (الآب) ويسوع المسيح الذي أرسلتَه" (يوحنّا ١٧، ٣). ولهذا عندما سأله تلاميذه: "علِّمْنا أنْ نصلّي"، علَّمهم أن ينادوا: "أبانا الذي في السموات". يسوع صار بكراً عندما وهبنا نعمة التبنّي.

فشكراً لله الآب الذي تبنّانا بيسوع المسيح. وليس لهذا الشرف وحسب بل لأنّه بذلك: "جدّدنا" وأدخلنا في حظّ القدّيسين في النور". "الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبّته يسوع".

الشكر على البكر واجبٌ، وتسبحة تخرج من قلب كلّ إنسان كان يعرف أنّه "من التراب وإلى التراب يعود" واكتشف اليوم بيسوع البكر من بين الأموات أنّه ابنٌ لله بالتبنّي، تراب يسير إلى التألّه!

الشكر على البكر، الذي فتح لنا حياة الخليقة الجديدة، صلاة تخرج من قلب كلٍّ منّا وكلِّ خليقة، ولكنّها بالوقت ذاته لا تتماشى مع انتمائنا إلى عالم الظلمة، بل تقوم على نقلتنا من عالم الظلمة إلى ميراث القدّيسين في النور.

التسبيح لله الآب والحمد والشكر على البكر الذي أرسله. والشكر على نعمته التي نتمسّك بها فنحيا الحياة الجديدة التي وُهبت لنا بالبكر إمكانيّةً، وتتحقّق بحريّتنا وبمؤازرة النعمة.

"لنشكرنَّ الربّ"، و"لنضعْ قلوبنا فوق": كلماتٌ متلاصقة في الليتورجيا تجعل الشكر يرفعنا في الحياة عن الدنيويّات إلى الروحيّات، وتجعل هذه الخبرة قوّة متجدّدة للشكران. لنشكرنَّ الربَّ على البكر، هو يتقدّمنا ونحن نتبعه، نموت معه لنحيا به، آمين.

للـــمـــؤلِّـــف

- **برج وجسد** (**الجزء الأول**)، آحاد ما بعد العنصرة، منشورات دير البشارة (حلب)، ٢٠٠٦، (عظات في رسائل الآحاد والأعياد).

- **برج وجسد** (**الجزء الثاني**)، آحاد التريودي والبندكستاري والأعياد الثابتة، منشورات دير البشارة (حلب)، ٢٠٠٦، (عظات في رسائل الآحاد والأعياد).

- **مصاعد القلب**، منشورات دير البشارة (حلب)، ٢٠٠٦، (تأمّلات في المزامير).

- **سِفْرُ الكَلِمَة** (**الجزء الأول**)، التريودي والبندكستاري، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس (حلب)، ٢٠٠٦، توزيع تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع (عظات في أناجيل الآحاد والأعياد).

- **سِفْرُ الكَلِمَة** (**الجزء الثاني**)، الدورة الطقسيّة الثابتة والأعياد الشهريّة، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس (حلب)، ٢٠٠٦، توزيع تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع (عظات في أناجيل الآحاد والأعياد).

- **السائحان بين السماء والأرض**، منشورات مطرانية بصرى، حوران، جبل العرب والجولان للروم الأرثوذكس، ٢٠٠٥، (كلمات رعوية).

- **القديس أرسانيوس الكبادوكي**، للراهب باييسيوس الآثوسي، منشورات دير سيدة البلمند، ١٩٩٧ (تعريب عن اليونانية).
- **تفسير المزمورين ٥٠ و٦٢**، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس باللاذقية، رقم ٧٤، ١٩٩٦ (طبعة ثانية منقحة).
- **الستارتس إيلاريون**، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس باللاذقية، رقم ٦٧، ١٩٩٥ (تعريب عن اليونانية).
- **الستارتس شمشون**، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس باللاذقية، رقم ٦٥، ١٩٩٥ (تعريب عن اليونانية).
- **قوّة اسم يسوع**، للأسقف كاليستوس وير، منشورات دير سيدة – بلمانا، ١٩٩٤ (تعريب عن الانكليزية).
- **رسالة محبة – توضيحات لبعض أسس الإيمان المسيحي**، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس باللاذقية، رقم ٥٨، ١٩٩٤.
- **منتخبات روحيّة (٣)**، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس باللاذقية، رقم ٥٧، ١٩٩٤.
- **القديس كاسيانوس الروميّ**، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس باللاذقية، رقم ٥٤، ١٩٩٣ (تعريب عن اليونانية).

الـــفـــهـــرس

مقدّمة المطران جورج خضر ٥
مقدّمة المؤلّف ٧

آحـــاد
مـــا بعـــد العـــنصـــرة

الأحد (١) – أحد جميع القدّيسين ■ شركةُ القدّيسين ١٩
■ قدر العنصرة بين العبث والتقديس .....
الأحد (٢) ■ شباك الله وصيادي الناس – المسيحيّة والأديان ..
الأحد (٣) ■ سلام التبرير .....
الأحد (٤) ■ حريّة عبد البرّ وعبوديّة أحرار .....
■ عبوديّة وعبادة .....
الأحد (٥) ■ الغيرة التي بدون معرفة .....
الأحد (٦) ■ المواهب وحرارة الروح .....
■ المواهب والمواهبيّة .....
الأحد (٧) ■ الشريعة الجديدة .....
■ قوّة المحبّة وحريّتها .....
الأحد (٨) ■ الوحدة – مراهنة الحريّة في المعرفة والمحبّة .....
الأحد (٩) ■ هيكل الله .....

الأحد (١٠) ■ الراعي والرعيّة – رعاية متبادلة .....

■ رسالة إلى الرسول .....

الأحد (١١) ■ فكر الراعي وتفكير الرعيّة .....

الأحد (١٢) ■ سَكْبُ النفس وانسكابُ النعمة .....

الأحد (١٣) ■ الوصيّة الأخيرة .....

الأحد (١٤) ■ توبة اللهِ والراعي والرعيّة .....

■ سوط الدموع .....

الأحد (١٥) ■ إماتة يسوع وحياته فينا .....

الأحد (١٦) ■ أسلحة البرّ من اليمين واليسار .....

■ مَهْرُ النعمة .....

الأحد (١٧) ■ التطهير .....

■ الهيكل الطاهر .....

الأحد (١٨) ■ أربع كلمات في الصَدَقة .....

الأحد (١٩) ■ التواضع .....

الأحد (٢٠) ■ المواهبيّة والمنظّمات .....

الأحد (٢١) ■ صليبنا .....

الأحد (٢٢) ■ سمات يسوع وختان البشر .....

■ الختان المسيحي .....

الأحد (٢٣) ■ صنم، شريعة، نعمة .....

■ أسبقيّة النعمة والأعمال .....

■ الشرائع والقلب .....

الأحد (٢٤) ■ سياج العداوة الحاجز .....

الأحد (٢٥) ■ العدل والسّلام .....

الأحد (٢٦) ■ التوبيخ بين التأنيب والتنبيه .....

الأحد (٢٧) ■ الحرب اللامنظورة .....
الأحد (٢٨) ■ الشكر على البِكْر .....
الأحد (٢٩) ■ القيمة المسيحيّة للإنسان والمجتمعات .....
■ العتاقة والتجديد .....
الأحد (٣٠) ■ غلبة السلام .....
الأحد (٣١) ■ "الكلمة الصادقة" عن الله .....